مدخل
إلى
علم لغة النص

تأليف

روبرت ديبوغراند
جامعة فلوريدا

ولفغانغ دريسلر
جامعة فينا

الهام ابو غزالة
جامعة بيرزيت

علي خليل حمد
مكتب التربية - نابلس

اعد الكتاب للطبع
مركز نابلس للكمبيوتر
الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

تصميم الغلاف: الفنان: قاسم منصور
مطبعة دار الكاتب
سميراميس تلفون: 836290

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

يقدم هذا الكتاب الى القاريء العربي نظرية جديدة تمثل ثورة علمية في الدراسات اللغوية الحديثة ، وذلك باعتبارها "النص" الوحدة الاساسية للتحليل اللغوي.

وتتم معالجة النص هنا ليس باعتباره سلسلة من الجمل النحوية كما دأب اللغويون على تصويره، أو باعتباره وحدة لغوية مغلقة على ذاتها، ولكن باعتباره وحدة لغوية فاعلة في عملية الاتصال الانساني. وعليه تتم معالجة النص على اساس انه يشكل سلسلة من عمليات ذهنية لغوية في حالة صيرورة دائمة ، تأخذ في اعتبارهاما سبقها من عمليات وما هي متوجهة اليه في عملية الاتصال الانساني. كما ان هذه العمليات لا تتم بمعزل عن الموقف الذي تتم فيه.

وتمتاز النظرية بتفاعلها القوي مع العلوم الاخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلم الانسان والذكاء الاصطناعي وعلم اللغة مما يجعلها جزيلة الفائدة للكتاب والنقاد والمترجمين والدارسين على اختلاف طبقاتهم.

ويشمل الكتاب على وفرة من الامثلة الايضاحية المأخوذة من النصوص العربية القديمة والحديثة جميعاً. وفيه ايضاً فصل خاص بتطبيق النظرية من جميع جوانبها على آية من القران الكريم حظيت بمكانة خاصة في المعالجات النقدية والبلاغية عند علماء العربية الاوائل.

المحتويات

الموضوع			الصفحة
تصدير			٧
Part ONE	المقدمة	9	٩
Part TWO	الفصل الاول: افكار اساسية	23	٢٣
Part THREE	الفصل الثاني: تطور علم لغة النص	38	٣٨
Part FOUR	الفصل الثالث: المدخل الاجرائي	55	٥٥
Part FIVE	الفصل الرابع: التضام	71	٧١
Part SIX	الفصل الخامس: التقارن	120	١٢٠
Part SEVEN	الفصل السادس: القصدية والتقبلية	152	١٥٢
Part EIGHT	الفصل السابع: الإعلامية	184	١٨٤
Part NINE	الفصل الثامن: الموقفية	209	٢٠٩
Part TEN	الفصل التاسع: النصوصية	233	٢٣٣
Part ELEVEN	الفصل العاشر: في البحث والتدريس	268	٢٦٨
Part TWELVE	الفصل الحادي عشر: تحليل نص من القرآن الكريم	282	٢٨٢
APPENDICES	ملحق ١	300	٣٠٠
ENGLISH REFERENCES	المراجع الاجنبية	315	٣١٥
ARABIC REFERENCES	المراجع العربية	359	٣٥٩

تصدير

لم تكن النصوص عند القدماء، تدرس لذاتها في علم مستقل من علوم اللغة، بل كانت تلك الدراسات موزعة بين النقد والبلاغة وعلم القواعد وغيرها.

بل ان علم القواعد كثيرا ما ادعى لنفسه حق احتواء النصوص واستيعابها، بدعوى أن النص ليس سوى جملة أو تتال من الجمل، وهي فكرة خاطئة يرفضها علم لغة النص الحديث، الذي يرى في الجملة مجرد اطار لفهم جانب من جوانب الواقع اللغوي، في حين يؤلف النص جزءا فعليا من الواقع بلحمه ودمه.

إن العنصر الحاسم في تكوين النص هو الدور الذي يقوم به في الاتصال الانساني، ولذا فان علم لغة النص لا يتوقف عند كلمات النص وتحليلها في مستويات الدرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فحسب، وانما يحاول النفوذ الى ما وراء النص الجاهز من عوامل معرفية ونفسية واجتماعية، ومن عمليات عقلية كان النص حصيلة لتفاعلها جميعا.

ويعني هذا أن علم لغة النص لا ينغلق على نفسه في محاولته معالجة النصوص وانما يأخذ في حسابه دائما مكتسبات العلوم الأخرى التي تهتم بالاتصال الانساني كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس المعرفي، والذكاء الصناعي، وغيرها.

وبالرغم من أن علم لغة النص ما يزال حديث السن، الا أنه يقف الآن واضح الملامح والقسمات، فقد تبنى لنفسه معايير تأسيسية تميز النص من غيره من المنطوقات، ومعايير تنظيمية تناقش جودة النص وفعاليته وملاءمته للمقام.

تقارب مثتي نص من مراحل مختلفة في البعد التاريخي الادبي العربي، وارتأى الاستاذان الكبيران أن يكون هذا الكتاب جهدا مشتركا لنا، وكذلك فعلنا.

كل ما نأمله، من هذا الجهد، هو أن نقدم للقراء والنقاد العرب آلية بحث علمية، تضيء النص في تجسده اللغوي، بحيث تنفتح أمام الذات القارئة، الذات الجماعية في مرحلة تاريخية معينة، وبهذا نكون قد جسرنا الهوة التي عانى منها النقد بشقيه المنفصلين: الشق البنيوي البحت، والشق الاجتماعي/ الفلسفي/ السياسي البحت.

د. الهام أبو غزاله

علي خليل حمد

/ /١٩٩٢م

المقدمة

م:١ بقي علم نحو الجملة، الى وقت قريب، مهيمنا على الدراسات والنشاطات اللغوية بوجه عام، ولعل نظرية تشومسكي في النحو،المشروحة في كتابه: البنى النحوية (٦٠٤)، وما بنى عليها من نظريات نحوية، تمثل المحاولة القوية الأخيرة للدفاع عن هذا الاتجاه.

وقد يكون خلو الساحة اللغوية من اية بدائل، هو الذي مكن علم نحو الجملة من البقاء في وضع الهيمنة، الى ما قبل عشرين عاما حين طرح ولفغانغ دريسلر وروبرت ديبوغراند وغيرهما البديل القوى الجديد وهو علم لغة النص، ويحدد ديبوغراند سنة ١٩٧٢ بانها السنة التي شهد فيها علم نحو الجملة اعنف الحملات من قبل علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الكمبيوتر وغيرهم، معبرين بذلك عن عجز هذا العلم عن تفسير ظواهر عدة من مختلف المجالات (١٦:م:١٢).

ولم يكن بد من وقوع تلك التعارضات؛ ففي حين تهتم هذه النظم المعرفية بالعمليات التي تسهم فى استغلال الناس للغة وبالسياقات التي تجري فيها، كان علم اللغة بوجه عام، قد ركز اهتمامه، الى ذلك الحين، على دراسة اللغة بصفتها نتاجا جاهزا، واهتم بالقواعد المجردة وحدها. وقد أسرف علم اللغة فى الانغلاق على نفسه ودعوى الاستقلال عن العلوم الاخرى، سواء فى ذلك المدرسة البنيوية، والمدرسة التي انشقت عنها وهي المدرسة التوليدية التحويلية.

م:٢ يعرف ديبوغراند النص بانه تشكيله لغويه ذات معنى تستهدف الاتصال (١:١٦) ويضاف الى ذلك ضرورة صدوره (اي النص) عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة (٢:١٦). وليس من الضرورى ان يتألف النص من الجمل وحدها فقد يتكون النص من جمل او كلمات مفردة او اية مجموعات لغوية تحقق اهداف الاتصال. ومن جهة اخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لان تكون مقالا Discourse.

م:٣ يطلق مصطلح التكوين النظامي على المعالجة العلمية للمعطيات، ويعنى ذلك خضوعها لنظام معين، اي اعتبارها وحدة من العناصر التي يقوم كل منها باسهام معين لتحقيق وظيفة المجموع .

وقد طبق علماء اللغة هذا الاسلوب على مختلف المستويات اللغوية من صوت ونحو ودلالة وغيرها، ولكنهم كانوا في الاغلب، ياخذون كل مستوى منها بمعزل عن المستويات الاخرى، بحيث تكون له ضوابطه الذاتية الخاصة، دون تاثر بضوابط خارجية من انظمة اخرى .

ويقف هذا الاتجاه في تعارض ظاهر مع مقتضيات علم لغة النص الذي يرى في النص نظاما مركبا من عدة انظمة تتفاعل فيما بينها ويتاثر كل نظام منها بضوابطه الذاتية الخاصة، وبضوابط خارجية من الانظمة الفرعية الاخرى في علم اللغة كذلك.

م:٤ يختلف النص عن الجملة اختلافات اساسية، تفسر عدم كفاية استيعاب مقومات بناء الجملة لخلق النصوص، في الكتابات الانشائية مثلا، ومن هذه الاختلافات :

١- تنتمي الجملة الى نظام افتراضي (النحو) في حين يعتبر النص نظاما واقعيا تكون من خلال عمليات اتخاذ القرارات والانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية.
٢- تتحدد الجملة بمعيار احادي (علم القواعد) من نظام معرفي وحيد (علم اللغة) في حين تتحدد نصية النص بمعايير عدة من مختلف الأنظمة المعرفية.
٣- تكون الجملة قواعدية او لا تكون جملة البتة، اما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدة .
٤- يتاثر النص بالاعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وبموقف وقوع النص بوجه خاص، في حين يضعف تاثر الجملة بهذه المؤثرات، مثلا يمكن اطالة الجملة بوصفها نظاما افتراضيا بدون حد، في حين يفرض الموقف قيودا بالغة الاهمية على النص وشكل اخراجه.
٥- يستند استغلال الجمل الىالمعرفة القواعدية التابعة لنظام افتراضي له صفة العمومية، اما استغلال النص فيستند الى معرفة خبرات بوقائع فعلية خاصة.
٦- يعد النص حدثا يقصد به شخص الى توجيه المستقبل صوب بناء علاقات متنوعة لا تقتصر على العلاقات القواعدية وكذلك الى التاثير في مواقف بشرية، وذلك خلافا للجملة التي لا تمثل حدثا وانما تستعمل لابراز العلاقات القواعدية بمعزل عن الزمن.

٧- تتخذ الجملة شكلها المعين وفقا لبارامترات محددة القيم في نظام افتراضي معلوم في حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء.

م: ٥ يتضح مما سبق ان النظام الملائم لدراسة النصوص ينبغي ان يكون سيرانيا (ذاتي التنظيم) يتكيف مع مختلف الوقائع والمواقف، ولا يقتصر على اسهامات الانظمة الافتراضية اللغوية المشاركة، بل يقتضي التحقيق الفعلي، الذي يقوم عليه، بقاء التوازن، ومن ثم استمرارية الوقائع في مختلف الانظمة المشاركة.

ومن مظاهر استمرارية النص وجود وصلية تتابعية فيه (اي وصلية بين التبعيات القواعدية في ظاهر النص) ووصلية بين المفاهيم في النص من مثل علاقات السببية والزمن، ووصلية ثالثة بين الخطط بحيث يتصل كل منطوق في النص بخطة ما كالطلب والموافقة وغيرهما.

ويقترح ديبوغراند ان يستبدل بالمجالات الثلاثة المعروفة تقليديا في علم الاشارة وهي : النحو والدلالة والبرغماتية، ثلاثية جديدة هي : الوصلية التتابعية، ووصلية المفاهيم، ووصلية مجموعة الأحداث والخطط والأهداف وبذا يكون نظام النص نظاما سيرانيا مكونا من أنظمة فرعية ثلاثة لها ضوابطها الداخلية والخارجية، ومن الممكن ان يحكم المرء على نص ما من خلال معايير ذات صلة بهذه الانظمة.

٦ تعتمد المعايير المستعملة في دراسة النص وتقويمه على عوامل أربعة:لغوي ونفسي واجتماعي وذهني (معالجة الانسان للمعطيات). والمعايير التي لا غنى عنها لتوافر صفة النصية في تشكيلة لغوية ما هي

١- <u>التضام:</u> Cohesion

وهو يشتمل على الاجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة.

٢- <u>التقارن:</u> Coherence

وهو يشتمل على الاجراءات المستعملة في اثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث، ومنها ايضا

محاولة توفير الاستمرارية في الخبرة البشرية.

٣- القصدية: Intentionality

اي قصدية المنتج توفير التضام والتقارن في النص وان يكون اداة لخطة موجهة الى هدف.

٤- التقبلية: Acceptability

أي تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضاما متقارنا نا نفع للمستقبل أو ذا صلة ما به.

٥- الموقفية: Situationality

وهي تشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع.

٦- الاعلامية: Informativity

وهي تشتمل على عامل الجدة (اللايقين النسبي لوقائع النص بالمقارنة مع الوقائع الاخرى المحتملة الحدوث)

٧- النصوصية: Intertextuality

وهي تتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص اخرى ذات صلة، ثم التعرف اليها في خبرة سابقة.

وفضلا عن هذه المعايير التأسيسيةالتي تعين اتصاف تشكيلة لغوية ما بصفة النصية، يمكننا تعريف معايير تنظيمية تستعمل لتعيين نوعية النص وتقويمه. ومن هذه المعايير التنظيمية: الجودة Efficiency، وتنجم جودة النص عن استغلاله في الاتصال مع تحقيق أكبر مردود وأقل جهد بحيث تتوافر سهولة معالجة النص، ومنها الفعالية Effectivity، أي شدة وقع النص وتأثيره في المستقبل بحيث يتوافر عمق المعالجة والاسهام القوي في تحقيق هدف المنتج: ومنها، اخيرا الملاءمة Appropriateness التي يقصد بها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق معايير النصية على النص المدروس.

م:٧حين يستغل المرء(مستقبلا اومنتجا) نصا ما، يقوم ببناء نموذج للمشارك الاخر (منتجا أو مستقبلا). وهو يتعدى ذلك احيانا الى بناء نموذج للنموذج الذي يكونه الشخص الاخر له.

غير أنه في جميع الاحوال، لا يستغني عن تكوين نموذج للنص ذاته، ويطلق على هذا النموذج اسم "عالم النص" وهو عبارة عن المعادل

المعرفي للنص كما يراه الشخص، ويتألف عالم النص من مجموعة من القضايا Propositions أي من علاقات بين مختلف المفاهيم.
ولا بد من وجود علاقات الاستمرارية التي تتمثل في الربط بين مختلف وقائع النص، واذا لم تكن احدى هذه العلاقات واضحة جلية فان مستغل النص، يعتبر عندئذ ازاء مشكلة يتعين عليه حلها، فيلجأ الى أسلوب حل المشكلات والى الاستنتاج بوجه خاص لسد الثغرات المختلفة بانواعها الثلاثة وهي الفجوات (عدم وجود رابطة بين مفهومين)، والانقطاعات (وجود رابطة بين مفهومين، لكنها تحتوي على موقع لا يشغله اي محتوى)، والمفارقات (اختلاف المعرفة التي يقررها عالم النص عن المعلافة المختزنة لدى الشخص من قبل عن العالم).
وفي جميع الاحوال، يقوم مستغل النص بمقابلة عالم النص بما لديه من خبرات معرفية سابقة، معتمدا في ذلك على اسلوب مزاوجة الأنماط، وهو يفضل الانماط الاعم في عملية المزاوجة على سواها في أغلب الحالات.
ويختلف نموذج عالم النص من شخص الى اخر، ويعود ذلك الى عوامل منها الاستنتاج والتحديث (أي تغيير في عالم النص بخصوص ما هو صحيح عند كل لحظة زمنية بحسب تأثير الحوادث في الموقف) وعدم التماثل وتوسيع الاستثارة (يقع توسيع الاستثارة حين تمس المادة التي يستثيرها النص مادة أخرى ذات صلة مختزنة في أذهان مستعملي النص). ويتصف نموذج عالم النص بأنه نموذج احتمالي الطابع، وذلك لأن الاتصال البشري يعتمد، في العادة، على وقائع احتمالية، ويتم التغلب على اللايقينية باللجوء الى مختلف الأدلة المتيسرة.
م:٨ دأب النحاة العرب، منذ القدم، على تقسيم الكلم الى ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف. وبالرغم من هيمنة هذا التقسيم الذي يستند الى معيار واحد (الاسناد) على الدراسات اللغوية، الا أنها عرفت تقسيمات مختلفة عنه كما نرى لدى عبد القاهر الجرجاني (٦٦٥:٦٤). والتقسيم المماثل عند تمام حسان (٦٣٦:٩٠) وهما يستندان الى عدة معايير.
ومن مزايا التقسيم عند تمام حسان اهتمامه بفكرة التضام، بمفهوم خاص، أي أن تستدعي كلمة كلمة أخرى ولا تقف بدونها (٦٣٦:٩٤).
ويقسم هذا النظام الكلم الى سبعة أقسام:
١) الاسم ٢) الصفة ٣) الفعل ٤) الظرف ٥) الضمير ٦) الاداة

(حروف الجر والعطف وغيرهما، وكلمات محولة عن أسماء أو أفعال أو ضمائر أو ظروف) ٧) الخالفة (كلمات افصاحية منها أسماء الأفعال وأسماء الأصوات وصيغ التعجب والمدح والذم).

وقد اعتمدنا تقسيما مقاربا لهذا التقسيم في دراستنا هذه، الا اننا نرى ضرورة ان يكون نظام التقسيم النهائي مختلفا بحيث يبرز اعتمادا اشد على مفهوم التوقعات من أحد أقسام الكلم الى قسم اخر لاحق له في ظاهر النص.

م:٩ ادى الاهتمام المسرف بظاهرة الاعراب الى تركز الدراسات النحوية عند العرب على الكلمة بقدر اكبر كثيرا من نصيب البني النحوية الكبرى الثلاث وهي: العبارة، والتركيب، والجملة، وهي بنى بالغة الاهمية في حصر التوقعات وليس في وسع اية دراسة جدية لعلم لغة النص الاستغناء عنها.

ويقوم الاسناد بدور أساسي في تمييز العبارة من البنيتين الاخريين. ومن أشكال الاسناد الفعل والفاعل ، والفعل ونائب الفاعل، والمبتدأ والخبر، وتتصف العبارة بخلوها من الاسناد، وتسمى العبارة في العربية شبه الجملة ومنها الجار والمجرور، والظرف وما يضاف اليه.

ويتسم التركيب بتوافر الاسناد فيه، ومن أنواعه ما يمكن أن يقوم بنفسه في هيئة جملة تامة ويسمى تركيبا مستقلا مثل: اجتمع المجلس، ومنها ما يعتمد على سواه من التراكيب ويدعى تركيبا تابعا أو غير مستقل مثل: عندما اجتمع المجلس. ومن أنواع التراكيب التابعة تركيب الصلة والتركيب الذي يبين السبب او المسوغ او الاتاحة والتركيب الظرفي الزماني وغيرها.

ومن قبل، كان النحاة العرب يطلقون مصطلح الجملة على التراكيب بوجه عام، غير ان المعاصرين يخرجون منها التراكيب غير المستقلة فحسب. وتجدر الاشارة الى عدم اتفاق علماء النحو على تعريف واحد للجملة (١٦: ١).

م:١٠ وضع كلارك وكلارك (٩٢:٥٩-٦٨) عددا من الاستراتيجيات لحصر التوقعات عند مواجهة البنى النحوية الكبرى. وفي وسعنا تقديمها على النحو التالي:

١) كلما صادفت كلمة وظيفية (أدوات ...) فابدأ بمكون جديد اكبر من الكلمة. (مثلا: تدل "في" على الدخول في عبارة).
٢) بعد التعرف على بداية مكون ما، ابحث عن كلمات المحتوى المناسبة لنوع ذلك المكون (مثلا: نتوقع بعد "في" كلمة تدل على حيز مكاني او زمني)).
٣) اعتمد على الشكل الصرفي في تقرير نوع الكلمة: اسم أو فعل أو صفة أو ظرف. (مثلا: يدل "يدرس" على فعل).
٤) بعد مصادفة فعل ما، ابحث عن العدد والنوع للموضوعات المناسبة له. (قارن: "ذبلت الوردة" مع أعطى البائع الولد الوردة").
٥) حاول ان تربط كل كلمة جديدة بالمكون السابق لها مباشرة. (قارن: "تذكر الرجل المسافر أخاه" مع تذكر الرجل أخاه المسافر").
٦) استعمل الكلمة الاولى (أو المكون الاساسي) في تركيب ما للتعرف على وظيفة ذلك التركيب في الجملة المستعملة (قارن: "اذا جاء" مع "الذي جاء").
٧) اعتبر التركيب الأول تركيبا اساسيا، الا، اذا ظهر عند الفعل الاساسي أو قبله (أو قبل الاسناد في العربية) ما يدل على خلاف ذلك. قارن "تسقط الطير حيث ينتثر الحب وتغشى منازل الكرماء"، مع "حيث يغزر المطر يكثر العشب").

م:١١ يمكننا الاستفادة من التبعيات القواعدية بين كلمات النص في توقع الروابط بين مفاهيم تلك الكلمات، وفيما يلي طائفة من الارتباطات التي تتصف بالأفضلية (١٦:٨٨) وهي تصل بين المستوى النحوي ومستوى المفاهيم:

١) مسند ومسند اليه:

أ) فعل - مسند اليه:

حدث - فاعل (ركض الولد)،

حالة - كيان (سعدت الطفلة)

ب) مسند اليه - مسند:

كيان - حالة (الطفل سعيد)،

كيان - خاصة (الزئبق سائل)،

كيان - مكان (القائد هنا).

٢) فعل - مفعول به:
حدث - كيان متأثر (أنقذني أخي).
٣) فعل - مفعول به أول:
حدث - كيان متاثر داخل في حالة (جعله سعيدا)
٤) فعل - مخصص :
حالة - حالة (بدت غاضبة)، حالة - خاصة (كان شهما).
حالة - مكان (ظل هنا).
٥) فعل مساعد - فعل:
زمن - حدث (كان يسافر)،
امكان - حدث (كاد يسافر).
٦) راس - مخصص:
ا) اسم - صفة:
كيان - حالة (كلب نائم)،
كيان - خاصة (عربي شجاع)،
فاعل - خاصة (قاتل شرس)،
كيان متاثر - خاصة (تاريخا مجيدا).
ب) فعل - ظرف:
حدث - خاصة (جاء مسرعا)،
حدث - مكان (جلس هناك)،
حدث - زمان (رجع امس)،
حدث - اداة (سافر بالطائرة).
٧) مخصص - مخصص:
خاصة - خاصة (كثيرا جدا).
٨) رأس - محدد
كيان - كمية (أشخاص ثلاثة)
٩) مكون - مكون:
كيان - مالك (كتاب التلميذ)،
فئة فرعية - فئة عليا (صفوف المدرسة)
فئة - مثال (مدينة القدس)،
جزء - كيان (رجل المنضدة)،
مادة - كيان (حديد الباب).

شكل - كيان (استدارة الوجه).

١٠) في العطف والفصل:

طبق على التشكيلة الثانية ما نجحت في تطبيقه على التشكيلة الاولى (نجح سعيد وفشل رائد).

١١) في الاتباع : الغاية (ادرس حتى تنجح)،

السببية (اذا درست نجحت)،

القرب الزمني. (جئت وقد طلعت الشمس).

ومن الجدير بالذكر هنا ان الصيغ الصرفية والحالات الاعرابية تقوم بدور بالغ الأهمية في توقعات المفاهيم في اللغة العربية.

م:١٢ لا يظهر مصطلح "علم لغة النص " في الدراسات اللغوية عند القدماء من علماء اللغة العربية، ولكن في وسعنا القول بوجود اسهامات قيمة والتقاءات بالغة الأهمية مع الأفكار التى يقدمها المحدثون الغربيون بهذا الشان ، ومن ابرز الأمثلة على ذلك نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والدراسات التطبيقية الواسعة لاعادة الصياغة عند ابن الأثير، والالحاح على اهمية الموقف الكلامي عند الجاحظ .

م:١٣ لعل اهم الدراسات المنهجية المتصلة بعلم لغة النص عند القدماء، هي التي نجدها لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الاعجاز، ونقصد بها نظرية النظم التي تدور في اكثرها حول معيار التضام. ويعرف عبد القاهر النظم بقوله (١٢١:م:٢):

"معلوم ان ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض ... فالاسم يتعلق بالاسم بان يكون خبرا عنه او حالا منه، او تابعا له صفة او تاكيدا ...).

وبقوله (١٢١:ص ٤٠٢) "ليس النظم شيئا إلا توخي معاني النحو واحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم ".

ويمكننا القول بان علم النظم عند عبد القاهر يعنى بدراسة التبعيات القواعدية من حيث علاقتها بالمفاهيم(١٢١:٢-٥، ٦٤-٦٥،٢٥٩) .

لم يكن عبد القاهر مهتما بدراسة معاني الكلمات المفردة في ذاتها وانما صرف اهتمامه الى دراسة العلاقات المتصلة بالمفاهيم بين تلك الكلمات.

وبالرغم من ذلك لم يفرد عبد القاهر نظاما خاصا بعلاقات المفاهيم، بل

اكتفى بشرحها من خلال التبعيات القواعدية، ولعل السبب في ذلك هو تشعب ابواب النحو العربي وتداخلها مع التقسيمات الاحتمالية للمفاهيم .
ويستعمل عبد القاهر مصطلح التضام في الكتاب نفسه في عدة مواقع فيقول: (٦٢١:٢٠١)
"ان الفصاحة لا تظهر في افراد الكلمات وانما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة : فقولهم (بالضم) لا يصح ان يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما، لأنه لو جاز ان يكون لمجرد ضم اللفظ الى اللفظ تاثير في الفصاحة لكان ينبغى اذا قيل "ضحك خرج" ان يحدث من ضم (خرج) الى (ضحك) فصاحة، واذا بطل ذلك لم يبق الا ان يكون المعنى في ضم الكلمة الى الكلمة توخى معنى من معانى النحو فيما بينهما. وقولهم على طريقة مخصوصة يوجب ذلك ايضا، وذلك لأنه لا يكون للطريقة اذا انت اردت مجرد اللفظ معنى" .
وقد خصص (دلائل الاعجاز) ابوابا كاملة لمقومات التضام من مثل :الحذف ، والاضمار، والتعريف والتنكير، والتقديم والتاخير، والفصل والوصل، وهو يشتمل ايضا على ملاحظات قيمة حول قضايا تظهر في كتابنا باسماء الاشارة السابقة (٦٢١:١٠٢، ٢٤٤) والاعلامية (٦٢١:٢٢١، ٢٤١) وعالم النص (٦٢١:٤٠٥) والمعرفة بالعالم (٦٢١:٢٢٠، ٢٢٨) واعادة الصياغه (٦٢١:٢٢٧، ٢٤١) وتعريف الاسلوب (٦٢١:٢٦١) والمنظور الوظيفي للجملة (٦٢١:١٠١، ١٠٢).
م:١٤ تتوزع الدراسات اللغوية المتصلة بالتقارن لدى القدماء من علماء العربية في مجالين اولهما: علم النحو الذي لا تقوم تقسيمات الفئات والأبواب فيه على اسس نحوية بحتة وانما تستند ايضا الى انواع المفاهيم المختلفة كالتمييز والاضافة والحال والاستثناء والعدد وغيرها.
وثانيهما:علم البلاغة، حيث يجد المرء تقسيمات بالغة التفصيل لأنواع العلاقات بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ومن علاقات المجاز المفرد مثلا نجد:التضاد، والسببية، والمسببية، والالية، والكلية، والجزئية (٦١٤:١٩٨) . وقد جمع عبد القاهر الجرجاني بين الجانبين السابقين في نظريته عن النظم، وأطلق على المعاني المستخدمة في دراساته اسم "المعاني النحوية" .
ومن قبل، كان الجاحظ قد استعمل مصطلحا قريبا من مصطلح التقارن

وهو "القران" الذي يعلق عليه احد الباحثين المعاصرين (٦٥:٦٦٢) بقوله، "ان يشد الابيات الى بعضها في قصيدة الشعر رابطة المعنى او الموقف الذي يعبر الشاعر عنه وهو اوسع من مراعاة النظير الذي يقوم على حسن المجاورة بين المعاني المتناسبة في البيت".

م:١٥ يجد المرء اشارات قيمة الى اهمية الاعلامية باعتبارها مقياسا لعدم التوقع يجدها موزعة فيما كتب علماء النقد والبلاغة العرب ومنها، مثلا، فكرة "الغرابة" عند حازم القرطاجني في منهاج البلغاء حيث يقول (٩٠:٦٩٥):

"وكلما اقترنت الغرابة والتعجيب بالتخييل كان ابدع ... والتعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقل التهدي الى مثلها، فورودها مستندر مستطرف لذلك: كالتهدى الى ما يقل التهدى اليه من سبب للشيء تخفى سببيته، او غاية له، او شاهد عليه. او شبيه له او معاند، وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها احدهما الى الاخر، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس ان تستغربها".

ويقول فى (١٧٢:٦٩٥) :

"ووجوه الاغماض في المعاني : منها ما يرجع الى المعاني انفسها، ومنها ما يرجع الى الالفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى، ومنها ما يرجع

ويقول فى (١٧٢:٦٩٥) :

"ووجوه الاغماض في المعاني : منها ما يرجع الى المعاني انفسها، ومنها ما يرجع الى الالفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى، ومنها ما يرجع
الى المعاني والالفاظ معا".

ويقول عبد القاهر (١٢٦:٦٣١):

"وذلك ان فى البيان اذا ورد بعد الابهام وبعد التحريك له ابدا لطفا ونبلا" بل اننا نجد عند ابن الاثير تطبيقا شاملا لما نسميه "خفض المنزلة الاعلامية" بجوانبه الثلاثة: الامامي والخلفي والخارجي (٦٠٧:ج٩٤١-٩٦١).

م:١٦ ويتجلى الاهتمام بالموقفية لدى علماء البلاغة العرب في الشعارات التي لا يكاد يخلو منها اي كتاب بلاغي، والتي تظهر ما للموقف من اهمية ومن بينها: "لكل مقام مقال" و " مراعاة مقتضى الحال "وقد الح الجاحظ على ذلك، ففي صحيفة بشر بن المعتمر (٦٢٩:ج١:١٣٦_١٣٩):

"ينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني، ويوازن بينها وبين اقدار

المستمعين، وبين اقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني، ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات، واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات "

وقد ذهب علماء البلاغة العرب الى ابعد من هذا فذكروا ان لكل كلمة مع صاحبتها مقاما(٦٣٦: ٢٠).

وتعرضوا ايضا للاستراتيجيات التي يتبعها منتجو النصوص في الجدال (٦٢٢: ١١٧ - ١٢٧، ٧٢١: ١٧٦-١٩٨).

م:١٧ يجد الباحث عن الدراسات المتعلقة بالقصدية والتقبلية مادة وفيرة للبحث في مؤلفات الجاحظ، كالبيان والتبيين، والحيوان، وغيرهما، وفي الحق ان البيان العربي باسره قد اتبع اسلوب الجاحظ، لفترة طويلة من الزمن، ذلك الاسلوب الذي يهتم بتشويق القارىء والانتقال به من موضوع الى اخر خشية الاملال، كما يهتم بالاكثار من الطرائف والنوادر على حساب المادة الرئيسة المكتوبة .

ويقدم الراغب الاصفهاني التعريف التالي للبلاغة (٦١٢) ".. ان يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له، وهو ان يقصد القائل امرا فيورده على وجه حقيق ان يقبله المقول له"

وظاهرة تقبل السامع (المستقبل) للنص هي احد الاسباب المهمة في استهلال القصيدة العربية الكلاسيكية بالغزل والنسيب، ومن هذا المنظور يمكننا ايضا فهم الحاح علماء البلاغة على ادخال موضوع "الاحتراز مما يثير التطير" في ابواب علم البلاغة (٧٠٩: ٢٧١-٢٨٤).

وكذلك موقف النقاد ازاء ابي تمام الذي يتلخص في الرواية المشهورة : " فقال له رجل، يا ابا تمام : لم لا تقول من الشعر ما [يفهم]، فقال : وانت لم لا [تفهم] من الشعر ما يقال(٧٠٩: ٤٩٩).

وفي وسعنا عقد مقارنة بين مبادىء غرايس في هذا الكتاب (قارن، ٦: ٩-١١) وبين التوصيات المذكورة في كتاب الصناعتين للعسكري (٦٨١: ٢٩) التي تنص على :

"واعلم ان حق المعنى ان يكون الاسم له طبقا، وتلك الحال له وفقا، ولا يكون الاسم فاضلا، ولا مقصرا؛ ولا مشتركا، ولا مضمنا؛ ويكون تصفحه لمصادر كلامه بقدر تصفحه لموارده ؛ ويكون لفظه مونقا، ومعناه نيرا

واضحا. ومدار الأمر على افهام كل قوم بقدر طاقتهم ... "

م:١٨ وقد استحوذت النصوصية على قطاع واسع من الاهتمام في الدراسات النقدية والبلاغية العربية، ومن اهم هذه الدراسات : السرقات الشعرية، والاقتباس والتضمين، وحل المنظوم .

وفي القرن الرابع الهجرى وما بعده. اتخذ موضوع السرقات شكلا واضحا جليا في شتى الكتب البلاغية والنقدية كما في "الموازنة" للامدى، و "الرسالة الحاتمية"، و "المنصف" لابن وكيع، و "الابانه" للعميدي (٦٧٥) ثم اصبح موضوع السرقات جزءا لا يتجزأ من الدراسات البلاغية كما في التلخيص للقزويني وغيره.

ويعد موضوع الاقتباس والتضمين احد ابواب البلاغة عند العرب، وهم يعنون بالاقتباس، في الغالب، ما يستغله الكاتب من نصوص القران الكريم والحديث كما يقصدون بالتضمين الأخذ من نصوص الاخرين بوجه عام .

اما حل المنظوم الذي يقارب مفهوم اعادة الصياغة في منهاجنا فهو الأسلوب الاساسي الذي اعتمده ابن الأثير في التأليف، واعتمده الوسيلة الصحيحة لكتابة الانشاء.

ويقارب هذا المذهب مذهب ابن خلدون، في ضرورة حفظ النماذج ليصبح الشاعر شاعرا حين يقول (٦٧٥:٦٢٠): " وربما كان من الخير له، لو زالت من ذهنه المحفوظات وبقيت رسومها فانه عندئذ يكون اكثر اعتمادا على نفسه فى اجتلاب التراكيب."

م:١٩ حاولنا في الفقرات السابقة ان نعرف القارىء بالمبادىء والاتجاهات والغايات التي يتصف بها علم لغة النص كما شرحه دريسلر و ديبوغراند في كتابهما (مدخل الى علم لغة النص)(٦٠٥). واتبعنا ذلك التعريف بملاحظات حول صيغة مقترحة لأقسام الكلم في اللغة العربية، وبعض الاسهامات القيمة للقدماء من علماء اللغة العرب في مجالات ذات صلة بعلم لغة النص.

ويتفق كتابنا هذا مع الكتاب المذكور اعلاه في ترتيب ابوابه ومحتواها، مع حرصنا الدائم على الاستشهاد بنصوص عربية قديمة وحديثة كلما امكن ذلك .

تشتمل الابواب التالية في هذا الكتاب على مقدمة حول معايير علم لغة النص، وعلى باب ثان حول التطور التاريخى لهذا العلم، وباب ثالث حول المدخل الاجرائي الذي يقوم عليه هذا العلم، اما الأبواب السته التالية فتعالج معايير النصية السبعة، ويقدم الباب العاشر مجملا عن التطبيقات الاساسية لعلم لغة النص.

وقد اتبعنا هذه الأبواب بباب أخير يشتمل على تطبيق علم لغة النص، بمختلف جوانبه، على نص عربى من القران الكريم وهو الاية ٤٤ من سورة هود ..

وبعد ،

فهذه دعوه نوجهها الى المهتمين بعلم اللغة من ابناء الضاد، لاستشراف الافاق الجديدة التى تضمنتها صفحات هذا الكتاب، من اجل استغلال الادوات الفعالة التى يقدمها للباحثين في مختلف حقول المعرفة والنشاط البشرى كالتدريس والترجمة والانشاء وتحليل النصوص ونقدها وغير ذلك .

ونحن على ثقة من ان العربية التي انجبت الجاحظ والخليل وعبد القاهر قادرة ايضا على انجاب علماء معاصرين اصلاء، يعيدون بناء علوم النحو والبلاغة والنقد وغيرها، ويقومون بواجب الامة في دفع عجلة التقدم المعرفي الانساني الى الأمام.

افكار أساسية

١:١ سنقدم فيما يلي ستة نماذج لغوية تبدو متماثلة في بعض الجوانب، مختلفة في سواها:

[١] تمهل

أطفال

فى الطريق

(٦.٥:ص ٢)

[٢] السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين

والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

(٧.٢:ص ٧٨٤)

[٣] يعد "ويلي ب"،البالغ من العمر عشرين عاما، واحدا من كبار المدمنين لمشاهدة التلفزيون، وهو لا يحب الاخبار والمشاهد الكلامية وانما يحب مباريات كرة القدم ويستبد به الهياج عند رؤية دعايات الاطعمة، وفي بعض الاحيان يندفع مسرعا صوب الجهاز وهو يلوح بقبضته نحوه، وفي ذلك يقول احد الأصدقاء:انه كالطفل الصغير.

ان "ويلي ب" هذا هو غوريلا يزن ٤٥٠ باوندا ويقيم في حديقة حيوانات اطلانطا. وفي شهر كانون الأول الماضي، انتهت الى مسمع احد باعة التلفزيون في ولاية تنيسي اخبار "ويلي ب" وما يحس به من وحدة ووحشه في حديقة الحيوانات، فرق له وأهداه جهاز تلفزيون. (٦.٥:ص ٢)

[٤] أغرق المصريون في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ المدمرة الإسرائيلية ايلات وكانت على بعد ١٢ ميلا في البحر المتوسط من بور سعيد. رموها بقذائف صاروخية نالتها مباشرة وأغرقتها في دقائق .

أما السفينة التي استخدمها المصريون، فقارب سريع من قوارب الخفر، صنعه

الروس. اما القذيفة فطائرة صغيرة بلا طيار يسميها رجال الغرب styx 20 تمييزا لها. ولها جناح طوله عشرون قدما. وهي تحمل المتفجرات التي تنفجر عند اصابة الهدف. والذي حمل هذه الطائرة الى هدفها انما هو صاروخ وضع في اسفلها وارتبط في اسفلها واطلق فاخذت هذه القذيفة الطائرة سبيلها الى المدمرة. (٦٥٨:ص ٤٩٧)

[٥] وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقضي الأمر، واستوت على الجودي، وقيل بعدا للقوم الظالمين. (٦٩٣:سورة١١:أيه٤٤)

[٦] لو سكنت

.... لو سكنت ، كما قلت ، صوتي

لكنت اهتديت

للطريق ومعراجها واكتسيت

حلة السالكين

للطريق ومعراجها واكتسيت

حلة السالكين

يشربون الشموس وابعادها

ولكنت ارتويت

لو سكنت ، كما قلت ، صوتي

وكنت العرافة

ومناراتها القزحية

بين ايامنا الورقية

وثلوج المسافة

ولكنت اهتديت .... (٦١٠:مج٢:ص ٤٥٨)

١:٢ يعتبر كل ما سبق أمثلة لنصوص مستعملة في المقال. وتدل الطرق التي يمكن ان تستعمل بها على انها تنتمي الى أنواع من النصوص: اذ ان [١] اشارة مرور و [٢] وصف لمنظر طبيعي و [٣] بند في الأخبار و [٤] بند أخر في الأخبار و [٥] نص من القرآن و [٦] قصيدة من الشعر الحديث ويبدو من المنطقي ان يتطلب المرء من علم مختص بالنصوص المقدرة على تقديم وصف أو تفسير لكل من الملامح المشتركة والفروق القائمة بين هذه النصوص او هذه الأنواع من النصوص. ويستلزم الأمر ان نكتشف المعايير التي ينبغي أن تلبيها النصوص وكذلك كيفية انتاجها واستقبالها والغايات التي من اجلها يستعمل الناس تلك النصوص، في مقامات معلومة. ان الكلمات والجمل الواردة في صفحة ما تعد ادلة موثوقا بها، غير انها ليست قادرة على تمثيل الصورة الكلية للنص. والمسألة الأكثر الحاحا هي: كيف تقوم النصوص بدورها في التفاعلات البشرية.

١:٣ سوف نعرف النص على أنه واقعة اتصال تلبي سبعة معايير للنصية. واذا اعتبر أحد هذه المعايير السبعة غير متحقق، فان النص لا يتسم بالإتصاليه انذاك. ولذا، فاننا سنعالج النصوص غير الاتصالية هنا باعتبارها غير نصوص (ر.ف. ٨:٢). وفي هذا الفصل، سنقدم اجمالا غير

واذا اعتبر أحد هذه المعايير السبعة غير متحقق، فان النص لا يتسم بالإتصاليه انذاك. ولذا، فاننا سنعالج النصوص غير الاتصالية هنا باعتبارها غير نصوص (ر.ف. ٨:٢). وفي هذا الفصل، سنقدم اجمالا غير
رسمي لمعايير النصية السبعة ثم نخصص فصلا منفردا لكل منها فيما بعد.

١:٤ المعيار الأول: التضام

سوف نسمي معيار النصية الأول باسم التضام، وموضوعه ما يقوم بين مكونات ظاهر النص، او الكلمات الفعلية التي نسمعها او نبصرها من ترابط متبادل ضمن تتال لغوي معين. وتعتمد مكونات ظاهر النص بعضها على بعض وفقا للأعراف والأشكال القائمة في علم القواعد، اي ان التضام يعتمد على التبعيات القواعدية. وكما أشار اللغويون في كثير من الأحيان فانه لا مندوحة عن وقوع اختلال عند القيام باعادة ترتيب جذرية للتتاليات اللغوية في لغة ما. ولن نتمكن من تحقيق شيء ذي بال اذا نحن قمنا مثلا بتحويل النموذج [١] ليصبح على النحو التالي:

[١]أ أطفال
في تمهل
الطريق

ثم توجهنا بعدئذ الى سلطة السير بطلب استعمال هذا النموذج اشارة للمرور. ان السلسلة اللغوية ستكون مفككة آنذاك بحيث يتعذر على السائقين التعرف على العناصر التي يرتبط بعضها ببعض فيها. وغني عن البيان ان التبعيات القواعدية في ظاهر النص تعد علامات ذات شأن في فرز المعاني والاستعمالات. وسوف ندرج في اطار فكرة التضام جميع الوظائف التي يمكن استعمالها بصفة اشارات تدل على العلاقات القائمة بين عناصر ظاهر النص.

٥:١ لاحظ ان النموذج الأصلي :

[١] تمهل
أطفال
في الطريق

يمكن ان يتم تقسيمه الى تبعيات قواعدية مختلفة، وفي وسع بعضهم تأويله بانه اعلان عن "اطفال قد تمهلوا في الطريق" مثلا. غير ان رد الفعل الأكثر احتمالا هو تقسيم النص الى جملتين هما: "تمهل" و " أطفال في الطريق " ويستتبع ذلك ان يقوم السائقون بتخفيف السرعة لتجنب تعريض الأطفال في الطريق للمخاطر. ان من شأن علم مختص بالنصوص أن يقدم لنا تفسيرا لوقوع جوانب ابهام كهذه في مستوى النص، وكذلك كيف يمكننا تفادي معظم تلك الجوانب أو حلها بدون صعوبة. وكما سوف نرى، ليس ظاهر النص شيئا حاسما بذاته، ولا بد من قيام تفاعل بين التضام ومعايير النصية الأخرى من اجل تحقيق جودة الاتصال (ر.ف. ٣:٤).

١١:٦ <u>المعيار الثاني : التقارن</u>

سوف ندعو المعيار الثاني من معايير النصية باسم التقارن. وهو

يدرس ما تتصف به مكونات عالم النص (اي تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يستند اليها ظاهر النص) من وثاقة صله وسهولة تواصل فيما بينها. وفي وسعنا تعريف المفهوم بانه تشكيلة من المعرفة (اي محتوى معرفي) يمكن استرجاعها او استثارتها بقدر ما من الوحدة والاتساق في الذهن (ر.ف. ٥:٤). أما العلاقات فهي الروابط القائمة بين المفاهيم والتي تتجلى معا في عالم النص، وتشتمل كل رابطة منها على تسمية للمفهوم الذي تتصل به، فمثلا تعد كلمة "أطفال" في "أطفال في الطريق" مفهوما لشيء، كما تعد كلمة "تمهل" مفهوما لحدث، وهنا تقوم علاقة المكان بين الأطفال والطريق (ر.ف. ٥:٢٦). وفي بعض الأحيان، وليس دائما، نجد ان العلاقات غير متمثلة بصراحة في النص، اي أنها لا تحظى باستثارة مباشرة من خلال تعبيرات ظاهر النص (ر.ف. ٥:٤) وانما يقوم المرء بتزويد ما يلزم من العلاقات لاستخراج المعنى من النص. وفي اشارة المرور [١] نجد ان تمهل بصيغة الأمر للمخاطب أكثر افادة للمعنى المقالي من افتراضها بصيغة فعل ماض متجه الى الأطفال أنفسهم.

٧:١ في وسعنا ان نقدم توضيحا مناسبا لفكرة التقارن، وذلك بالاعتماد على مجموعة من العلاقات تندرج تحت مصطلح السببية، وهي علاقات تتصل بالطرق التي يؤثر بها حادث او موقف ما على شروط حادث او موقف اخر. ففي نموذج من مثل:

[٧] شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم (٦٨٧:ج٢:ص ١٧٤)

يعد حادث "الشرب" سببا لحادث "السكر"، وذلك لأنه أوجد الشروط الضرورية لوقوع الأخير. أما النموذج التالي فيشتمل على نوع أضعف من أنواع السببية:

[٨] غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون (٦٩٢:ج٢:ص ٤٣)

فهنا نرى أن عمل "الغرس" قد أوجد الشروط الكافية، لا الضرورية، لعمل "الأكل" (أي جعله ممكنا، دون ان يجعله ضروريا). وفي وسعنا تسمية هذه العلاقة باسم الاتاحة .

١ :٨ غير ان العلاقتين السابقتين لا تشتملان على جميع أنواع السببية، ففي نموذج من مثل :

[٩] انقذيني من الأسى فلقد أمسيت لا استطيع حمل وجودي (٦٦٨:ص ٣١٠)

نرى ان الانقاذ هنا ليس مسببا عن العجز ولا متاحا به، ولكنه بالرغم من ذلك نتيجة مسوغة ومتوقعه. ونستطيع استعمال مصطلح مسوغ للدلالة على العلاقة التي يستتبع فيها حدث سابق حدثا أخر، بحيث يكون هذا استجابة عقلانية لذاك. وخلافا لهذا المثال نجد ان "السكر" في النموذج [٧] كان امرا ضروريا في ذاته (أي انه ليس بوسعنا طرح المسالة: ما الذي جعله يرغب في تحقيق ذلك) (٥٧٩)

ان ايا من العلاقات السابقة وهي السببية والاتاحة والتسويغ لا تطابق

١ :٩ العلاقة التي هي عرضة للدرس في النموذج التالي:

[١٠] وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٦٩٣:سورة٥١:أيه٥٦)

فالحدث الاول، وهو الخلق، يتيح وقوع الحدث الثاني، وهو العبادة. بيد ان فرقا ذا شأن يكمن بين النموذجين [٨] و [١٠]. ففي حين يشتمل النموذج [١٠] على خطة الفاعل، نجد ان الفارس لم يقم بعمله بالضرورة من أجل اتاحة قيام الأخر بالأكل في [٨]. ويمكننا أن نستعمل مصطلح "غاية" للدلالة على الحادث أو الموقف الذي يخطط لاتاحته من خلال موقف أو حادث سابق.

١٠:١ لدينا طريقة اخرى لرؤية الحوادث او المواقف وهي ترتيبها في الزمان . ففي حين تشتمل السببية والاتاحة والتسويغ على اتجاهية أمامية، اي ان الحادث او الموقف السابق يقدم سببا او اتاحة او تسويغا للحادث او الموقف اللاحق، نجد ان للغاية اتجاهية خلفية، بمعنى ان الحادث او الموقف اللاحق هو غاية للسابق. وقد تكون العلاقات الزمنية علاقات بالغة التعقيد، تعتمد على تنظيم الحوادث او المواقف الخاصة المعنية. و تجدر الإشارة هنا الى ان علاقة القرب الزمني يمكن تعيينها بطرق عدة وفقا لحدود الحوادث. ففي المثال:

[١١] فحشر فنادى فقال انا ربكم الأعلى ، (٦٩٣:سورة ٧٩:أية٢٣)

نلحظ قربا زمنيا واضحا بين تتاليات الأحداث الثلاثة .

١١:١ سوف نؤجل مناقشة علاقات التقارن الأخرى (ر.ف. ٥:٢٥ل) ونكتفي هنا بالإشارة الى أننا قد تجاوزنا مفهوم النص بعض التجاوز، تجاوزناه كما يتجلى بالفعل في عالم الصوت أو الطباعة. وغني عن البيان أن التقارن ليس ملمحا للنص وحده، وإنما هو نتاج العمليات المعرفية لدى مستعملي النص. إن محض تجاور الحوادث او المواقف في النص سيؤدى الى استثارة العمليات التي تسترجع علاقات التقارن او تبدعها. وفي وسعنا ان نلحظ هذه النتيجة في النموذج :

[٢] السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

يشتمل النص الصريح هنا على مجموعة من الأحداث والحالات (الركض، البدو) وتشتمل العلاقات المعروضة على علاقتي الفاعل والمكان، وهي تخلو من علاقة الكيان المتأثر (المفعول) مثلا. (لفهم معاني هذه المصطلحات انظر (٥:٢٦ل)(٥:٢١ل) على أنه من المحتمل، وبفضل تشكيلة النص وحدها، ان يعتبر مستقبلو النص الحدث متاحا بالوجود

في المكان، وان يعتبروا كذلك ان امكنة الكيانات المعروضة في النص قريبة من بعضها بعضا - في الأفق الغربي مثلا - وربما اعتبروا ان الأحداث والحالات متقاربة في الزمان . وقد يذهبون الى افتراض ان القصد من الحالات الأشارة الى خواص الكيانات المستعملة في النص (فالسحب خائفة، والشمس مريضة ، والبحر خاشع). وسوف نطلق مصطلح الاستنتاج على عملية اضافة المرء معرفته الخاصة من أجل اضفاء الوحدة على عالم النص (ر.ف. ٥:٢٢ـ٢٥).

١٢:١ لقد افدنا من التقارن في توضيح طبيعة علم النصوص بصفتها نشاطات بشرية. فالنص لا يفيد معنى بذاته، وانما يتم ذلك بالتفاعل بين المعرفة التي يقدمها النص وما لدى المرء من معرفة مختزنة عن العالم (٤٢٢)(ر.ف. ٩:٢٤ـ٤٠). وينتج عن هذا ضرورة قيام تعاون بين علماء لغة النص والباحثين في علم النفس المعرفي من أجل استكشاف بعض الأمور الأساسية من مثل المعنى المقالي للنص. ويلحظ المرء هنا أيضا ضرورة ان تكون النظريات والطرق ذات صبغة احتمالية لا حتمية، اي انها تعرض ما هو الحال في العادة وليس دائما. واذا كان بوسع المستعملين المختلفين للنص تكوين معان مقالية مختلفة بعض الشيء، فاننا نجد عند اغلبهم، بالرغم من ذلك، نواة مشتركة متسعة للمحتوى والعمليات المحتملة، بحيث لا تصبح فكرة معنى النص فكرة مفرطة في عدم الاستقرار (ر.ف. ١:٥).

١٢:١ المعيار الثالث : القصدية

يعد التضام والتقارن من الأفكار المتمركزة حول النص، أي التي تشير الى عمليات متجهة صوب مادة النص. وفضلا عن هذا النوع من الأفكار، يحتاج المرء الى افكار متمركزة حول مستعمل النص، وهي ذات تأثير على نشاط الاتصال من خلال النصوص بوجه عام. سواء اكان ذلك من قبل المنتجين ام المستقبلين. وسوف نطلق على المعيار الثالث من معايير النصية اسم القصدية، وموضوعه اتجاه منتج النص الى ان تؤلف مجموعة الوقائع نصا متضاما متقارنا ذا نفع عملي في تحقيق مقاصده، اي في نشر معرفة او بلوغ هدف يتعين من خلال خطة ما. ويمكننا اعتبار التضام والتقارن انفسهما هدفين اجرائيين يصعب التوصل الى اهداف

المقال الاخرى بدونهما. بيد ان مستعملي النص يأخذون انفسهم، في العادة، بشيء من التساهل ازاء المنتجات التي تفرض احوال وقوعها بعض المصاعب، في سبيل تحقيق التضام والتقارن معا (ر.ف. ٦: ٢ل)، ولا سيما في مجال المحادثات العارضة. ان نتاجا هجينا كما في المثال التالي من كولتهارد (١١٤)

[١٢] حسنا ، في أي بلد ، اين تسكن ؟ . (١١٤:ص ٧٢)

لن يؤدي الى اخلال في الاتصال، ذلك لأنه ما يزال نافعا، لتحقيق الهدف الأعلى، ونعني به اكتشاف عنوان الشخص المخاطب بالرغم من ان الهدف التابع، وهو الحفاظ على التضام، لم يتحقق على الوجه الأكمل. اما اذا ذهب منتج النص الى تحدى التضام والتقارن، فان الاتصال سيتضعضع (ر.ف. ٩: ١٥ل) وربما انتهى به الأمر الى وضع الانهيار التام .

١: ١٤ المعيار الرابع : التقبلية

أما المعيار الرابع للنصية فهو تقبلية النص، وموضوعه اتجاه مستقبل النص الى ان تؤلف مجموعة الوقائع اللغوية نصا متضاما متقارنا ذا نفع للمستقبل او صلة ما به، اي اكتسابه معرفه جديدة. او قيامه بالتعاون لتحقيق خطة ما. ويستجيب هذا الاتجاه لعوامل من مثل نوع النص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف. وهنا ايضا يمكننا اعتبار المحافظة على تضام النص وتقارنه من جانب المستقبل هدفا قائما بذاته، فيرى رأيه في تزويد مادة ما او التساهل ازاء جوانب الاختلال في تضام النص وتقارنه. ان عملية الاستنتاج المذكورة في (١: ١١) توضح بجلاء تام كيف يعزز مستقبلو النص التقارن ، وذلك باسهاماتهم الخاصة في المعنى المقالي للنص .

١: ١٥ قد يؤدي خضوع تقبلية النص للتقييد الى تحول الاتصال عن مجراه، ولذا يعتبر من قبيل عدم التعاون او ضعف القدرة على تحقيقه ان يقوم مستقبل النص بطرح أسئلة حول تقبلية النص، في حين يحاول المنتج المضي بقصديته الى غايتها.

[١٣] يقول الجاحظ: أتيت منزل صديق لي فطرقت الباب ، فخرجت الي جارية سندية فقلت لها: قولي لسيدك: الجاحظ بالباب. فقالت: أقول الجاحد بالباب. قلت: لا بل قولي : الحدقي في الباب. فقالت: الحلقي في الباب ؟ فقلت لها : لا تقولي شيئا، وانصرفت .

(٧٠٦:ص ١٦)

١٦:١ كثيرا ما يغامر منتجو النصوص باعتمادهم على اتجاه التقبلية لدى مستقبل النص، فيقدمون نصوصا تحتاج الى اسهامات مهمة لتحقيق المعنى. ومن هذا القبيل التحذير الذي وجهته شركة "بيل" للهواتف الى الجمهور

[١٤] استدعونا قبل مباشرة الحفر، فقد تعجزون عن ذلك فيما بعد. (٦٠٥:ص ٨)

وللمرء ان يستنتج ما يتمخض عنه الحفر بدون استدعاء الشركة من امكان قطع اسلاك التوصيل، ومن ثم فقدان الأسلاك اللازمة للاستدعاء، بل امكان الاصابة بأضرار جسمانية والتعرض للعجز. ومن الأمور المحيرة حقا أن [١٤] اكثر فعالية من صورة النص التي تعرض كل شيء بصراحة تامة (بالمعنى الوارد في (٦:١)، من مثل :

[١٤]أ استدعونا قبل مباشرة الحفر، فقد ينطوي العمل على قطع سلك التوصيل تحت الأرض ، واذا قطع هذا السلك فانكم لن تفلحوا في استعمال الهاتف، وربما اصابتكم صدمة كهربائية حادة، وعندئذ لن تقدروا على استدعائنا البتة .

من الواضح ان قناعة مستقبلي النص ستكون أكثر قوة عند قيامهم بتزويد محتواه بانفسهم. ويصبح الامر وكانهم يقدمون ذلك القول بانفسهم (قارن. ٢٨:٧، ٢٠:٨). إن النموذج [١٤] اكثر اعلامية من النموذج [١٤]أ وهذا هو العامل الذي يؤلف المعيار التالي للنصية.

١٧:١ <u>المعيار الخامس : الاعلامية</u>

يدعى المعيار الخامس للنصية باسم الاعلامية، وموضوعه مدى التوقع

الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، او المعلوم في مقابل المجهول. وفي النموذج [١٤] يعد القول بانكم "تعجزون عن ذلك فيما بعد" اكثر ابتعادا عن التوقع من نظيره في [١٤]أ. وفي الحق ان معالجة الوقائع ذات الاعلامية المرتفعة تتطلب بذل جهد اكثر من الحالة الأخرى، بيد أنها اكثر امتاعا منها، وينبغي أن يلتزم المرء جانب الحيطة والحذر كيلا تنوء قدرة المستقبلين على معالجة المعلومات بالعبء الى حد تعريض الاتصال للخطر .

١ :١٨ ان لكل نص حظه من الاعلامية. فمهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع، فانه لا مندوحة عن وجود بعض الوقائع المتغيرة التي يتعذر التنبؤ بها بحذافيرها. ومن المحتمل ان يؤدي ضعف الاعلامية بوجه خاص الى الارتباك، والى الملل، بل الى رفض النص في بعض الأحيان. وفيما يلى مقطع افتتاحى من مقال بعنوان : تعلموا... كيف تصبحون عربا، ليوسف ادريس :

[١٥] نحن عرب والانجليز انجليز

(٦٠٩:ص ٧٤)

ان الحقيقة المعروضة في هذا النص معروفة للقاصي والداني، ويبدو ان لا فائدة من ذكرها ههنا. ان مقطع النص واضح التضام والتقارن. وما من شك في توافر قصد الكاتب بقبول النص على النحو الذي ورد به. بيد انه نص هامشي، وذلك لخلوه من الاعلامية. ولا تتجلى سلامة النص الا بعد الاطلاع على سائره :

[١٥]أ نحن عرب والانجليز انجليز لأن لنا خصائصنا ولهم خصائصهم، وغناؤنا أحد خصائصنا، ولا يمكن أن نصبح عالميين بترجمة خصائصنا العربية الى خصائص انجليزية، لأننا بهذه الترجمة نلغي خصائصنا؛ نلغى كياننا، ولا يمكن ان نصبح عالميين ونحن بلا كيان، تماما كالزنجي الذي يسلخ جلده ويركب لنفسه جلدا ابيض ليصبح عالميا فتكون النتيجة ان يصبح مسلوخا مشوها ... (٦٠٩:ص ٧٤)

إن توكيد الحقيقة البديهية في [١٥] انما يقوم بدور انطلاق لتوكيد امر اكثر اعلامية، وليس دليل ظاهر النص في واقع الامر سوى مقدمة للتعديل اللاحق والاقل نصيبا من التوقع، مما يؤدي الى رفع مستوى اعلامية الفقرة باسرها (ر.ف. ١٦:٧).

١:١٩ **المعيار السادس : الموقفية**

سوف نسمي المعيار السادس من معايير النصية باسم الموقفية، وموضوعه العوامل التي تجعل للنص صلة بموقف مرتبط بواقعة ما. وكنا قد لاحظنا في (١:٥) ان بوسع المرء معالجة

[١] تمهل
أطفال
فى الطريق

بطرق شتى، وان يكن الاستعمال المقصود الأكثر احتمالا امرا واضحا تمام الوضوح. ان السهولة التي تمكن المرء من البت في هذه القضية تعود الى تأثير الموقف الذي يعرض فيه النص. وفي حالة النموذج [١] كانت اشارة المرور موضوعة في مكان تتعرض فيه طائفة معينة من المستقبلين، اي السائقين، لتبعة القيام بعمل معين. وما من شك في ان اعتبار كلمة "تمهل" - فعل امر - مطالبة بتخفيف السرعة امر معقول بقدر اكبر بكثير من اعتبارها فعلا ماضيا - مسندا الى اطفال في الطريق -. ثم ان في وسع المشاه القول بان ليس لهذا النص صلة بهم. اذ ان سرعتهم لن تلحق ضررا باحد. وهكذا نرى ان المعنى المقالى للنص واستعمال النص يتحددان من خلال الموقف .

١:٢٠ بل ان للموقفية تأثيرها في وسائط التقارن. وفي وسعنا القول بان نسخة للنص كالاتي :

[١]ب ينبغي ان يتقدم السائقون ببطء، وذلك لوجود اطفال يلعبون في الجوار، وقد يندفع هؤلاء الى الشارع.ان بوسع السيارةالتوقف بسهولة اكبر اذا كانت حركة

سائقها بطيئة .   (٦.٥:ص ١٠)

هذه النسخة سوف ترفع كل شك ممكن حول المعنى والاستعمال وجماعة المستقبلين المقصودين. غير ان هذا النص لن يكون مناسبا لموقف لا يمنح فيه المستقبلون في العادة، سوى وقت واهتمام محدودين للاطلاع على اشارات المرور في زحام وقائع السير الاخرى. ان هذا الاعتبار سيدفع منتج النص الى جانب الأسراف في الاقتصاد. وهكذا نرى ان للموقفية من شدة التأثير ما يجعل النسخة المصغرة للنص أي [١] اكثر ملاءمة من النسخة الواضحة [١] ب .

١:٢١ المعيار السابع : التناصية

أما المعيار السابع فهو التناصية، وموضوعه تلك العوامل التي تجعل استغلال احد النصوص معتمدا على معرفة نص سابق أو أكثر من النصوص التي تعرف عليها مستقبل النص في الماضي. ومن المحتمل أن يواجه السائق الذي شاهد اشارة المرور [١] اشارة مرور أخرى بعد مواصلة السير في الشارع من مثل :

[١٦] استانف السرعة   (٦.٥:ص ١٠)

وليس في وسع احد ان يستأنف امرا لم يكن قد قام به في وقت سابق، ثم توقف عنه لسبب من الأسباب. والسرعة المقصودة هنا ليست سوى السرعة التي استمرت الى حين مشاهدة الاشارة [١] ومن ثم القيام بتخفيف السرعة. وغني عن البيان ، ان معنى [١٦] وما لها من صلة يعتمدان على معرفة النص [١] وتطبيق محتواه على الموقف المستجد .

١:٢٢ تعتبر التناصية مسؤولة بوجه عام عن تطور أنواع النصوص بصفتها فئات لنصوص ذات اشكال نمطية من الخصائص (ر.ف ٩:١ل). وقد يكون الاعتماد في هذا النوع أو ذاك على التناصية كبيرا أو صغيرا. ففي نصوص من مثل المحاكاة الساخره او المراجعات النقدية او المرافعات

القضائية او التقارير، يستلزم الأمر ان يستعين المنتج بنصوص سابقة استعانة مستمرة. وكذلك يحتاج مستقبلو النص في العادة الى قدر من الألفة مع نصوص سابقة.
وعندما يطلع القارىء على قول سراج الدين الوراق :

[١٧] يا لائمي في هواها أفرطت في اللوم جهلا
لا يعلم الشوق الا ولا الصبابـــــة الا (٧١٨:ص ٢١٨)

يتشعب تفكيره في أنحاء شتى، الا اذا كان على علم بنص سابق، وهو بيت الشعر القديم :

[١٧]أ لا يعلم الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها (٧١٨:ص ٢١٨)

ان الصعوبة تنحل من خلال معرفة المستقبل للنص القديم ومقاصده، في حين تؤدي جدة النص اللاحق الى اضافة قدر مهم من الاعلامية والاهتمام الى النص السابق .

٢٢:١ فرغنا الآن من استعراض عاجل لمعايير النصية السبعة وهي: التضام (ر.ف. ١:٤ـ٥)، والتقارن (ر.ف. ١:٦ـ١٢)، والقصدية (ر.ف. ١:١٣)، والتقبلية (ر.ف. ١:١٤ـ١٦)، والاعلامية (ر.ف. ١:١٧ـ١٨)، والموقفية (ر.ف. ١:١٩ـ٢٠) والنصوصية (ر.ف. ١:٢١ـ٢٢) .

ان هذه المعايير تقوم بدور قواعد تأسيسية (٤٩٧) للاتصال من خلال النصوص. فهي تقدم تعريفا وتكوينا لشكل السلوك الذي يعد اتصالا من خلال النصوص . واذا لم يلتزم المرء بهذه القواعد، فان هذا اللون من السلوك سينهار. غير أنه لا بد من وجود قواعد تنظيمية، كما يقول سيرل أيضا، مهمتها ضبط الاتصال من خلال النصوص وليس تقديم تعريف له. وفي وسعنا تصور ثلاث قواعد تنظيمية هي: جودة النص التي تعتمد على استعماله في الاتصال مع بذل اقل قدر ممكن من الجهد من قبل

المشاركين، وفعالية النص وهي تعتمد على ترك النص انطباعا قويا وعلى خلقه شروطا مفضلة لبلوغ هدف ما، والقاعدة التنظيمية الثالثة هي ملاءمة النص وتعنى التوافق بين مقام النص من جهة ووسائل المحافظة على معايير النصيه من جهه اخرى .

١:٢٤ سيكون همنا في هذا الكتاب متابعة كل من القواعد التأسيسية والقواعد التنظيمية للاتصال على حد سواء من خلال النصوص، وسنقوم في الفصول التالية بعرض الموضوعات المرتبطه بقدر ما بهذا المعيار او ذاك من المعايير السبعة المذكورة، على التوالي. وسنهتم، في الوقت نفسه، بتوضيح الكيفية التي تقوم قواعد الجودة والفعالية والملاءمة فيها بضبط تركيب تلك النصوص واستعمالاتها وأسسها. وليس من الغرابة في شيء أن ينتهي بنا البحث الى بعض المجالات الواقعة خارج حدود علم اللغة العادي، ومرد ذلك ببساطة هو تنوع الاهتمامات المثاره. ويستلزم الامر بوجه خاص ان نعتمد على قدر كبير من ابحاث انظمة المعرفة الأخرى، ولا سيما علم المعرفة، وهو حقل معرفي جديد يقع في ملتقى طرق علم اللغة وعلم النفس وعلم الحاسبات الألكترونية (ر.ف. ٢:١٠) (بخصوص الذكاء الاصطناعي ر.ف. ٢٦:١٠ل). وكما تبين لنا، تتضمن معايير النصية عوامل الادراك والتخطيط والبيئة الاجتماعية من أجل تمييز ماهية النص. ولعلنا لا نكون مسرفين في التفاؤل اذا افترضنا أن الخطوط العامة التي نسعى الى رسمها تجد الان، وعلى نحو متدرج، تفاعلا منسقا من اولئك الباحثين الذين يشاطروننا الالتزام بدراسة استعمال اللغة، باعتبارها نشاطا بشريا حاسم الأهمية.

تطور علم لغة النص

١:١ لم يكن على علم بفكرة علم لغة النص، حتى قبل سنوات قلائل، سوى قلة قليلة من الباحثين. اما الان، فاننا نجد أنفسنا أمام وفرة ذات شأن من المؤلفات، وقد أصبحت الكتب التعليمية والدراسات الشاملة وفيرة وميسورة (١٥٦،٥٢٠، ٢٠٠، ٤٨٨، ١٦٠، ٥٠٨، ٢٨٦، ٤٢٤، ٢٩٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٤٩، ٤٨١، ١٢٤، ١١٤، ٢٣٤، ٢٩٣، ١٥٢، ٢٠٣، ٢٢٩، ٣٢٤، ٣٩٩، ٤٥٢، ٣٠). ان الصورة التى تبرز من هذه المؤلفات تتسم بالتنوع والاضطراب، ويعود ذلك الى فقدان مناهج بحث محددة يمكن تطبيقها على النصوص كما هو الحال في تطبيق المداخل الموحدة على موضوعات علم اللغة التقليدية، كالجملة.

٢:١ يؤكد فان دايك (١٢٠) أنه ليس بمقدور مصطلح علم النص ان يكون في واقع الأمر تسمية لنظرية مفردة أو لمنهاج محدد. وإنما يدل على اي عمل في اللغة مخصص للنص باعتباره الهدف الأول للبحث. وسوف يتركز استعراضنا الوجيز في هذا الفصل حول عدد قليل من نماذج الدراسات التي تحدد معالم التطور التدريجي، في النظرية وفي المنهاج، صوب اساس مستقل مصمم خصيصا من أجل دراسة النصوص. بيد أننا سنبدأ بالقاء نظرة عاجلة على بعض الجذور التاريخية وذات النتائج المهمة لعلم لغة النص .

٣:٢ يجد المرء أقدم اشكال الاهتمام بالنصوص ماثلة في الخطابة (البلاغة) التي يمتد تاريخها من عهد الرومان والاغريق القدماء، عبر العصور الوسطى، الى وقتنا الحاضر عند العرب (للاطلاع على عودة البلاغة الكلاسيكية الى الظهور انظر ٤٣٢،٥٨٩،١١٠، ٦٣). وقد تأثرت الرؤية التقليدية لدى علماء البلاغة بمهمتهم الكبرى وهي تدريب خطباء الجماهير. وكانت المجالات الأساسية هي: الابتداع أو العثور على الأفكار، والتنظيم أو ترتيب الأفكار، والبيان او اكتشاف التعبيرات الملائمة للأفكار، والاستظهار قبل الالقاء في مناسبة الخطابة الفعلية. وفي العصور الوسطى، كان علم البلاغة واحدا من عناصر ثالوث دراسي عنصراه

الاخران هما علم القواعد (الأنماط اللغوية الشكلية للغة وهي اللاتينية أو اليونانية في العاده)، وعلم المنطق (بناء الدعاوي والبراهين).

٤:٢ يشترك علم البلاغة في أمور كثيرة مع علم لغة النص الذي نقوم باستكشافه هنا (٥١٧) وخصوصا في الافتراضات التالية:

أ - من الممكن أن يخضع التوصل الى الأفكار، وترتيبها للضبط المنهجي.

ب-ان الانتقال بين الأفكار والتعبيرات غير مستعص على التدريب الواعي .

ج - ان بين النصوص المختلفة التي تعبر عن تشكيلة معينة من الأفكار نصوصا أرقى من سواها.

د- من الممكن تقييم النصوص بدلالة ما تحدثه من تاثير على جمهور المستقبلين.

هـ تعد النصوص وسائط نقل للتفاعل الغائي.

٥:٢ يستطيع الباحثون، ضمن حدود معينة، القيام بدراسة وحدات الصوت والشكل والانماط الشكلية للجملة من وجهة نظر تجريدية. غير أن وجوها عدة في النصوص لا تبدو منهجية إلا من حيث كيفية إنتاج النص وعرضه واستقباله. واذا كانت المسالة اللغوية التقليدية هي: ما هي البنى التي يمكن ان يكشف عنها تحليل اللغة ؟ فان المسالة المناظره هنا ستكون: كيف تستخدم عمليات الخيارات واتخاذ القرارات في تشييد البنى اللغوية القابلة للاكتشاف (ر.ف. ٦:٢)، وكذلك ما هو تأثير تلك العمليات في تفاعل الاتصال الانساني ؟. من الواضح الجلي ان علم البلاغة الكلاسيكي، برغم الاختلاف في طرقه ومصطلحاته، قد كان منصرفا انصرافا قويا الى البحث عن اجابة للمسألة الثانية المذكورة آنفا .

٦:٢ وبوسعنا كذلك، استخلاص نتيجة مماثلة بشأن المجال التقليدي لعلم الأساليب، وقد كان كونتيليان، وهو أحد المنظرين القدماء (القرن الأول للميلاد) قد عين أربع خصائص للاسلوب هي : الفصاحة، والوضوح، والرشاقة، والملاءمة. ومثلما تعتمد الفصاحة عندهم على مجاراة التعبيرات رفيعة الشأن، وتعرف الملاءمة، فيما نعتقد، من خلال مصطلحات مشابهة للمصطلحات التي نستخدمها (قارن ١:٢٣)، فان

الفكرتين الاخريين وهما الوضوح والرشاقة تبدوان لأول وهله أكثر غموضا وذاتية من أن نقوى على تعريفهما على نحو موثوق. ولهاتين الفكرتين قرابة مع فكرتينا عن الجودة والفعالية، غير أنهما ليستا مطابقتين لهما. وعلى كل حال، فان مقولات كونتيليان تعكس الافتراض القائل بان مرد الاختلاف في نوعية النصوص هو مدى المعالجة التي تتعرض لها الموارد الممنوحة لانتاجها (قارن. ٢: ٢٨) .

٢: ٧ وقد تشعبت الدراسات الأسلوبية في الأزمنة الحديثة واتسع مداها (٤٩٨، ٥١٨). ومنذ وقت قريب، بدىء باستعمال علم اللغة اداة لاكتشاف الأساليب ووصفها(١٦٧). وبالرغم من تعدد المداخل وتنوعها، نجد جميع المؤلفات تقريبا تعكس اعتقادا بان طبيعة الأسلوب تصدر عن انتخاب خاص في الخيارات المتعلقة بانتاج نص ما أو مجموعة معينة من النصوص. وبذلك يتمكن المرء من دراسة الأسلوب في نص مفرد، وفي جميع النصوص التي أملاها مؤلف ما، ومجموعة نصوص لمؤلفين متشابهين، وكذلك النصوص التي تمثل حقبة تاريخية باكملها، بل النصوص التي تعبر عن ثقافة أمة ولغتها السائدة. وغني عن البيان ان المصاعب الاسلوبية تزداد حدة مع اتساع المجالات المطروقة .

٢: ٨ ان أكثر الوسائل محايدة في الكشف عن الاختيارات المستعملة في نص ما أو مجموعة من النصوص هي الجدولة الاحصائية المباشرة للوقائع (١٤٥). غير ان هذه الطريقة تؤدي الى طمس بعض الاعتبارات المهمة. فكثيرا ما يكون التكرار النسبي لواقعة ما أقل أهمية من الاحتمال المباشر للعثور عليها ضمن سياق معين في طور التكوين (ر.ف. ٧: ٥ل).ان ما هو متوقع في اللغة بعامة يمكن ان لا يتوقعه المرء ضمن سياق معين، والعكس صحيح (٤٥٢، ٤٥٤، ٢٦). وفضلا عن ذلك، يجد المرء تنوعات في الدرجة التي يؤثر بها خيار معين على تمييز الأسلوب، كشدة وضوحه أو ضعفه فيه، مثلا. وتؤدى الاعتبارات السابقة وأمثالها الى استحالة تعريف الاسلوب الا بدلالة العمليات التي يقوم بها منتجو النص ومستقبلوه، وهذه هي احدى القضايا الأساسية التي يعنى بها هذا الكتاب.

٩:٢ حين أخذ علم اللغة المعاصر في الظهور، اقتصرت الأبحاث في العادة على اطار الجملة باعتبارها الوحدة الكبرى ذات البنية الصميمة(٤٤). اما البنى الأخرى المجاوزة للجملة، فكانت، على اختلافها، تلحق بعلم الأساليب. وفي الواقع، يعكس هذا التقسيم خصيصة أساسية للغة، ذلك ان من الأسهل والأقرب البت بشأن الشروط التي تجعل الجملة مقبولة أو قواعدية، بالقياس الى الشروط التي تجعل تتاليا من الجمل أو فقرة أو نصا او مقالا شيئا مقبولا أو قواعديا.وعندما يتخطى المرء حدود الجملة، يجد نفسه في مجال يتسم بقدر أكبر من حرية الاختيار والتنوع، وبدرجة أقل من التوافق مع القواعد المقررة. وفي وسعنا القول مثلا بأن الجملة التصريحية في اللغة العربية لا بد من أن تشتمل على مسند اسمي أو فعلي ومسند اليه اسمي، كما هو الحال في المثال المفضل الذى لا يمل اللغويون من تكراره:

[١٨] ضرب زيد عمرا

غير اننا اذا تساءلنا عن ادماج [١٨] في نص ما، من مثل :

[١٩]أ ضرب زيد عمرا، وهو مقيد

[١٩]ب ضرب زيد عمرا، وعمرو مقيد

[١٩]ج ضرب زيد عمرا، وقد غلت يداه

ستجد ان من الصعب كثيرا البت في شأن التعبير الملائم عن عمرو والذي ينبغي استعماله في الجمل المتممة (ضمير منفصل أو الاسم نفسه او ضمير متصل مثلا) وكذلك حال شكل الاخراج (جملةاسمية، أو جملة فعلية). ومما لا ريب فيه،أننا نفتقر الى قواعد محددة تلزم المرء باختيار احدى التتمات دون غيرها.

١٠:٢ ان التفرقة التي فرغنا من اثارتها ليست أمرا بالغ الحسم في علم النصوص باعتبار ان النصوص تشكل نشاطات بشرية. واذا ما افترضنا ان البنى هي دائما نتاج لعمليات قصدية (ر.ف. ٥:٢)، فان الجمل المفردة نفسها لا بد من أن تنشأ عن الاختيار بدلا من اعتبارها مشتقة من قواعد

مجردة ليس غير. وفضلا عن ذلك، نجد ان بعض ارتباطات ظاهر النص كالاسم المتبوع بضمير، يمكنها الورود في جملة كما يمكنها الورود في تتال واسع من الجمل أيضا. ولذا نرى دواعي مقنعة لدمج علم لغة الجمل مع علم الأساليب عند بناء علم للنصوص .

٢:١١ بغيت النصوص،حقبة طويلة من الزمن، موضوعا للدراسات الادبية، وإن لم يكن التركيز فيها قد اقتصر على بعض أنواع النصوص دون غيرها(ر.ف. ١٠:١٢-١٨). وقد تصدى الباحثون في مختلف الأوقات لمهمات من مثل :

أ) وصف عمليات انتاج النص وأثاره مما قام به أحد المؤلفين أو جماعة منهم في حقبة زمنية معلومة او مقام معلوم.

ب) اكتشاف بعض المعاني الاستعمالية الخلافية او الإشكالية في النصوص .

ج) تقييم النصوص .

وقد ادت محاولة جعل هذه المهمات اكثر نظامية وموضوعية الى دفع عجلة تطبيق طرق علم اللغة على الدراسات الأدبية الى الأمام (٥٢٢، ٣٥١، ٨٦، ٢٨٤، ٢٧٧، ٣١٦، ١٢٦، ١٢٧، ٢٧٦، ٥١٨، ٣١٢). ويغلب على الظن ان يفضي توسع نطاق علم لغة النص الى تحقيق نفع جزيل في هذا المضمار يزيد عما يقدمه علم مناهج البحث التقليدي الذى يهتم بوصف البنى في ذاتها؛ اننا نسعى الى تخطي البنى والى طرح مسالة لم وكيف تبنى النصوص ؟ وكذلك لم وكيف تستغل ؟ (ر.ف. ١٠:١٦ل).

٢:١٢ وشهدت النصوص كذلك معالجات نقدية من علماء الانثروبولوجيا في مضمار استكشافاتهم للأشياء الثقافية المصنوعة (قارن ١٠:٨). فقد أوضح برونسلاف مالينوفسكي (٣٦٤) أهمية اللغة، بصفتها نشاطا بشريا، في سبيل دراسة المعنى. وكذلك اولى فلاديمير بروب (٤٤٠) اهتماما خاصا للأساطير والحكايات الشعبية، كما فعل ذلك كلود ليفي شتراوس (٣٥٣) وأتباعه. وقد استعار علماء الانثربولوجيا هؤلاء وأمثالهم مختلف طرق التحليل والوصف البنيوية من علماء اللغة (١٦٢، ٦٠، ٢٢٠، ٦٠٣، ٩٥، ٩٦). هذا، وقد اصبح المدخل الأجرائي الذي نحن بصدده يحظى بمزيد من القبول في السنوات القليلة الماضية(٣١).

١٣:٢ لقيت البحوث الانثروبولوجية في الثقافات غيرالمشهورة دعما كبير من الطريقة اللغوية المسماه بعلم القوالب والذى أنشا معظمه كينيث بايك (٤٢٩) وكذلك لونغاكر (٢٥٩،٢٦٠،٣٦١). وتدعو هذه الطريقة الى جمع المعطيات وتحليلها بدلالة المواقع والشاغلات اي بحسب المواضع المفتوحة ضمن قطاع من النص والوحدات التي يمكن أن تشغل هذه المواضع. ان علم القوالب يتجاوز في تطلعاته الجملة والنصوص جميعا الى مركبات أكبر منهما في التفاعل البشري من مثل لعبة كرةالقدم والصلاة في الكنيسه. وتعد طريقة الموقع والشاغله، وهي اسلوب أساسي في تجزئة الرموز، تعد ذات نفع جزيل في وصف اللغات التي لا يحظى الباحث بمعرفة سابقة لها. وهنا يلجأ الباحث الى وسيلة استخلاص اللغة، فيقوم بحمل الناطقين باللغة من أبنائها على انتاج منطوقات من أنواع خاصة.

١٤:١٣ أدى التكامل، المتمثل في مدخل التحليل القالبي، بين الأنثروبولوجيا وعلم اللغة الى منح توثيق بالغ الأهمية لكثير من اللغات الوشيكة الاختفاء في الأصقاع النائية من العالم. ويكمن اسهام علم التحليل القالبي لعلم النصوص في التعرف المنهجي على الارتباطات القائمة بين اللغة ومقامات الاتصال البشري. بيد ان مدخل الموقع الشاغلة أقل مرونة من أن يتسع للنصية كما يتصورها هذا الكتاب، ولا بد من وقوع عمليات اجرائية بادىء ذى بدء قبل الخوض في موضوع المواقع والشاغلات. وهنا ايضا نواجه التمييز بين اكتشاف البنى وتحليلها من جهة، وبين اجراءات تشييد البنى واختيارها من جهة أخرى (قارن ٢:٥،٢:٦).

١٥:٢ وقد اهتم علم الاجتماع كذلك بتحليل المحادثة، بصفتها صيغة للتنظيم والتفاعل الاجتماعيين (قارن ١٠:٨). ومن أمثلة ذلك الدراسات التي اجريت حول كيفية تناوب المشتركين في المحادثة لأدوارهم(٤٧٢)، ومنها أيضا ما يشتمل عليه الحقل المسمى بعلم مناهج البحث العرقي من دراسات حول الارتباطات بين أنماط التكلم من جهة، والأدوار او الفئات الاجتماعية من جهة أخرى (١٣،٢٢٦)، اي، كيف يعدل الناس سلوكهم اللغوى في لقاءاتهم مع مختلف المجموعات وكيف يتم تقرير مواصفات التعلم او تغييرها، وكيف تبرز السيادات الاجتماعية في التكلم وما الى ذلك من أمور :

١٦:٢ تعد دراسة المحادثة التي تسمى أحيانا تحليل المقال (١١٤،٥٠٧) امرا ذا أهمية حيوية في علم النصوص، وتؤدي الآليات التي تدمج النصوص (وهي اسهامات مفردة) في المقالات (وهي مجموعات من النصوص ذات صلة متبادلة يتجه بعضها الى بعض) تؤدي تلك الآليات الى الكشف عن عوامل أساسية متعلقة بمعايير النصية. ففي المحادثة، يتاثر التضام، مثلا، عند اقتسام بنى ظاهر النص او عند استعارتها بين النصوص المستقلة (قارن ٢٢:٤، ٢٦:٦) وكذلك لا يتضح تقارن النص المفرد إلا من منظور المقال المكتمل (قارن ٢٢:٩ل). وتتجلى القصدية في الاستعمال الهادف للمحادثة (قارن ١٦:٦ل، ١٢:٨ل) كما تتجلى التقبلية في التغذية الراجعة المباشرة (قارن ١٥:١، ٤:٦). أما دور الموقفية فيتسم بأنه مباشر بوجه خاص (قارن ١٢:٨). ويوضح التنظيم الكلي النصوصية في حال عملها (قارن ١٢:٩ل) وكذلك، فان بوسع المرء التحكم في اسهامات المحادثة وفقا لمطالب الاعلامية (قارن ١٤:٩).

١٧:٢ قدمنا فيما سبق مراجعة سريعة لبعض الأنظمة المعرفية التي أدت دواع شتى الى اشتراكها مع علم النصوص في كثير من قضاياه. ومن المؤسف ان التعاون لم يقم بين هذه الأنظمة المعرفية في الماضي، الأمر الذى يعود في أغلب الظن الى عدم قيام علم نصوص محوري. وسنلقي الان نظرة عاجلة على بعض الأعمال في ميدان علم اللغة الصميم، حيث بقي النص يعتبر، بوجه عام، كيانا هامشيا الى ان جاء الوقت الذي اصبح فيه اغفال النص امرا مستحيلا .

١٨:٢ من المعالم المتصلة بدراستنا ما نجده في فقه اللغة وهو طليعة علم اللغة المعاصر، وموضوعه دراسة تنظيم اصوات اللغة وأشكالها والتطور اللاحق بها عبر العصور. وقد لمح هنري فايل (٥٥٨،٥٥٩) في مقارنته لترتيب الكلمات في اللغات القديمة والحديثه قيام مبدأ اخر بجانب علم القواعد فحواه: ان لعلاقات الأفكار بعضها مع بعض تاثيرا لا ريب فيه على تنظيم الكلمات في الجمل . ومن بعد فايل قام علماء اللغة التشيكيون (ومعظمهم من مدرسة براغ) بتجديد ابحاثه فيما سموه

بالمنظور الوظيفي للجملة) (قارن، ٤:١ ٥-٥٢،٧:١٨).
وتشير هذه التسمية الى ان في وسع عناصر الجملة اداء وظيفتها من خلال ابرازها المعرفة التي تستثيرها تلك العناصر ضمن منظور الأهمية او الجدة. ففي كثير من اللغات نجد العناصر التي تحمل الأهمية او الجدة او المادة غير المتوقعة مرجأة الى القسم الأخير من الجملة (قارن ٤:٥٢ل).

٢:١٩ وفي القرن الحالي، اقترن ظهور اللغة المعاصر (في الولايات المتحدة بوجه خاص) بطرق دعيت باسم الوصفيه أو البنيوية. كانت العينات اللغوية تجمع وتحلل وفقا لأنظمة الوحدات الصغرى، وقد دعيت الوحدات الصغرى في الصوت، فونيمات، وفي الصرف، مورفيمات، وفي ترتيب الكلمات، مركبات افقية، وفي المعنى، سيميمات أو سيمات وهلم جرا. وكان كل نظام من أنظمة الوحدات الصغرى يؤلف مستوى خاضعا لشيئين ينظمانه، اولهما: التقابل بين الوحدات، وثانيهما: الملامح التمييزية لتلك الوحدات بحيث تكون كل وحدة مختلفة على نحو ما عن غيرها من الوحدات. ويؤدي تعريف النظام على أنه "مجموعة من العناصر يقوم كل منها بوظيفة خاصة به ضمن المجموعة" (قارن، ٣:٢) الى استناد هذه الأنظمة جميعا الى عامل التمييز. واذا تم التعرف على جميع أنظمة اللغة وعلى تصنيف وحداتها، فان اللغة تعتبر مكتملة الوصف انذاك.

٢:٢٠ ان هذا الاجمال المختصر للطريقة البنيوية الوصفية في تحليل اللغة يقدم الدليل على خلوها من سبل واضحة لدراسة النصوص. وبالطبع يستطيع المرء ان يحلل النص الى مستويات بحسب الوحدات الصغرى المعينة. بيد ان هذا لا يقدم ضمانا بالتوصل الى اكتشاف طبيعة النص، وعلى العكس من ذلك، يؤدي استخلاص المكونات الدقيقة الى تحويل الانتباه عن الوحدات المهمة في ربط النص بعضه الى بعض.

٢:٢١ ليس من الغرابة في شيء ان تكون المؤلفات المبكرة عن النصوص في هذه المدرسة مؤلفات متنوعة. فقد اقترح زيلغ هاريس (٢٤٦٠،٢٤٧) تحليل توزيع المورفيمات في النصوص بحسب " التكافؤات " أي الارتباطات التي تكون فيها العناصر متطابقة او ذات بيئات متماثلة.

وقد قام هاريس، من اجل زيادة عدد التكافؤات، ومن ثم جعل التحليل أكثر استغراقا قام بتطبيق فكرة التحويل التي تبناها وعدلها تلميذه نوأم تشومسكي. وشينا فشينا برز الشكل المحول للنص مصحوبا باكبر قدر من التكافؤات.

٢:٢٢ وبالرغم من التأثير الكبير الذي تركته فكرة التحويل (الذي استعمل هنا للمرة الاولى في علم اللغة، على ما نعلم)، يبدو لنا ان اقتراح هاريس بشان اعتماد تحليل المقال على الأسس التوزيعية لم يحظ بقدر كبير من الاهتمام(٤٣٩). وليس من الواضح تمام الوضوح ما الذي ترمي الى اكتشافه طريقة هاريس. ففي حين كان علم اللغة الوصفي يتركز حول تصنيف الوحدات، يجد المرء ان عملية "تمثيل ترتيب تتابعات الوقوع لعناصر فئة ما" لم تحظ بالتطبيق من قبل البتة (٢٤٧). بل ان هاريس نفسه يعترف بان تكافؤات البنى بين الجمل لا تفيدنا بشيء حول علاقات المعنى (وهو نفسه كان حريصا على تجنب التوجه نحو المعنى أيا كان ذلك التوجه). وأقصى " ما يمكننا تقديمه هو المعايير التي يجب ان تتوافر في جملة ما لكي تتطابق شكليا مع جمل النص ". وكما يوضح بيرفيش (٤١) في نقده لهاريس، يستطيع المرء انشاء نص غير سليم ولكنه يفي، في الوقت نفسه، بمعايير التكافؤ التي استعملها هاريس. ومع هذا كله، تعد مقالة هاريس بينة مهمة على ان تضام النصوص يشتمل على قدر معين من التكرار والموازاة في الأنماط النحوية بين جملة وأخرى (ر.ف ٤:١٢ل).

٢:٢٣ أما دراسة يوجينو كوزيريو" للتحديد والمقام" (١١٢،١١٣) فتستند الى اعتبارات مختلفة تماما. وهو يلح على أن دراسة اللغة لا تستلزم معرفة المتكلمين باللغة وحدها فحسب، بل تشتمل أيضا على البحث في أساليب تحويل المعرفة اللغوية الى نشاطات لغوية. ويستخدم كوزيريو فكرة "التحديد" ليوضح كيف يتمكن المرء من اجراء التطبيق لمعاني الكلمات. ومن ذلك الاعتماد على التفرقة (اختيار أحد المدلولات الممكنة لتعبير ما والحصر (ابراز بعض وجوه المعنى) والتحقيق (تنشيط المعرفة الاحتمالية) (قارن، ٣:١٢) ولكل واحدة من هذه الأفكار فئات فرعية تبحث في الهويات والمفردات والكميات واحتواءات الفئات

والتخصيصات والتمييزات والتعيينات. ثم يقوم كوزيريو بعدئذ بتقديم تصنيف مفصل للمقامات يعتمد على بعض العوامل من مثل المحيطات التاريخية والمعرفية والاجتماعية والثقافية، ودرجة التوسط بين النص والموقف (قارن، ١:٨) ومدى التنوع في المحتوى المقدم .

٢:٢٤ من المؤسف ان احدا لم يهتم باقتراحات كوزيريو في ابانها. وفي هذه الايام فحسب تم التعرف عليها باعتبارها ذات أهمية في الدراسات التجريبية للاتصال المعنوي. ان وحدات المحتوى ليست دقائق ثابتة ذات هوية مستقرة، وانما هي تجمعات غير محددة المعالم وحساسة لظروف استعمالها (قارن، ٤:٥). ولقد كان من الممكن تلافي بعض النتائج الثانوية الغريبة للمحاولات اللاحقة في وصف اللغة بمعزل عن استعمالاتها ووظائفها لو أن أفكار كوزيريو حظيت بما هي جديرة به من اهتمام .

٢:٢٥ كان اول بحث واسع النطاق حول تنظيم النص هو البحث الذى قدمه رونالد هارفيغ (٢٥٦) وفيه يقترح ان ألية الاستبدال هي التي تحقق ترابط النصوص (اي ارداف تعبير ما لتعبير أخر له نفس المدلول او المعنى، الأمر الذي يؤدى الى قيام علاقة تضام او تقارن بينهما). وكما يتبدى من الفصل الذى كتبه عن علم ظواهر تسلسل الضمائر فإن فكرته عن الاستبدال تبدو فكرة واسعة ومعقدة الى حد كبير. وتحت فكرة الاستبدال، تندرج ارتباطات من مثل التكرار (قارن، ٤:١٢ل) والترادف (٤:١٨ل) والصنف / المثال (قارن، ٥:١٧) والفئة الفرعية / الفئة العليا (ر.ف ٥:١٧) والسبب/النتيجة والجزء/الكل وكثير من الارتباطات الأخرى. وهو يلح على اتجاهية الاستبدال اي الترتيب الذى يتلو به شيء ما لما استبدل به من الأشياء كائنا ما كان. وبالرغم من اختلاف تنظيم نموذجنا الخاص ومصطلحاته عن نظائرها عند هارفيغ، فاننا سوف نهتم بكثير من الارتباطات النصية التى وصفها هارفيغ بعضها.

٢:٢٦ شهدت الدراسات اللغوية عددا من دراسات اخرى للنصوص كان اعتمادها بقدر ما، على المدخل البنيوي الوصفي، ولكن الاتجاهات الأساسية فيها أصبحت واضحة الان. فقد عرف النص بانه وحدة أكبر من

الجملة(٢٦١،٢١٥،٤٢٩). ومضت الابحاث في سبيلها باكتشاف أنواع بنى النص وتصنيفها ضمن نظام ما. وفي بعض الأحيان جرى توسيع اطار البحث ليشتمل على تتاليات من النصوص او مواقف الأحداث (٢١٥،٢٥٦،٤٢٩،١١٣). غير ان البنى بوجه عام كانت تفهم على أنها شيء جلي معطى وليست شيئا يتم ابتكاره من خلال خطوات اجرائية بين المتفاعلين من الناس. وينتهي الأمر بنا الى تصنيفات تشتمل على اعداد مختلفة من الفئات ودرجات التفصيل، ولكن بدون التوصل الى صورة جلية لكيفية استغلال النصوص في النشاط الاجتماعي .

٢٧:٢ بل ان الطريقة الوصفية، حتى ضمن حدودها الخاصة، سينتهي بها الأمر الى الانهيار في مواجهة التعقد (حين يكون في احد جوانب اللغة من التعقد، وفي مكوناته من التعدد والتنوع ما يحول دون تحقيق التصنيف التام) وكذلك في مواجهة الأنظمة المفتوحة(حين يشتمل أحد جوانب اللغة على مجموعة غير محدودة من العناصر). ومن أمثلة ذلك ان بوسعنا تصنيف اعداد غير منتهية من جمل لغة ما باعتبارها توزيعات من المورفيمات، دون استنفادنا لأنماط جميع الجمل الممكنة التكوين منها. ان النموذج اللغوي الذي يسمى في العادة بعلم القواعد التحويلي قد حظي بقبول حسن لعرضه وسيلة لمعالجة التعقد في الأنظمة المفتوحة. فالمجموعة غير المنتهية من المعطيات الممكنة في الجمل النموذجية المعيارية في اللغة تعتبر مشتقة من مجموعة صغيرة من الأنماط الأساسية التى تصاحبها مجموعة من القوانين وظيفتها خلق انماط اكثر تفصيلا والتصرف بتلك الأنماط.

٢٨:٢ يؤدي هذا المدخل الجديد الى رؤية مختلفة للنصوص. فبدلا من اعتبار النص وحدة فوق مستوى الجملة، يرى هذا المدخل فيه سلسلة مؤلفة من جمل متتالية حسنة التكوين. وفي البدء، كان كاتس وفودور (٣٠٠) يحاجان في ان بوسع المرء اعتبار النص جملة واحدة مسرفة الطول صادف أن تم وصلها بنقط وقف بدل حروف عطف. كان علم القواعد المعياري قد ترك هذا الخيار مفتوحا، وذلك لأن طول الجملة غير محدود. ولكننا نجد من البنى ما يقل وروده، في العادة، في تتاليات الجمل المنفردة عن وروده في أثناء الجملة الطويلة الواحدة. ثم ان النصوص

المعطاه تجريبيا قد اتخذت بدون ريب شكل اخراج الجمل المنفردة بتاثير دوافع قوية راسخة في معرفة المتكلمين للغتهم، زد على ذلك ان اقتراح فودور وكاتس يعجز عن تفسير النصية بمعناها الاستعمالي عندنا.

٢:٩/ يسير كارل اريك هيدولف(٢٦٣)الى ان عوامل النبر والتنغيم وترتيب الكلمات ضمن الجملة تعتمد على تنظيم الجمل الأخرى المجاورة لها. ويقترح ادخال ملمح " مذكور" في مقابل "غير مذكور" في علم القواعد من اجل ضبط هذه العوامل. ويتابع هورست ايزنبرغ (٢٨٠،٢٨١) هيدولف بتعداد المزيد من العوامل التي لا يمكن حلها ضمن حدود الجملة المفردة كالضمائر والأدوات وتتالي الازمنة. ويضيف أيضا الملامح التي تهدف الى استيعاب منزلة العبارات الاسمية من مثل: المعلومية، الهوية، التعرفية، العمومية، والتغايرية. كما انه يلجأ الى علاقات التقارن كالسبب والغاية والتخصيص والقرب الزمني .

٢:١٠ بعد مرور وقت ما على دفاع هؤلاء العلماء عن علم لغة النص، اجتمعت طائفة من الباحثين في جامعة كونستانس في المانيا للمشاركة في مشروع يحظى بدعم الحكومة الاتحادية حول فكرة علم قواعد النص ، وكانت هذه الجماعة الملتفه حول هانس ريزر وبيتر هارتمان ويانوس بيتوفي وتوين فان دايك وينس ايوي وولفرام كوك وغيرهم قد اخذت نفسها بصياغة معجم وعلم قواعد مجرد يؤديان الى "توليد" نص من أعمال بريخت عنوانه "الحيوان المفضل عند السيد ك " اي انهما يحددان الاوصاف البنوية لجمل النص. وتشير نتائج المشروع التى نوقش بعضها في كتاب فان دايك واخرين (١٣٩) الى ان الفرق بين علم قواعد الجملة وعلم قواعد النص اكبر شانا مما كان يعتقد قبلا. فبالرغم من وجود جهاز ضخم من القوانين، لم ينجل الأمر عن أية معايير لتقرير ان النص " قواعدي " أو " حسن التكوين". اي: لماذا لا تتخذ الجمل ترتيبا اخر او شكل اخراج اخر؟ وكذلك لم تحل مسالة الدلالة المشتركة وانما اقتصر الأمر على دمجها في معجم النص. وأعقب ذلك قيام جدال بين فيرتركومر (٣٢٢،٣٢٣) وعضوي المشروع ايوى وريزر (٢٧٨) وضع فيه كومر الافتراضات الأساسية للمشروع برمته موضع التساؤل.

٢١:٢ يعيد مشروع كونستانس الى الأذهان، بطريقة او باخرى، ما كتبه ماريس (٢٤٧) في تحليل المقال (ر.ف. ٢١:٢ل). وهنا ايضا جرى تطبيق طريقة قواعدية على مهمة غير مقصودة، وكذلك لم تقم برهنة على أي شيء خلا القول بان الجمل تتقاسم خصائص بنيوية في النص بقدر ما تتقاسمه في علم قواعد اللغه بعامة. ولم ينته الأمر الى العثور على معايير للتمييز بين النصوص وغير النصوص. فما من شك في أن القوانين لا تعكس العمليات الفاعلة في انتاج النص واستقباله، وعلى حد تعبير كومر (٣٢٢) يجد المرء لدى الباحثين افتراضا مسبقا بتوليد النص بدلا من قيام علم القواعد باداء تلك المهمة .

٢٢:٢ كان يانوس بيتوفي (٤٢٣) قد تنبأ من قبل بالمصاعب المترتبه على استعمال علم القواعد التحويلي من أجل بناء نظرية للنصوص، فهو قد قام بمراجعة النظرية المعيارية لتشومسكي(٨٧) وفيها يتم توليد البنية التحويلية أولا ثم يقدم التفسير الدلالي. ويجري ذلك بخلاف ما يجري في النظرية الدلالية التوليدية (٥٢٨)، التي تعتبر البنية الأساسية فيها تمثيلا لمعنى، اما فرض الشكل النحوي فيتم في وقت لاحق. ويتساءل بيتوفي حول نفعية إنشاء علم قواعد له مكونتان منفصلتان احداهما للمتكلم والأخرى للسامع، حيث ان المتكلم يبدأ بالمعنى ثم يصنع نمطا من التتاليات، في حين يبدأ السامع بالتتاليات المنجزة ثم يعود ادراجه صوب المعنى.

٢٣:٢ يعد مؤلف بيتوفي (٤٢٣) مؤذنا بقيام نظرية بالغة التفصيل عن النصوص، وكثيرا ما يطلق عليها اسم نظرية: بنية النص/بنية العالم (TeSWeST). وقد اخذ بيتوفي نفسه بتوزيع مختلف جوانب النصوص على قائمة من الوسائل التمثيلية المشتقة من المنطق الشكلي. ومع تطور النظرية يتزايد باطراد عدد مكوناتها وتعقد تلك المكونات(٤١٩). والاتجاه القائم لديه هو محاولة استيعاب المزيد من تلك العوامل المتصلة بمستعملي النص، وليس بالنص على انفراد باعتباره شيئا مصنوعا منعزلا. ومن أمثلة ذلك، أن المعجم الذى لم يكن يشتمل بادىء ذى بدىء الا على المفردات المحدده للنص ذاته(١٣٩) قد أخذ يندمج فيه، باطراد، المزيد من المعرفةالعامة حول كيفية تنظيم العالم في مجموعه(٤٢٠).

ان المنزلة المنطقية لمعنى النص لا يمكن ابرازها الا اذا اخذ المرء بالحسبان تفاعلها مع المعرفة القبلية لمستعمل النص (٤٢٢).

٢:٣٤ تشتمل طبعة (١٩٨٠) على المكونات المستعملة لتمثيل النص من جميع المنظورات تقريبا. ومن أجل الوفاء بمطالب الأساس المنطقي، وضعت صيغة قانونية (اي معادل له تكوين مثالي قياسي) الى جانب صيغة اللغة الطبيعية التي وقع بها التعبير عن النص. واشتملت الطبعة كذلك على قوانين وخوارزميات لبعض العمليات من مثل: التكوين و التاليف والانشاء والوصف والتفسير والترجمة. اما اشارة النص الى الأشياء أو المواقف في العالم فتعالجها مكونة دلالية عالمية. وهنا يفترض المرء وجود تناظر ما، على الاقل، بين بنية النص وبنية العالم.

٢:٣٥ واذا ضربنا صفحا عن التفصيلات الفنية في نموذج بيتوفي المتطور، فان بوسعنا اعتباره ممثلا للقضايا ذات الأساس المنطقي التي يتوجب على نظريات النص مواجهتها. ونحن هنا أمام خيارين: فاما أن نلجا الى استعمال علوم المنطق المقررة مما يؤدي الى طمس قدر كبير من طبيعة النصوص، واما أن ندخل تعديلات على علوم المنطق لتحقيق قدر كاف من الاستيعاب للنصوص (٤٢٠) ويتوقع بيتوفي قيام أليات دقيقة معقدة تتوسط بين النصوص الواقعية وتلك الأشكال من النصوص التي تتصف بالكفاية المنطقية. غير أن نجاح هذا المشروع وقدرته على توضيح الخصائص المهمة للنصوص بعدئذ، هما من الأمور التي ما تزال في ضمير الغيب. ولعل مدخلا اقل شكلية وصرامة ان يكون اكثر انصافا في تمثيل الطريقة التقريبية التي يستعمل بها الناس النصوص في اتصالاتهم اليومية.

٢:٣٦ أما الأطروحة التاريخية التي كتبها تون فان دايك (١٣٦) وهي "بعض اوجه قواعد النص " فتنحو نحو مدى مختلف من الاعتبارات. وقد قام فان دايك ، على غرار هيدولف (٢٦٣) وايزنبرغ (٢٨١،٢٨٠)، بحشد وتنسيق لحجج علوم قواعد النص حول المشكلات التي تعجز علوم قواعد الجملة عن معالجتها معالجة مرضية. وكان الموضوع الأساسي لدراسته نصوصا أدبية وشعرية قلما تمتثل لمواصفات علم القواعد

والمعنى، غير انها، بالرغم من ذلك، ما تزال تؤلف عنصرا من عناصر مجموعة نصوص اللغة بلا نزاع (قارن. ٩:٩) ويصل فان دايك الى استنتاج ضرورة تطبيق " عمليات أدبية " على الصوت والنحو والمعنى من أجل الحصول على النصوص غير القياسية هذه. ومن تلك العمليات : الأضافة والحذف والتبديل (أى اجراء ادخال أو اسقاط أو تغيير على المواد الأساسية). وقد استعمل فان دايك الاستعارات الأدبية من أجل توضيح ذلك.

٣٧:٢ من الأفكار المهمة التي تميز مؤلف فان دايك عن الدراسات الاخرى لتتاليات الجمل، فكرته عن البنية الكبرى، اي التعبير الواسع النطاق عن محتوى النص. وقد استدل فان دايك على ان توليد النص ينبغي أن يبدأ بالفكرة الأساسية، التي تنحل تدريجيا الى المعاني التفصيلية الداخلة في قطاعات نطقية لها طول الجملة (قارن. ٢١:٣). ويستلزم الأمر، عند عرض النص، وجود عمليات تفعل فى الاتجاه المعاكس من أجل استخلاص الفكرة الأساسية عودا على بدء. ومن هذه العمليات: الحذف (الأسقاط المباشر للمادة)، والتعميم (اعادة صياغة المادة على نحو أعم) والانشاء (خلق مادة جديدة يندرج فيها العرض)(١٢٢). وبالطبع لا تفسح علوم قواعد الجملة مجالا لمثل هذه العمليات المتصلة بالبنى الكبرى. ويعود ذلك ببساطة الى ان هذه القضية لا تبرز من خلال تامل الجمل منعزلة بعضها عن بعض ، ولذا نجد فان دايك يتجه صوب "علم النفس المعرفى" من أجل الحصول على نموذج للنص متوجه الى العمليات. وقد بحث بالتعاون مع كينتش (١٤١،٢٠٨) في العمليات التي يستعملها الناس لتلخيص النصوص الطويلة بعض الشيء ولا سيما القصص وينبغي ان يستند التلخيص النموذجي للنص الى بنيته الكبرى (١٢١). بيد ان نتائج البحث تدل على ان النتاج الفعلي يشتمل على كل من البنية الكبرى للنص والبنية الكبرى المختزنة مسبقا والقائمة على معرفة المرء بتنظيم الحوادث والمواقف في العالم الواقعي (قارن. دراستنا للمخططات في ٩:٢٥-٢٨).

٣٨:٢ يعثر المرء على اتجاه اخر مختلف في أعمال ايغور ملتشوك (٢٧٣،٢٧٤، ٢٧٥) الذى يدافع عن اعتبار ان الانتقال بين المعنى

والنص هو العملية المركزية في النموذج اللغوى، ويعني ذلك كيفية التعبير عن المعنى في النص واستخراجه منه. وهنا يعرف المعنى من خلال تجليته لنفسه في امرين: اولهما قدرة المتكلم على التعبير عن فكرة بعينها بعدد من الطرق المختلفة، وثانيهما قدرة السامع على التعرف على معنى بعينه في عدد من المنطوقات المترادفة ذات الاختلاف الخارجي (٢٧٥)، وكما يتوقع المرء من هذا البيان ، يعتبر عماد البحث هنا اقامة " أنظمة اعادة الصياغة" (قارن. ٤:١٨-١٩) .

٣٩:٢ يتصور ملتشوك تمثيلا للمعنى،له نحوه الخاص ،أي ان له وصلية غير ظاهرة في التنظيم القواعدي في سطح النص. (وقد توصل ملتشوك الى شبكة علاقات، مماثلة بنحو ما لشبكة العلاقات التي سوف ندرسها في الفصل الخامس، وذلك بالرغم من تقسيمه الفرعي للمفاهيم الى وحدات ابسط عند الاقتضاء. وتستمد هذه الوحدات من " معجم باطن " Deep Lexicon" ويجرى نقلها بعدئذ الى شبكة العلاقات ثم تتخذ شكل اخراج مقترنا بنحو باطن (أي مؤلف من عناصر أساسية أولية وليس من عبارات النص وكلماته ذاتها). ويقتضي خلو الصياغات المعادة المقبولة ادخال "مرشحات ترجيحية" فى عملية انتقاء الخيارات .

٤٠:٢ تعد علوم "قواعد النص" عند بيتوفي وفان دايك وملتشوك أمثلة نموذجية على المحاولات الحديثة لأعادة توجيه علم القواعد التوليدى التحويلي. ومن قبل كانت الأبحاث السابقة تفترض ببساطة قيام أنواع من البنى بين الجمل مطابقة لأنواع البنى في داخل الجمل نفسها، الأمر الذي يتيح اجراء تغيرات طفيفة فحسب (١٣٩،٢٨٠،٢٨١،٢٦٣). اما النزعات الحديثة فتكشف عن محاولة لاستجلاء مفهوم مختلف اختلافا أساسيا لعلم القواعد. ومن أمثلة ذلك ان نموذج ملتشوك يدخل تعديلات على قدرة اعادة الصياغة المبيتة في فكرة التحويل(٥٤٨) من أجل تركيز توجيه النموذج اللغوي صوب "محاكاة السلوك البشري باسلوب آلي محض "(٢٧٥). ومن اجل تحقيق هذه المهمة يتبنى ملتشوك نوعا جديدا من تمثيل المعنى يرمي الى استيعاب الاستمرار المعرفي (قارن. ٥:٢). ومن أمثلة ذلك أيضا قيام بيتوفي بنقل عملية التحويل من مجالها الأصلي في المستوى النحوى وحده، واتاحته قيام تحويلات بين

مستويات مختلفة، مما يؤدى الى احداث تناظرات أكثر تفصيلا في جميع جوانب اللغة. وبوسع فان دايك التحويلات بحيث تتمكن من وصف العمليات المعرفية التي تجعل النصوص " ذات صيغة أدبية " او تؤدى الى انتاج الملخصات.

٤١:٢ قد يكون من الأسلم ان يستنتج المرء بان جميع نماذج النصوص وعلوم قواعد النصوص أيضا سوف تنتفع عمليا، بقدر ما، من فكرة التحويل، وان كان من المحتمل اختلاف هذا الانتفاع عنه في علم القواعد عند تشومسكي. وفضلا عن ذلك ، يحتمل ان ينتهي الأمر بكثير من فرضيات علم القواعد القديم، كاستقلالية النحو، الى النبذ، كلما جرت التحسينات على نمذجة الاتصال البشري في التفاعلات الواقعية . ومن الأدلة على وقوع هذا النوع من التطوير في النظرية والطريقة على حد سواء ما نجده من نزعات في أعمال بيتوفي وفان دايك وميلتشوك .

٤٢:٢ لم نقصد من هذه الدراسة الى تقديم مسح شامل للأبحاث المتعلقة بالنصوص، وانما حاولنا ذكر بعض المؤلفات الممثلة لها فحسب في داخل علم اللغة وخارجه، كما أردنا بوجه خاص الإيحاء بنوع المداخل المثارة عند تفحص النصوص من منظورات مختلفة ولدوافع شتى. وفي معظم الحالات، كانت فكرة "النص" المعنية اضيق من الفكرة التي نادينا بها (من امثلة ذلك انها: وحدة اكبر من الجملة، او توزيع مورفيمات، او تتال من جمل حسنة التكوين). ولكن نطاق النص ما يفتأ يتسع باطراد، كما ابرز كل من بيتوفي وفان دايك. وبناء على ذلك، نعتبر مدخلنا الخاص الى النص نتاجا للتطور التدريجي المستمر، وليس مجابهة للنظريات والطرق السابقة، كما أننا لا نعتبره رفضا لأفكار تلك الطرق والنظريات، باي حال من الأحوال.

المدخل الإجرائي

٣:١بقي علم النحو وعلم الدلالة يدرسان سنين طويلة دون اعارة اهتمام يذكر لطرق استعمال الناس لقواعد اللغة ومعناها في الاتصال. وكان استعمال اللغة يحال الى مجال خاص دعي باسم علم استعمال اللغة (البراغماتيه). أما في المدخل الإجرائي فان الأمر يستلزم وصف جميع مستويات اللغة بحسب استغلال تلك المستويات. وبذا تكون البراغماتية مجال عمل للخطط والأهداف، وتتم معالجة مسائل الاستعمال بحرية في النحو وفي علم الدلالة كذلك. ان تصورنا للتضام والتقارن لن يكون ذا غناء في دراسة النص إلا اذا تصدى لدراسة كيفية تجسد القيام الفعلي للصلات والعلاقات فيما بين وقائع الاتصال. ويستطيع المرء ان يعالج شؤون البراغماتية باستكشافه لاتجاهات المنتجين (القصدية) والمستقبلين (التقبلية) ولمقامات الاتصال (الموقفية).

٣:٢ يبدوان اللغويين، على اختلاف مذاهبهم، مجمعون على اعتبار اللغة نظاما من الأنظمة: اي مجموعة من العناصر لكل عنصر فيها وظيفة يسهم بادائها في اطار عمل المجموع. غير ان في هذا التعريف من العمومية ما يجعل النتائج التي يخلفها على البحث اللغوي مسرفة في التنوع. ومثال ذلك ما ذكرناه في (٢:١٩) من ان الدراسات المبكرة كانت تشتمل على استخراج أنظمة وحدات صغرى لكل جانب من جوانب اللغة، وكانت وظيفة كل وحده هي تميزها عن سواها من الوحدات. غير أنه من غير المحتمل ان يقوم احد بمعادلة هذا النوع من الأنظمة بعمليات الاتصال، فالناس لا يجمعون الوحدات التمييزية الواحدة مع الأخرى على نحو جلي او مباشر. وفي الحق، ان الاختبارات التجريبية تدل على ان الكثير من الوحدات التمييزية المجردة لا يحظى باحتفاظ واع في أثناء عملية التكلم الواقعي وانما يستعاد من خلال السياق (٥٥٢،٥٩٥،٤٢٣) .

٣:٣ تعتمدرؤية المرء لموضوع دراسة ما على المهمة العلمية التي يراد انجازها، وكذلك تنطلق عملية التكوين النظامي للموضوع (أي اكتشاف نظام في مجال الدراسة أو فرضه عليها)، وهي فكرة دفع بها كارل هيمبل

الى الامام تنطلق من الافتراض الاساسي القائل بان التجليات الواقعية تخضع لأسس منهجية غير عشوائية. ويستلزم وصف موضوع ما التعرف على تلك الأسس المنهجية بما يكفي لاجراء تصنيف موضوعي موثوق للنماذج. أما تفسير الموضوع ، فيتطلب ازاحة الستار عن الأسس التي يتخذ بها الموضوع سماته الخاصة، والتي اعتمد عليها في خلق النماذج المشاهدة واستعمالها. ان في وسعنا تقديم وصف للغة دون ان نعتمد على اى تفسير ضمني او صريح. وفي الحق ان هذا الوصف يصبح قابلا للتبسيط عند اجراء استبعاد مقصود للاعتبارات التي يتجه اليها هذا التفسير او ذاك .

٤:٢ ومن الأمور ذات الصلة هنا المقابلة بين القالبية. وفيها تعتبر مكونات النموذج مستقلة الواحدة عن الأخرى، وبين التفاعل وفيه تبدو المكونات متشابكة يضبط بعضها بعضا (٥٢٢،٥٨٤). ان الأنظمة القالبية أسهل كثيرا في تصميمها ومتابعتها، ويعود ذلك الى ان تأثير الإضافات والتعديلات يقتصر على عناصر معينة في النموذج دون غيرها، في حين تتصف عمليات الأنظمة بانها بالغة التعقيد(٣٤٧). ولذا يقتصر ما تقدمه النماذج التي تتصف بالقالبية في معظمها، سواء ما نشأ منها في أحضان اللغويات البنيوية الوصفية وما نشأ في كنف علم النحو التحويلي، يقتصر ما تقدمه للغة على أنظمة تشغيل ضئيلة الجودة لاستعمال اللغة في الزمن الواقعي، ويبدو مستعملو اللغة وكأنما يطفون على بحر مترامي الأطراف من البنى الدقيقة في مختلف مستويات اللغة. أما كيف يتفاعل علم النحو وعلم القواعد مع المعنى والغاية، فما يزال سرا مستكنا فى ضمير الغيب.

٥:٢ من الامور المقطوع بصحتها، استحالة تقديم تفسير للاتصال الفعلي، الا اذا اعتمد المرء على نموذج نظام تفاعلي للغة (٥٥٢). فليس من الممكن اغفال الترابط القائم بين المستويات ولا ارجاؤه الى مرحلة "التفسير" التالية للواقعة. وتدل الاختبارات على ان نموذجا للغة يكون النحو فيه مستقلا وذاتيا، هو نموذج عاجز عن القيام بدوره في أثناء الزمن الواقعي. ويعود ذلك الى "الانفجار التجميعي"، اي فيض الحسابات الهائل للبنى والقرارات البديلة، والذى يحتاج الى اوقات تشغيل ذات مقاييس

فلكية، ان فهم اشارة المرور [١] (تمهل،أطفال في الطريق)، وبرغم ما في المثال من بساطة مسرفه، يتطلب كما هائلا من المعالجة اذا جرى تحليله بمعزل عن السياق الذي يرد فيه (قارن. ١:١٩). اما إنتاج نص أطول واستقباله، اذا استوجب الأمر اجراءهما بمعزل عن تفاعل مستويات اللغة والعوامل المعرفية او الموقفية، فيبدو انهما لا يختلفان عن المعجزات في شيء.

٦:٢ ادت اعتبارات من هذا القبيل الى مولد المدخل الاجرائي لدراسة النصوص في اثناء الاتصال. وهنا لا يعد اكتشاف الأنماط البنيوية والوحدات، برغم انه ما يزال يؤلف نشاطا مركزيا في البحث، لا يعد هدفا في ذاته. وبدلا من ذلك، سنصرف اهتمامنا الى العمليات التي توجه دفة الوحدات والأنماط عند الاستغلال الفعلي لأنظمة اللغة (قارن. ٢:٥). والواقع أن النص هو النتاج الفعلي لهذه العمليات، ولذا يستحيل تفسيره باعتباره تشكيلة من المورفيمات او الجمل (قارن الفصل الثاني)، وانما تعتبر ان المورفيمات والجمل تقوم بدور أنماط ووحدات اجرائية تشير الى المعاني والغايات في أثناء الاتصال. إن الشمول الذي يصاحب ما يقوم به مستعملو النص فعلا من تنظيم واستغلال للمواد النحوية والمورفيمية ينبغي ان يصبح مسألة بحث تجريبي في ظروف واقعية، وليس افتراضا قبليا تمليه نظرية خاصة.

٧:٢ لا يجد المرء، كما يقول مانفرد بيرفتش (٤٠) قيودا معينة مفروضة على عدد علوم القواعد المجرده التي يمكن اقامتها للغة ما. وقد دأب اللغويون على محاباة أحد علوم القواعد دون سواه معتمدين على معايير من مثل البساطه، والاتساق والعمومية. أما في المدخل الإجرائي، فلا بد من أن تشتمل المعايير الحاسمة على الإجرائية وعلى المعقولية البشرية. إن حدوس اللغويين لا تعدو ان تكون وسائل مساعدة على الاستكشاف، وهي ليست معطيات أولية (انظر النقاش في (١١٨، ٥١٥، ٤٥٥، ٥١٢))، وإنما يبرهن على صدق النظريات والنماذج من خلال النشاطات البشرية الطبيعية .

٢:٨ يشتمل البحث ضمن هذه الأطر على نقل الأولويات وتحريكها بين القضايا التي يراد استكشافها، فالتمييز بين الجمل وغير الجمل، مثلا، يعد ضرورة مطلقة لقيام علم قواعد مجرد وذلك لأنه يعين المباح وغير المباح في علم القواعد. غير أن واقع الأمر يدل على عجز مستعملي اللغة من البشر عن اجراء هذا التمييز باطراد، كما يتبين في البحث الذى سنراجعه في (٦:٢٢ل) ولذا ففى النظرية التى تعتبر اللغة احد النشاطات البشرية تستند قواعدية الجملة عندئذ، الى عدم النص على غير ذلك (أي انها تقوم على شيء يفترضه المرء عند فقدان اي تحديد مخالف) (قارن، ٢:١٨)، وإنما تتعرض المادة للرفض باعتبارها غير نص اذا كان تحديها لمعايير النصية صارخا تماما (كالخلو التام مما يمكن اكتشافه من تضام وتقارن ووجود صلة بموقف وما الى ذلك من أمور)، الأمر الذي يجعل استغلاله في الاتصال ضربا من المحال (قارن، ١:٣). وربما اعتمد مثل هذا الحد الفاصل على عوامل من خارج النص نفسه، كالإغضاء، والمعرفة القبلية بالمشاركين، او نوع النص المستعمل.

٢:٩ مع تضاؤل الفروق بين الجملة/غير الجملة، والنص/ غير النص، ترتفع مكانة الجودة والفعالية والملاءمة (قارن، ١:٢٢)، وهي عوامل لا يقل ضبطها لأقوال الناس عما تفعله القوانين المجردة في علم القواعد والمنطق. ومن وجهة النظر الإجرائية، نرى انه في حين تسهم الجودة في يسر المعالجة، اي في تنفيذ العمليات مع انفاق محدود لموارد التركيز والتوصل، تسهم الفعالية في عمق المعالجة، أي في الإنفاق المسرف لموارد التركيز والتوصل الى المواد التي لم تحظ بالعرض الصريح في ظاهر النص. أما الملاءمة فهي عامل يعين الارتباط بين المناسبة الحالية ومعايير النصية بحيث يتمكن المرء من اعداد تقديرات موثوقة ليسر معالجة المشتركين أو عمقها. وجدير بنا الا ننسى امكان تضارب الجودة والفعالية، فمن السهولة بمكان إنشاء المرء لغة سهلة ذات محتوى مبتذل، ولكن نتيجة ذلك ستكون السأم وعرضية الانطباع الذي تخلفه. وخلافا لذلك. تترك اللغة الإبداعية ذات المحتوى غير العادي أثرا عميقا قويا، ولكنها قد تكون بالغة العسر في انتاجها واستقبالها. واذن ينبغي للملاءمه أن تتوسط بين هذين العاملين المتضاربين لتدل على التوازن الصحيح بين المألوف وغير المألوف في كل موقف وموقف .

٢: ١٠ تتأثر صفات النص من جودة وفعالية وملاءمة بمقدار موارد المعالجة المخصصة لإنتاجه واستقباله (قارن. ٢: ٢٨)، ومن حيث المبدأ، يخلو الأمر من نقطة حدية يعد الانتاج عندها منجزا تماما، وانما ينطوي في الأكثر، على عتبة انهاء يجد المنتج عندها أن ما أنتجه يكفي لتحقيق الغاية المنشودة على نحو ما (١٨٩)، وكذلك يؤثر تقييم المستقبلين لصفات النص على مقدار الموارد التي يتوافر لديهم الاستعداد لإنفاقها في معالجة المادة المعروضة. وليس للاستقبال نهاية مطلقة، وانما ينطوي على عتبة انهاء، يبدو استغلال النص مرضيا عند بلوغها. ومن حيث المبدأ، يمكن أن يقدم شخص آخر فيقوم بالمزيد من التنقيح للنص أو بتحليله على نحو أشمل.

٢: ١١ تشير الاعتبارات التي ذكرناها الى مدى الصعوبة في قصر دراسة النصوص على الأشياء المصنوعة من كلام او كتابة ليس غير. ان هذه الأشياء المصنوعة ناقصة بطبيعتها اذا أخذت بمعزل عن عمليات المعالجة التي اجريت لها. واذا اعتبرنا النص وثيقة لاتخاذ قرار واختيار وتجميع فان كثيرا من الوقائع تصبح عندئذ ذات شأن وذلك بفضل البدائل الأخرى التي كانت محتملة الوقوع. وفي أحوال كثيرة، لا يزودنا التنظيم الأساسي للغة (كقوانين الصوت وعلم القواعد والمفردات وهلم جرا) بارشادات حاسمة بشان ما ينبغي اختياره، ويستلزم الامر على الدوام القيام باكتشاف وتنظيم للدوافع والاستراتيجيات التي يتوقف عليها خلق النصوص واستغلالها.

٢: ١٢ ومن جهة أخرى، ينبغي أن نلتزم جانب الحذر فلا نتيح للنص أن يستتر من وراء العمليات الفكرية، وتشير بعض المحاورات الحديثة العهد حول دور القارىء الى مخاطر الافتراض بأن في وسع مستقبلي النص عمل ما يروق لهم في المادة المعروضة عليهم. ولو كان هذا صحيحا حقا لأصبح الاتصال من خلال النصوص أمرا غير موثوق به بل ربما أصبح متصفا بالأنانة. والواقع أنه لا مندوحة عن قيام ضوابط حاسمة، ولا نقول مطلقة، للتنوعات القائمة بين صيغ استغلال النص من قبل مختلف المستقبلين (قارن. ٢: ١٦). ويقترح بوغراند (١٦) اعتبار النص ذاته نظاما مكونا من مجموعة عناصر تؤدي وظائفها معا. وفي حين تؤلف

اللغة نظاما افتراضيا من الخيارات المتيسرة، يكون النص نظاما واقعيا تستمد خياراته من بين مخزوناتها لكي تستغل في بنية مخصوصة (اي ارتباط بين عنصرين أو أكثر)، ويتم تنفيذ هذا الاستغلال من خلال اجراءات التحقيق الفعلي للنص .

٢: ١٣ أدى اهتمام كل من علم اللغة البنيوي الوصفي وعلم القواعد التحويلي بالأنظمة الافتراضية الى بقاء اجراءات التحقيق، حتى وقت قريب، وهي لا تحظى بغير النزر اليسير من الأبحاث. ويجد المرء بوضوح، في هذه المرحلة المبكرة من الاستطلاع، أن طرق تنظيم التحقيق لا تنطبق انطباقا مباشرا على الأنظمة الافتراضية. ومن الأمثلة على ذلك ما يبدو من قيام تبعية متبادلة ذات شأن بين القرارات والاختيارات سواء أكانت في المستوى الواحد أم في مستويات عدة، ان هذه التبعية المتبادلة تفرض وجود ضوابط قوية على التنوعات الممكنة لاستغلال نص مفرد. ولو قد آثر احد المشتركين اختيار رؤية منفردة وغير مقيدة لوقائع النص لتعرض الاتصال للضرر البالغ آنذاك .

٢: ١٤ من هنا يستنتج بوغراند (١٦) أن النص يؤلف نظاما ذاتي التنظيم فهو لا ينى يقوم بتنظيم وظائف وقائعه المكونة له. وكلما خرجت واقعة نصية عن أنظمة معرفة المشتركين للغة النص ومحتواه وغايته، تعرض استقرار نظام النص للاختلال، واستلزم الأمر استعادة الاستقرار بوساطة التكامل التنظيمي مع تلك الواقعة اي بوساطة اضافات او تعديلات لمخزون المرء من المعرفة؛ وإنما تسد السبل أمام استغلال النص اذا أخفق التكامل التنظيمي في العمل أي اذا بقيت التعارضات غير القابلة للحل كما هي. وفي الأحوال العادية، يحافظ المشتركون على توازن النظام بمحافظتهم على استمرار الخبرة المعرفية ويتم ذلك باكتشاف الصلات بين كل واقعة ذات معنى وسياق تلك الواقعة. بل إننا نجد في حالة قيام عدة علاقات ممكنة الوقوع، ان بعضها أكثر ارضاء او أقوى احتمالا من بعضها الآخر ولذلك نمنحها الأولوية على سواها. وبقدر ما يشترك مجتمع اتصالي في معرفة الأفضليات (أو بقدر ما تعين هذه الأفضليات مجتمعا ما في الواقع) فان ناتج معالجة نص معين سيكون متماثلا لدى أعضاء المجتمع كافة. ان أي نتاج انفرادي سيستدعي تنظيما

خاصا، يؤدي بمرور الوقت، الى ان يصبح مستعمل اللغة على وعي بما يتبناه المجتمع من أفضليات .

٢:١٥ لا يعني الوعي بمعرفة أفضليات المجتمع ضرورة الخضوع أو الامتثال لها، بل الأمر على النقيض من ذلك، فان النص الذى يمتثل شكل اخراجه ومحتواه تمام الامتثال للمعرفة المقررة يكون ذا درجة متدنية جدا من الإعلامية (بالمعنى المستعمل في ١٧:١ل (انظر ايضا الفصل السابع). وفي الحق أن المعلومية التامة أو الاستقرار الكامل حسب مصطلحات علم التنظيم الذاتي أمر لا يثير الاهتمام في مجال الاستعدادات المعرفية البشرية. ولذا يقوم الاتصال على الدوام بازالة التوازن واستعادته بوساطة الاخلال باستمرارية الوقائع واستعادة تلك الاستمرارية، ويمكن القول اذن بان الوعي بمعرفة الأفضليات لا يقوى على استبعاد الإبداع في الاتصالات النصية، وقصارى أمره هو مساعدة المشتركين على اكتشاف توجه ما للإبداع وأن يقوموا بتزويد أو استعادة لدوافعه ضمن نظام نصي معلوم.

٢:١٦ يشير اتجاه المحاجة المذكور أعلاه الى كيفية قيام مدخل النظم النظري بحل معضلة الاعتراف بالعمليات البشرية باعتبارها عوامل في استغلال النصوص أو البحث فيها، وهنا يجب على مستعملي نظام ما أن يكونوا على علم بمبادئه الوظيفية، لكي لا تتعثر عمليات الاستغلال. ولذا فان بعض اصناف الوقائع كالمبهمات والتناقضات والتعارضات، التي يحتمل أن تعيق استغلال النص أو تجعله عسير المعالجة، تعتبر أمورا سيئة الاستعمال ما لم يقصد بها إحداث تاثير معين (كما هو الحال في النكات والمفارقات). ان جميع معايير النصية التي نقدمها في كتابنا هذا هي ذات سمات علاقية، تهتم بكيفية ارتباط الوقائع بعضها ببعض من خلال التبعيات النحوية في ظاهر النص (التضام)، ومن خلال تبعيات المفاهيم في عالم النص (التقارن)، ومن خلال اتجاهات المشتركين تجاه النص، (القصدية والتقبلية)، ومن خلال استدماج الجديد وغير المتوقع فيما هو معلوم ومتوقع (الإعلامية)، ومن خلال المقام (الموقفية)، ومن خلال قيام صلة متبادلة للنصوص المفردة (النصوصية) .

٢:١٧ يتيح لنا هذا التركيز على الوصلية والاستمرارية في العلاقات، دراسة النصية ومعالجة النص في اطار حل المشكلات المتصف بالشكلية كما يفهمه نيوويل وسيمون (٣٩٦) وهنا تعرف المشكلة بانها زوج من الحالات يتعرض المسار بينهما لوضع الفشل (أي عدم الاجتياز لتعذر التعرف عليه أو ايجاده). ويقال ان لدينا مشكلة جدية حين ترجح فرص الفشل رجحانا مبينا على فرص النجاح، كما يقال ان المشكلة محلولة اذا أمكن العثور على مسار ممتد بدون انقطاع بين حالة البدء وحالة الهدف. أما اذا بلغ حلال المشكلة نقطة يعجز عن التحرك بعدها صوب الهدف فان ذلك يعني وقوع الاعتراض، وعدم الاجتياز. ومن الواضح الجلي أن العملية الحاسمة في حل المشكلات هي البحث عن الوصلية بين الحالتين، وينبغي هنا أن نشير الى ثلاثة أنواع من اساليب البحث هي :

أ) اسلوب البحث الرأسي ويحاول فيه حلال المشكلة الاندفاع صوب الهدف في سبيل واحد متصل، دون أن يلقي بالا للبدائل، ما دام التقدم مواكبا له في سيره الى الأمام. ان البحث الرأسي لا يعد مأمون الجانب الا حين يكون السبيل واضحا جليا وليس موضعا للخلاف .

ب) اسلوب البحث الأفقي وفيه يتطلع حلال المشكلة الى الامام بان يضع نصب عينيه هدفا فرعيا ليس غير، وهو يرجح المسارات المؤدية اليه، ليجرب افضلها واذا حالفه النجاح فان الإجراء يتكرر مع الهدف الفرعي التالي، الى أن يتم بلوغ الهدف الأساسي في خاتمة المطاف. ويعد أسلوب البحث الأفقي اسلوبا حذرا وآمنا، ولكنه يمكن أن يكون ضعيف الجودة ومضنيا حين يكون السبيل واضحا جليا .

ج) أسلوب تحليل الوسائل الغايات وفيه يتعرف حلال المشكلة على الفروق الأساسية القائمة بين حالة البدء وحالة الهدف، ويحاول ان يلغيها الواحد تلو الأخر. واذا بدت الفروق مسرفة في الكبر فان بامكانه عندئذ اتخاذ هدف فرعي وسيط من أجل المقارنة بادىء ذى بدء. واذا كان بوسع المرء استعمال الأسلوبين الأولين ضمن تحليل الوسائل والغايات المتوجه الى الأمام، فان بوسعه أيضا تحقيق مزيد من الجودة بالتحرك الى الأمام انطلاقا من حالة البدء، والى الخلف رجوعا من حالة الهدف، بحسب الاقتضاء. وفي الحق أن بالإمكان اعتبار أية حالة على طريق الحل مركز تحكم مفيدا ينطلق العمل منه في أي من الاتجاهين .

١٨:٢ نستطيع الان أن نقدم مخططا لنموذج لانتاج النصوص، وذلك باستعمال الأفكار التي فرغنا من تقديمها في هذا الفصل (قارن. ٢٧٧،١٨٩،٢٢). ويستحضر هذا النموذج تتاليا غير محكم العرى من أطوار المعالجة السائدة. ونحن نقول "المعالجة السائدة" لأنه لا يبدو من المحتمل ولا من الضروري أن تؤدي عمليات طور ما الى ايقاف عمليات غيره من الأطوار، بل الممكن هو نشوء عتبة ما، يجرى بعدها تركيز موارد المعالجة على طور من أطوار العمليات مع تقليص الأطوار الأخرى ولكن بدون ايقافها نهائيا، وتساعدنا فكرة السيادة في حل التعارض بين القالبية والتفاعل (٤:٣) ويتم ذلك بتمكين المعالج من توزيع نشاطاته بنسب مختلفة (٥٨٤). ويجرى التحكم في التفاعل بين المستويات (الصوت ، والنحو، والمعنى، ...الخ) بالاعتماد على فئة من العمليات تسمى بالإسقاط: أي ارتباط العناصر والبنى والعلاقات من مختلف الأنواع وليس من الأمور المقررة حتى الان حجم النشاط التنظيمي الذي يلزم بذله ضمن المستوى الواحد قبل أن يقع الإسقاط على المستويات الأخرى. وكثيرا ما تقوم علاقة اللاتماثل (عدم وجود تناظر واحد لواحد) بين المستويات. غير أن حالات غياب النص (وضع افتراضات عند فقدان أية تحديدات) والأفضليات (الميل الى خيار دون سواه) والاسقاط، أمور تساعد المرء على تخفيف عبء المعالجة الحالية (قارن. ١٢:٧).

١٩:٢ لعل من غير المحتمل أن تكون العمليات، في الأحوال النموذجية، مصوغة تماما وفقا لمواد هذا النص أو ذاك. ويستلزم الأمر وجود اجراءات عامة فعالة، تتصف بالقبول والتكيف في مدى واسع من المعطيات والمناسبات (قارن. ٥:١٠). ويبدو لنا أن فكرة بوبروف وفينوغراد (٤٨) عن التعلق الإجرائي (اي التحقيق أو التعديل للعمليات المعيارية بحسب الحاجات الحالية) فكرة ملائمة للاستعمال هنا. وانما نتحدث عن اجراءات تستند عليها آليات مزاوجة الأنماط التي تتحرى قيام ملاءمة معقولة بين المواد المخزونة والمواد الحالية. وفي وسع المرء، عند تنفيذ الإجراءات العامة، أن يقوم بادخال التفصيلات النوعية الخاصة في المواضع المناسبة.

٢٠:٢ وأول طور في انتاج النص هو في العادة طور التخطيط (٢٧٧:١٨٩) ومقصد المنتج هو متابعة هدف ما من خلال النص، كنشر المعرفة، أو تحقيق الانسجام مع خطة ما (قارن. ٦:١٦ل،١:١٢) وبالمعنى الأكثر مباشرة، يعد انتاج النص هدفا فرعيا في السبيل المؤدي الى الهدف الأساسي، وفي وسع المنتج، بالاعتماد على تحليل الوسائل ـ الغايات (قارن. ١٧:٣ج) ان يحاول تقدير اي من النصوص الممكنة هو الذي سيقدم أكبر الاسهامات في تقليص الفروق القائمة بين الحالة الراهنة وحالة الهدف. وعند تعسر ذلك قد يجرب اسلوب البحث الافقي وذلك باستعراض طائفة من النصوص الواحد بعد الاخر، لعل أحدها ان يؤدي به الى النجاح. ويتم ادماج هذه النصوص في الخطة بالاعتماد على (تعلق الخطة نوع من أنواع التعلق الإجرائي الذي وضحناه في ١٩:٣).

٢١:٢ بعد طور تعيين الهدف واختيار نوع النص، ياتي طور التصور (او يتداخل الطوران معا). ومن شأن الفكرة أن تكون تشكيلة محتوى، ذات نشأة داخلية (وليست من صنع البيئة) وهي توفر مراكز ضبط السلوك الإنتاجي ذي المعنى المشتمل على انتاج النصوص). وفي الحق ان اسقاط بنية خطة ما على فكرة (أو العكس) أمر بالغ التعقيد دون ريب، ولا سيما اذا كان من غير الملائم عمليا الإفصاح عن الخطة جهارا، ومن أمثلة ذلك أن هدف اقناع الناس قد يتطلب البحث التفصيلي عن الأفكار التي تستهويهم وتناسب رؤيتهم المفترضة للعالم، والتي يمكن ان تغير تلك الرؤية تغييرا نافعا (قارن. ٦:١٦،٨:١٧ل)، وليس من المألوف أن يعلن أحد عن خطته نفسها للاخرين. (قارن. ٦:٨،٨:١) .

٢٢:٢ ومن بعد مرحلة التصور، تاتي مرحلة التطوير، التي يمكن الانتفاع بها في توسيع الأفكار الناتجة وتخصيصها وتفصيلها وربطها الواحدة بالأخرى. وفي وسع المرء أن ينظر الى التطوير على أنه البحث في فراغات المعرفة المختزنة أي في تشكيلات المحتوى الذهني ذات التنظيم الداخلي. وقد يختلف التطوير بين استدعاء فراغات لم تمس بقدر ما وبقيت على حالها، وبين استحضار تشكيلات غير عادية وربطها معا، وفي الحالة الأخيرة يؤدى اكساب المحتوى صفة التقارن بوصله من خلال المسارات العلاقية (الموضحة فى الفصل الخامس) الى زيادة الحدة

في عملية حل المشكلات المستعملة لذلك. وأيا ما كان الأمر، فان التطلع الى جعل النص اعلاميا بالمعنى الوارد في الفصل السابع، يستلزم على الأقل وجود بعض التشكيلات الجديدة في عالم النص المرتبط به.

٢:٢٣ لا يستلزم الأمر في هذه المرحلة ان تتخذ نواتج مرحلتي التصور والتطوير تعبيرات خاصة بعينها من اللغة الطبيعية (١٨٩) فمن الممكن مثلا أن تتألف تلك النواتج من صور ذهنية لمشاهد او لتتابعات من الحوادث. ولذا فلا بد من قيام مرحلة تعبير يتم تحويل المحتوى المتراكم اليها. ويعتبر البحث عن تعبيرات مثالا خاصا على حل المشكلات بانشاء مسارات تصل بين مختلف مستويات التنظيم الواحد بالاخر. وعلى كل حال، سيحظى ذلك البحث بالدعم، اذا كانت استثارة المحتوى الذهني متجهة، كما يغلب على الظن، للانتشار صوب التعبيرات النمطية المختزنة لذلك المحتوى (قارن. ٥:١٢) وتعد التعبيرات النشطة انذاك أفضليات بالمعنى الوارد في (٣:١٨) .

٢:٢٤ ومن الممكن أن يبرز هنا نوع خاص من المشكلات، فالمحتوى بصفته صورا ذهنية لمشهد أو لتتال من الحوادث المتدرجة يمكن أن يكون مستمرا في حين تتخذ التعبيرات شكل عناصر منفصلة، متقطعة، بقدر ما، وفي هذا تمثيل مهم لفكرة اللاتماثل المذكورة في (٣:١٨)، ان من واجب منتج النص البت بشأن الحدود التي يلزم تخصيصها للحوادث أو لصور المشهد (٢٢٩،٢٨٢،٥٢٥). وكثيرا ما توحي التعبيرات المختلفة بحدود مختلفة في ابعادها ودرجة تمايزها.

٢:٢٥ يؤدي الاقتصار في عرض النصوص على الوسائط التتابعية كالصوت والطباعة الى ضرورة أن يكون الطور الأخير في الانتاج هو طور التشكيل النحوي : أي وضع التعبيرات المرحلة من الطور الأخير ضمن تبعيات قواعدية، وترتيب هذه التبعيات في شكل اخراج خطي من أجل ظاهر النص. وفي لغة مثل الانجليزية، يجد المرء أن قائمة التبعيات القواعدية أقل كثيرا من قائمة العلاقات الكائنة بين المفاهيم التي يعتبرها ضرورية (قارن. ٤:٧ل مع ٥:٢٦)، ويؤدي هذا الى بروز اللاتماثل مرة أخرى، غير ان اللاتماثل أقل شأنا في اللغات التي تشتمل على حالات

اعرابية (قواعدية) ممثلة لعلاقات تصورية.

٢:٢٦ ان أبرز الأفضليات في التكوين الخطي هي أفضلية الجوار، أي عناصر التبعية القواعدية المرتبة بجوار بعضها بعضا، ضمن سلسلة تتابعية وفي وسع التخزين النشط (قارن. ٤:٢،٥:٤) أن يقوم بالتشكيل النحوي للتبعيات باقصى قدر من السهولة واليسر اذا بقيت العناصر في اطار مجموعات محكمة النسج، بيد أن كثيرا من الدوافع قادر على تخطي هذا التفضيل بسهولة، واذا دخل عنصر مفرد في عدة تبعيات ضمن عبارة أو جملة فان الأمر يستلزم تنحية بعض العناصر التابعة له بعض الشيء.

٢:٢٧ فرغنا من تقديم مسح موجز للأطوار التي يمكن أن يتألف منها انتاج النص على نحو معقول، وهذه الأطوار هي: التخطيط والتصور والتطوير والتعبير والتشكيل النحوي ومثلما تبهنا في (٢:١٨) لا ينبغي أن يتصور المرء تلك الأطوار على أنها تنساب في تتال زمني دقيق ذي حدود واضحة المعالم. فمن الممكن أن نتصور تماما أن تتفاعل الأطوار الخمسة في آن معا، بحيث تنتقل السيادة من طور الى آخر بسرعة. واذا انجلى الأمر عن نتائج صعبة او غير مرضية في طور ما فان السيادة تعود ادراجها الى طور أعمق (أي مشتمل على مزيد من الابتعاد عن ظاهر النص الذي يجري انتاجه) من اجل تكوين صيغة تنظيم جديدة. وقد تكشف القرارات اللاحقة عن ان القرارات السابقة لم تكن ذات مزايا خاصة، ومن أمثلة ذلك أن يستدعي التطوير والتعبير اجراء تغييرات في التخطيط والتصور. وفي الواقع، يتسع المجال لافتراض مبدأ ما من مثل " قصد النص " الذي تكشف مواد النص من خلاله عن وجود ميول تنظيمية خاصة بها في أثناء الانتاج، كما أنها تفرض تلك الميول على المنتج، شريطة الا تبلغ العمليات نهايتها بسرعة بالغة (قارن مع ايزر (٢٨٢) بشان قصد النص في وجهة نظر القارىء). وفي ٢:١٠ كنا قد افترضنا اعتبار الانتاج عملية مفتوحة الطرف بطبيعتها وينتهي اجراؤها عند التوصل الى عتبة ارضاء. ومن الممكن اثارة مثل تلك العقبة عند بروز ميول نوعية خاصة بالمادة على النحو الذى مثلناه هنا. ومع ذلك يظل بوسع المرء القدرة على ادخال المزيد من التنقيح.

٢٨:٢ قد تؤدي الممارسة المستمرة لانتاج النصوص الى حدوث تداخل في الأطوار، وربما أصبح انتاج نص جيد سهل المنال في التجربة الواحدة بعد أن كان يتطلب قدرا كبيرا من التنقل بين مختلف الأطوار من أجل التنقيح. ولعل الكتاب او المتكلمين من اولي الموهبة والشأن ألا يكونوا ممن ينفقون جهودا بالغة على الانتاج، ولكنهم يتمكنون من تعويض قصر المدة بقدر مناظر من شدة المعالجة. وهم أيضا مرغمون، فيما يظن، الى عبور المراحل الاولى التي يتصف الإنفاق الكبير فيها بانه واع وظاهر. ولعل "قصد النص" ان كان لهذه الفكرة أساس تقوم عليه، أن يصبح أسهل تحديدا من خلال اتساع التجربة. ان هذه النتيجة تقدم تفسيرا لقدرة المنتج المحترف على ادخال تحسينات على نصوص الاخرين وليس نصوصه الخاصة وحدها بدون أن يشارك مشاركة فعلية في عملياتهم الذهنية.

٢٩:٢ وفي وسعنا نمذجة استقبال النص باعتباره مجموعة مناظرة من أطوار سيادة المعالجة ولكنها تجرى في الاتجاه المعاكس. وهنا يبتدىء المستقبل بظاهر النص، اي بالمادة المعروضة نفسها، ثم ينتقل سفلا الى الأطوار الأعمق ويجرى تحليل البناء النحوي لظاهر النص انطلاقا من السلسلة الخطية الى تبعيات قواعدية (وهى عملية قدمنا اجمالا لها في ٤:٧ل).

ان عناصر هذه التبعيات هي التعبيرات التي تستثير المفاهيم والعلاقات في المخزون الذهني فيما يسمى طور استرجاع المفاهيم (قارن. ٥:٤). ومع تراكم تشكيلة المفاهيم وظهور الكثافات والسيادات فيها، يصبح من الممكن استخلاص الأفكار الاساسية ضمن طور استرجاع الأفكار. أما استخلاص الخطط الذي يبدو ان منتج النص يتابعه فانه يتم في مرحلة استرجاع الخطط ويصبح المستقبل عندئذ قادرا على التفكير في الأفعال وردود الأفعال الممكنة.

٣٠:٢ بما أننا سنقوم باستكشاف عمليات الاستقبال بالتفصيل في الفصول الرابع والخامس والتاسع، فاننا لن نتابعها هنا باي قدر من التفصيل، ولكننا نشير الى أن أطوار الاستقبال، شأنها شأن أطوار الانتاج، لا ينبغي أن تقوم أية حدود بارزة بين الواحد والأخر منها. وهنا يبرز احتمال

اقوى بوقوع تنقل في السيادات مقترن بقيام تشاور وتفاعل واسعين فيما بين الأطوار، ولا سيما عند اعتبار النتائج في طور ما مظنة شك او اضطراب، ويجد المرء هنا أيضا اختلافات في شدة الأطوار ومدتها، ويعتمد ذلك على عوامل من مثل:أ) تقييم المستقبل لنوعية النص (ر.ف ٣:١٠)، ب) درجة التكامل التي ينبغي أن يقيمها المستقبل بين محتوى النص ومخزون المستقبل من المعرفة القبلية (١٨،٥٢٠)، ج)الانخراط العاطفي والمعرفي للمستقبل في الموقف الاتصالي. ومن امثلة هذه الاختلافات التفاوت في مقدار الاستنتاج الذي يقوم به مستقبل النص (قارن. ٥:٤،٣٤:١،١:١١) .

٣:٢١ لذا نجد استقبال النص مشتملا على عتبة انهاء يعد استيعاب النص وتكامله عندها مرضيين (قارن. ٣:١٠). واذا كان النص مهما للمستقبل فان عتبة الانهاء ستكون مرتفعة، ومن أمثلة ذلك أن الناقد الأدبي المحترف، ينفق قدرا غير مألوف في معالجة النماذج الأدبية الخاصة، حيث لا يكتفى بالجوانب الأكبر حظا من الاحتمال، والأسهل استرجاعا في شكل الإخراج والمحتوى، انما يتسع الأمر أيضا لجوانب ثانوية أكثر دقة ورهافة. ومن الأمثلة الايضاحية على ذلك، التحليل الذى يمارسه اللغوي المحترف دون أن يكتفي بكشف التنظيم البنيوى المقصود فعلا وانما يكشف ايضا عن عدة بدائل ممكنة من غير المحتمل أن يلحظها مستقبلو النص العاديون .

٣:٢٢ يمكن القول بان استقبال النص لا يعد، من بعض الوجوه، عكسا لإجراءات الانتاج (ر.ف. ٣:٢٩). ويستلزم الأمر أن يحاول المستقبل التنبؤ بنشاطات المنتج من أجل القيام برد الفعل الذكي السريع. وهنا تتطابق اتجاهيتا الاستقبال والانتاج، أي ان المستقبل يحاول محاكاة عملية الانتاج، مما يجعل استرجاع الخطط والأفكار الأساسية أمرا أكثر اتصافا بالمباشره (٣:٢٩) وفي الحق أن المستقبل الذى لا يقوم بخلق وفحص مستمرين للفرضيات المتصلة بما يفعله المنتج، سيتعرض للانزلاق بسهولة في تيه واسع من البدائل غير المتجهة واللامحددات. وسوف تجد المعالجة عسرا عسيرا في مجابهة الانفجار الهائل من البنى والعلاقات في أثناء فترة واقعية من الزمن.

٢٣:٢ سوف نفصل القول، من بعد، فيما أجملناه هنا اجمالا ضيقا جدا بشان الانتاج والاستقبال. وهو موضوع بحث عسير نظرا لصعوبة مراقبة الكثير من عملياته والتحكم بها ضمن اطار تجارب موثوق. ويستلزم الأمر اقامة نماذج اجرائية تعكس العمليات التي تعد مسئولة عن الوسائل المستعملة في خلق النصوص واستعمالها. ومن الممكن اختبار هذه النماذج باسلوبين: أولهما امكان محاكاة قيامها بوظائفها في الحاسبات الألكترونية، كما هو الحال في حقل البحث المسمى بالذكاء الاصطناعي (٢٨٧،٢١١،٥٨٦،٥٨٨،(١٠:٢٦ل))، وقد دلل تيرى فينوغراد(٥٨٥) على كيفية برمجة الحاسب الألكتروني من أجل استعمال علم قواعد كالذى نجده عند هاليدى في معالجة منطوقات اللغة الانجليزية. وكذلك ترى نظرية روجر شانك وهي "التبعية التصورية" أن فهم اللغة هو تطبيق للمعرفة المتصلة بتتابعات الحوادث والأفعال (٤٧٩،٤٧٨) وبمقدار ما تشتمل بعض قضايا لغويات النص التقليدية على مهام معالجة لمعلومات، يصبح من الممكن عندئذ اعادة صياغتها بالاعتماد على الحاسب الألكتروني. ومن أمثلة ذلك استعمال الضمائر (٢٢٢،٥٥٧، ٢٧٠). وبالرغم من ان العقل البشرى يمكنه الا يعالج عمليات اللغة بطريقة مطابقة لما يفعله الحاسب الألكتروني فان هذه الالات تعد ضرورية في اختبار امكان قيام *النماذج الأجرائية، المعقدة بوظائفها* (قارن، ١٠:٢٧).

٢٤:٢ يجد المرء اتجاها أخر للبحث في علم النفس المعرفي، وهو فرع من علم النفس يدرس اكتساب المعرفة وتخزينها واستعمالها(٢٠٥). وهنا يجرى اختبار النماذج في ضوء السلوك اللغوي والمعرفي للأفراد في مهمات من مثل التعرف والاسترجاع لما سمعوه أو قرؤوه. وبالرغم من أن أكثر الأعمال كانت وقفا على الجمل(٩٢) نجد أن النصوص قد أصبحت موضوعات بحث أكثر بروزا وأهمية. وسنقوم بمراجعة بعض الاتجاهات في هذا المجال في (٩:٢٤ل).

٢٥:٢ ليس من الصواب القول بأن انتاج النصوص واستقبالها قد تم استكشافهما الان، وعلى النقيض من ذلك، نجد ان ما حققناه، هو التقدم التدريجي صوب الاجماع بشأن القضايا المعنية. ان التعقيد الحقيقي في

العمليات الداخلة في الحسبان يتجاوز بدون ريب وبابعاد مضاعفة اعقد النماذج التي تم تطويرها حتى الان (قارن. ١٠ :٢٨) للافتراض، ومع ذلك يتجه فكرنا مؤقتا للإفتراض القائل بان التعقيد ليس من الامور المستعصية على الحل، ويعود الفضل في ذلك الى بعض المبادىء من مثل التعلق الاجرائي (٣:١٩)، وحل المشكلات العامة (ر.ف. ٣:١٧)، وهكذا يجد المرء بالرغم من وفرة العمليات المستعملة في معالجة النص، عددا صغيرا ومعقولا فحسب من أنماط العمليات من مثل المحافظة على الاستمرارية، والوصلية، واختبار الفرضيات ومزاوجة الانماط، وحساب الاحتمالات، والتخطيط لبلوغ الاهداف، وحل المشكلات، وما الى ذلك من أمور (قارن. ١٠ :٤ل). وفيما يلي من دراسات عن معايير النصية، سنعود المرة تلو الأخرى الى أنواع العمليات هذه، كما هي موضحة من خلال النصوص الطبيعية المنشأ، والمتعددة الأنواع.

الفصل الرابع

التضام

١:٤ أشرنا في (٢:١٤) الى ان الحفاظ على استقرار النص، بصفته نظاما، يتم من خلال استمرارية الوقائع. وتستند فكرة الاستمرارية هذه، كما نستعملها هنا الى الافتراض القائل بوجود ارتباط بين مختلف وقائع النص من جهة، وسياق استغلاله من جهة أخرى، او بمصطلحات معرفية: ان لكل واقعة قيمة بصفتها وسيلة في التوصل الى بعض الوقائع الأخرى على الأقل. وأكثر الايضاحات بيانا في هذا الشان هو نظام النحو في اللغة الذى يفرض أنماطا تنظيمية على ظاهر النص (أي التشكيلة المعروضة من الكلمات). ونحن، باستعمالنا مصطلح التضام، نود ان نؤكد وظيفة النحو هذه في الاتصال.

٢:٤ يعاني العقل البشري من المحدودية في قدرته على اختزان مواد سطح النص فترة زمنية كافية لمعالجتها (٢٠٢، ٢٥٨). ويتم ايداع هذه المواد في أمكنة التخزين النشط اي في ذاكرة عاملة تتوزع فيها موارد المعالجة بين عناصر المادة المعروضة بحسب أهمية تلك العناصر (١٦٥، ٢٦:٢،٤:١٠). ويبدو ان انطباعا بالغ القصر للمواد المدركة بطريق السمع او البصر يتكون ويتعرض لشيء من التنظيم المؤقت المفروض عليه (٥١٦،٢٩٥،١١٦،٤٧٠). وربما تم الاحتفاظ بهذه المواد ذات التنظيم المؤقت لفترات زمنية أطول، ولكنها فترات متواضعة الطول على كل حال. وينتج عن ذلك عجز معالجة النص عن اختراق ما للمشاركين من مخزون هائل، من معرفة بالعالم اختراقا مباشرا. ولا بد من قيام نظام ثانوي للتنظيم اكثر محدودية في الخيارات والأنماط. وفي نصوص اللغة الطبيعية، يتمثل هذا النظام في النحو الذي تتصف بناه وأصنافه، وان تكن في حالات كثيرة شديدة التنوع، بانها محدودة العدد بالقياس الى ما تشتمل عليه العلاقات والمفاهيم من أصناف وبنى (قارن. ٢:٢٥،٥:٣٠). ويؤكد هذا القول ما نعلمه من غلبة الاحتفاظ ببنى السطح في مواقع التخزين القصير الامد والاحتفاظ بالمحتوى التصوري في مواقع التخزين الطويل الأمد (٥٩٨).

٣:٤ تعكس الوظائف النحوية هذه العوامل المعرفية ويؤدي وقوع التبعيات القواعدية، في أحوال كثيرة، بين عناصر غير متجاورة تجاورا مباشرا (٣:٢٦) الى ضرورة ان يزودنا النحو بانماط محكمة النسج من مختلف الأحجام ودرجات التعقيد بحيث تتسع لاحتواء المواد الحالية فيها. ولذا، تؤلف الوحدات النحوية الرئيسية انماطا واضحة المعالم من التبعيات وهي: العبارة(المكونة من رأس وعنصر تابع واحد على الأقل)، والتركيب (اي وحدة مؤلفة من مسند (فعل، مثلا) ومسند اليه) (وهو اسم او عبارة اسمية)، والجملة (وحدة محدودة مشتملة على تركيب مستقل واحد على الأقل). ومن الممكن ان تستغل هذه الوحدات جميعا في مدى قصير من الزمن وبقليل من موارد المعالجة. اما في قطاعات النص الطويلة، فلدينا وسائل تتعلق بالأنماط والبنى السابقة الاستعمال من حيث اعادة استعمالها او تعديلها او تلخيصها، وهي وسائل تسهم في جانبي الاستقرار (قارن ٣:١٤) والاقتصاد (قارن ٥:١٥) لكل من المواد وجهد المعالجة. ويقصد بالتكرر التكرار المباشر للعناصر والأنماط، وبالتكرر الجزئي نقل العناصر التي سبق استعمالها الى فئات مختلفة (من فعل الى اسم، مثلا). اما تكرر بنية ما مع شغلها بعناصر جديدة فيدعى بالموازاة، في حين يطلق مصطلح اعادة الصياغة على تكرار المحتوى، مع نقله بتعبيرات مختلفة. وكذلك تستعمل الأشكال البديلة عند استبدال شاغلات موقع، قصيرة وغير ذات محتوى مستقل، بالعناصر ذات المحتوى. ويطلق الاضمار على تكرار بنية ومحتواها مع حذف بعض تعبيرات السطح وفي وسع المرء أن يقوم بادخال اشارات سطحية للدلالة على الارتباطات القائمة بين الحوادث او المواقف في عالم النص، وهذا يعني استعمال الزمن والوجهة والعطف، ويدل مصطلح المنظور الوظيفي للجملة على ترتيب العبارات بحيث تظهر اهمية محتواها او جدة ذلك المحتوى. هذا وقد تتم الدلالة على أهمية المحتوى او جدته من خلال التنغيم في النصوص المنطوقة.

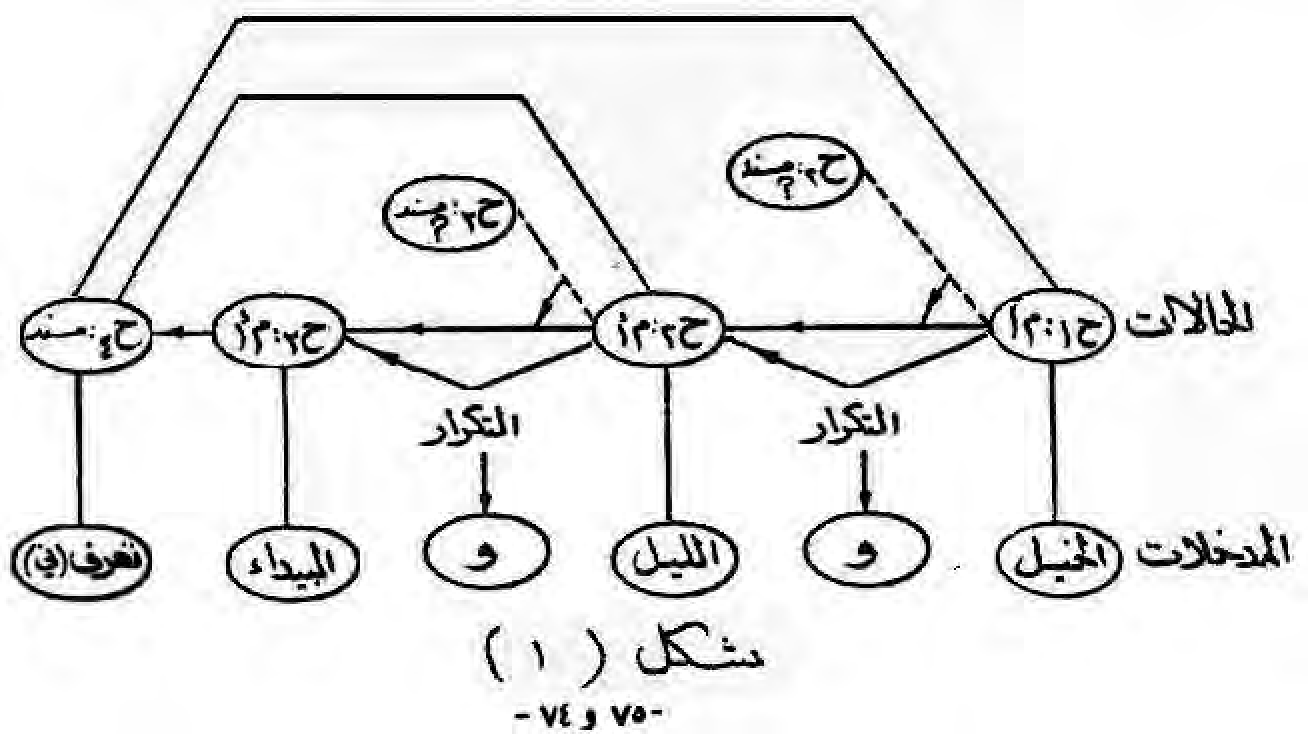
٤:٤ ان التضام في داخل العبارة او التركيب او الجملة هو أكثر مباشرة ووضوحا من التضام القائم بين اثنتين او أكثر من هذه الوحدات. ومع ذلك، يجد المرء ان كيفية بناء هذه الوحدات المحكمة النسج في أثناء الاستعمال الفعلي للنص موضوع جدير بالاهتمام. ومن الناحية الإجرائية،

يمكننا تصور التراكيب والعبارات الأساسية في لغة ما على انها تشكيلات من الروابط الكائنة بين أزواج من العناصر، يخضع كثير منها لحالات ربط أخرى(٤١٨، ٢٩٠) والمسالة هنا هي معرفة كيفية خلق هذه الروابط والترتيب الذي تنتظم فيه.

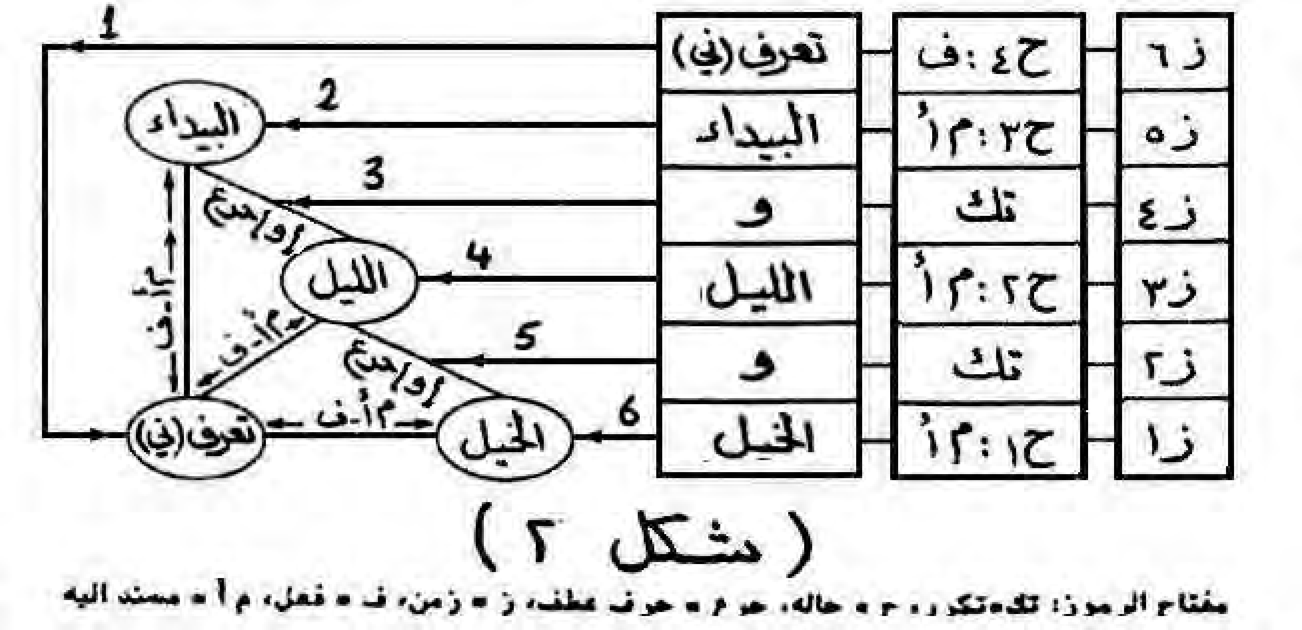
٥:٤ تقدم علوم القواعد المجردة إجابات شتى عن هذه المسالة. غير أن عمليات الزمن الواقعي الداخلة في الحسبان لم تكن من المعايير البارزة في إنشاء مثل هذه العلوم القواعدية ونود ان نشير هنا الى نوع مختلف من النحو اقيم الدليل على أفضليته في مجال محاكاة المعالجة اللغوية في الحاسبات الألكترونية. وهذا النوع من النحو هو: شبكة الانتقال الموسعة (٥٤١، ٤٧، ٥٩٢، ٨٨)، التي تتالف من تشكيلة من العقد، وهي هنا الحالات القواعدية المتصلة فيما بينها بروابط، هي التبعيات القواعدية في هذه الحالة. ويستلزم الانتقال من عقدة الى أخرى ان يقوم المعالج بالانتقال عبر إحدى هذه الروابط وتقتضي هذه العملية التعرف على الرابطة باعتبارها عنصرا في احدى قوائم التبعيات من مثل: "فعل مسند اليه" او "رأس مخصص". ومن الممكن جعل هذا الانتقال موسعا بالاعتماد على اي نوع من عمليات البحث او التوصل كتعيين الفئة الصحيحة التي تنتمي اليها العقدة التالية (٥٨٦). وفي وسع بعض أنواع التوسع الكشف عن طبيعة العلاقة التصورية المناظرة للتبعية القواعدية الحاصلة (قارن. ٥: ٢٠).

٦:٤ من خصائص شبكة الانتقال ان تعطى بنى التراكيب والعبارات فيها تكوينا إجرائيا يجعلها وسيلة صالحة لبناء الفرضيات واختبارها حول أنواع العناصر المتوقعة عند اي لحظة او العناصر المراد استعمالها فيها. ومن ثم تتمكن هذه الشبكات من استيعاب التوقعات والاستراتيجيات القواعدية لدى مستعملي اللغة. وهي تعبر عن قوانين علم القواعد باعتبارها إجراءات من أجل استعمال القوانين(٤٦٧). وتبدو العبارة او التركيب او الجملة حالة قواعدية كبرى واقعة بالفعل تتالف عناصرها من حالات صغرى في نظام النص.

ويشتمل هذا الاتجاه على مصالحة لجسر الخلاف بين الكفاية والأداء (قارن مع تشومسكي(٨٧)). ويعود هذا الى أن المقصود من القوانين هو


الحالات
ح١:م١
ح٢:م١
ح٢:م٢
ح٤:مسند
ح٢:مسند
ح٢:مسند
التكرار
التكرار
المدخلات
الجبل
و
الليل
و
البداء
نعرف(ي)

شكل (١)



(شكل ٢)

مفتاح الرموز: تك = تكرار، ح = حالة، ح ع = حرف عطف، ز = زمن، ف = فعل، م أ = مسند اليه

تحديد الأدوار الواقعية للتبعيات القواعدية وليس الأدوار الإفتراضية لها (قارن. ٣:١٢ حول الواقعي / الافتراضي).

٤:٧ ليس في وسعنا هنا سوى تقديم عجالة فحسب عن شبكة الانتقال وهي في حالة عمل (لمزيد من التفصيلات أنظر (١٦،١٧،٥٨٦،٦٦٧)).

وسنقدم فيما يلي نموذجا مبسطا لمعالجة نص هو صدر بيت شعر للمتنبي :

[١٩]د الخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم (٧٠٥: ص ٣٣٢)

رأينا في (٣:٢٦) ان التتالي الخطي يعد مضللا بعض الشيء. ونجد الوضع هنا مماثلا كذلك، حيث ان المسندات اليها غير متساوية البعد عن المسند (وهو الفعل "تعرف"). لذا، فان إحدى العمليات الأساسية ستكون الحفاظ على كل من تبعيات الإسناد بوصفها رابطة مباشرة بين المسند والمسند(ات) اليه(اليها). ان مجرد مواجهة مستقبل النص للمسند اليه، وهو "الخيل" هنا، يدفعه الى البحث عن مسند يكمل الجملة باعتباره اولوية فى قائمة التفضيلات، ولكنه بدلا من ذلك يواجه حرف العطف "و"، وبذا يجد أنه ما يزال في شبكة العبارة الاسمية فيتوقع مسندا اليه اخر، يجده متمثلا في كلمة "الليل". ثم يبدأ البحث ثانية عن المسند فيجد مرة ثانية، حرف العطف "و"، وهذا يعنى بقاءه أيضا في شبكة العبارة الاسمية فيتوقع مسندا اليه اخر فيجده متمثلا في كلمة "البيداء". ويبدأ مرة ثالثة في البحث عن المسند فيجده أخيرا متمثلا في الفعل "تعرف(نى)". ويمثل هذا الفعل مركز التحكم للحالة القواعدية الكبرى وهي هنا الجملة التي تؤلف صدر بيت شعر المتنبي أعلاه.

٤:٨ يظهر الشكل (١) المعالج وهو ينتقل في شبكة العبارة الاسمية فى تحركه صوب المسند. وفى حين يعتبر توقع المسند أفضلية من الدرجة الأولى، يعتبر توسيع نطاق العبارة الاسمية بمخصصات أو رؤوس أخرى (مسندات اليها) أفضليات تالية. وبالطبع، يؤدى الاطلاع على حرف العطف

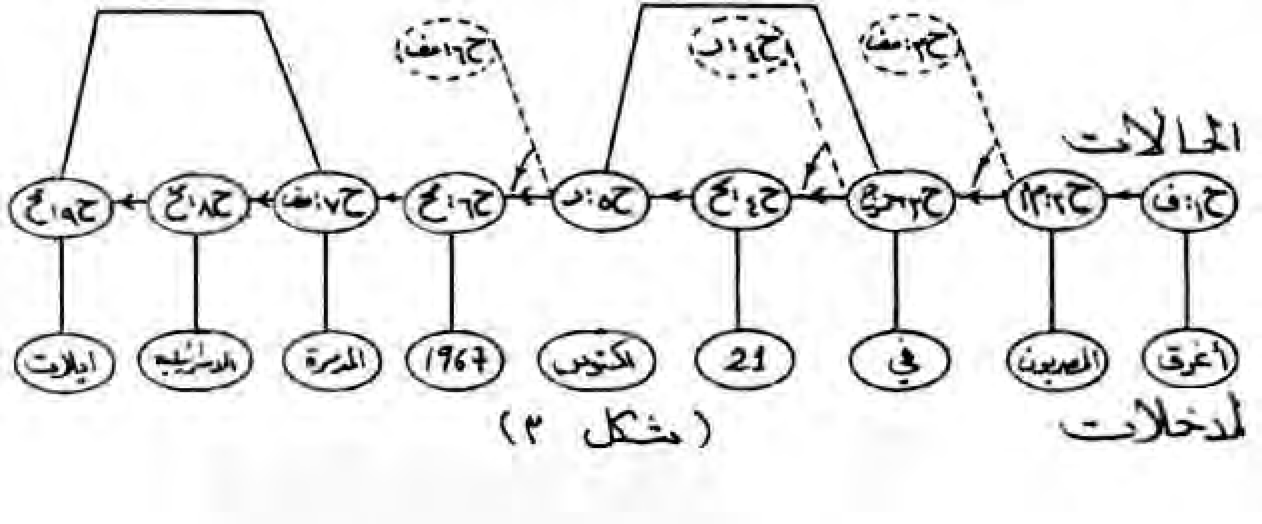
"و" التكراري الى توقع رأس جديد للعبارة الاسمية هنا كما ذكرنا في (٤:٧) أعلاه. هذا وقد استعملت الخطوط المتقطعة في الشكل (١) للحالات غير المتحققة، في حين استعملت الخطوط المتصلة للحالات المتحققة. وبالطبع، تختلف التوقعات من لغة الى أخرى، وكذلك بحسب الأمثلة العينية المستعملة في النصوص.

وفي وسعنا أيضا رؤية العمليات ضمن منظور اخر، يقوم المعالج فيه بوضع كل واقعة لعنصر منفرد في كومة تخزين الواحد فوق سابقه، وهكذا، الى حين بناء الحالة القواعدية الكبرى بتمامها. وبعدئذ يقوم المعالج بتكوين شبكة تبعيات قواعدية وفقا لما يجده لديه من نتائج. ومن الممكن استعمال كومة التخزين باعتباره تخزينا نازلا، اي ان ادخال العناصر يتم بترتيب معين ويتم إخراجها بعدئذ بترتيب معاكس له. ويوضح الشكل(٢) ترتيب تخزين عناصر المثال السابق (الخيل والليل ...)، وفيه تظهر أزمنة الإدخال في أقصى اليمين، وأسماء الحالات بجوار الأزمنة، والحالات نفسها في الوسط وفور العثور على "مركز التحكم"، وهو المسند (الفعل "تعرف")، يقوم المعالج بخلق بنية الشبكة الواقعة في يسار الشكل (٢). وهنا نفترض ان يتم إخراج العناصر من كومة التخزين بالترتيب المعاكس لإدخالها. اما الأرقام الظاهرة على الخطوط، فالغاية منها توضيح ترتيب التوصيل بحسب هذه القاعدة. غير أن الإجراءات المتبعة بالفعل في أثناء الاتصال قد تكون أكثر تنوعا مما أسلفنا.

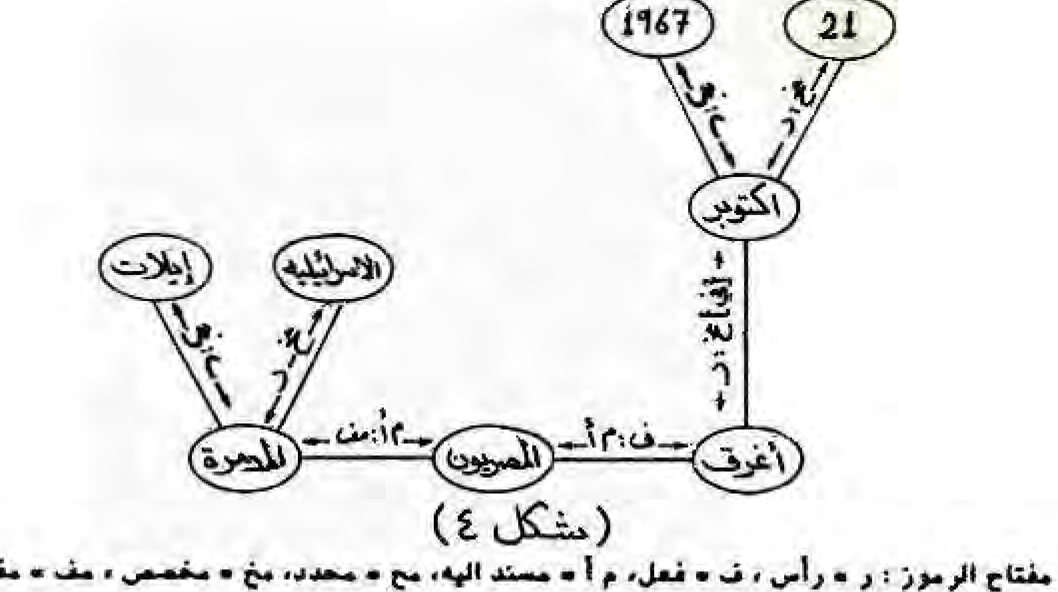
٤:٩ سننتقل الان الى تكوين شبكة تبعيات قواعدية اكثر تعقيدا، وهي تتعلق بالنموذج [٤] في (١:١):

[٤] أغرق المصريون في ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ المدمرة الإسرائيلية ايلات

في هذا النموذج،يجد مستقبل النص نفسه فور مواجهة النص أمام رأس لعبارة فعلية او مسند فعلي هو الفعل "اغرق"، ويتوقع، كافضلية اولى، العثور على المسند اليه، فيجده على الفور في كلمة "المصريون". ثم يتوقع مفعولا به للمسند الفعلي ولكنه بدلا من ذلك يجد حرف الجر "في" الذي ينتقل به الى حالة كبرى جديدة هي عبارة الجر، فيبحث عن



(شكل ٢)



(شكل ٤)

مفتاح الرموز: ر = رأس، ف = فعل، م أ = مسند اليه، مح = محدد، مخ = مخصص، مف = مفعول به

رأس ،غير انه يجد المحدد الكمي "٢١". ثم يواصل البحث عن رأس العبارة فيجده في كلمة "اكتوبر"، ويتوقع ثانية العثور على المفعول به ولكنه يجد محددا اخر للرأس في لفظه "١٩٦٧". ويعاود المعالج توقع المفعول به للفعل المتعدي "أغرق" فيجد كلمة "المدمرة"، وهي رأس لعبارة اسمية (انظر الشكل (٣)). يتوقع وجود مخصص لها ويجده في لفظه "الإسرائيلية". ثم يتوقع مخصصا اخر فيجده في كلمة "ايلات".

وتجدر الاشارة هنا الى ان المحددين الرقميين ١٩٦٧،٢١ هما في الواقع للرأسين يوم وعام وبذلك تكون العلاقة بين ٢١ واكتوبر مثلا هي (جز-مح) ولكننا أثبتناها كما هي في الشكل من أجل التبسيط.

١٠:٤ سينتهي بنا الامر الى عرض الجملة في هيئة شبكة انتقال معنونة، وليس في هيئة تتال خطي (انظر الشكل (٤)). وتتالف العقد من مدخلات الحالات القواعدية. كما تتالف الروابط من التبعيات الواقعة في الشبكة. وسيكون دور هذه الشبكة تنظيم بنية ظاهر النص بحسب أكثر طرق التوصل اتصافا بالمباشرة، الأمر الذي يتيح لنا قراءة النص الخطي في مرحلة الانتاج، وكذلك إرجاع النص الى الصورة الخطية في حالة الاستقبال. وبالرغم من ندرة الأبحاث المتعلقة بالانتاج ، يجد المرء بعض البينات التجريبية المتعلقة بالاستقبال مما يدعم نموذج شبكة الانتقال. وفي دراسة(٥٢١) عن التوقعات النحوية للأفراد بشان كيفية متابعة الجمل بعد بلوغ نقطة معينة تبين ان هذه التوقعات تتفق فيما بينها في حوالي ٧٥٪ من الحالات. وعندما قام القراء بتغيير النص في أثناء قراءتهم له بصوت عال، كانت التغيرات متفقة في حوالي ٨٠٪ من الحالات مع توقعاتهم المقدرة في اختبارات أخرى. وتعد نسب الاتفاق هذه نسبا مرتفعة بدون شك. ومن الواضح انها كافية لإجراء المعالجات العملية. ان تطبيق التوقعات على المدخلات الفعلية لن يتضمن سوى إدخال تعديلات وتخصيصات طفيفة على النحو الذي ارهصت به فكرة التعلق الإجرائي(قارن. ١٩:٣). ويقابل ذلك إمكان حدوث توسع في الانتقالات التي تقتضيها نظرية الشبكات (قارن. ٩:٤). وستؤدي الأنماط المتوقعة الى قيام مزاوجة معقولة مع المواد الحاضرة في معظم الوقت .

١١:٤ يتم الحفاظ على تضام الوحدات المحكمة النسج من مثل العبارات والتراكيب والجمل بالاعتماد على إدخال العناصر في إطار التبعيات القواعدية قصيرة المدى. أما في القطاعات الطويلة المدى من النص فان العملية الأساسية هي الكشف عن كيفية اعادة استعمال العناصر والأنماط المكتشفة مسبقا او تعديلها او ضغطها. وتلبي الوسائل المذكورة في (٢:٤) مقتضيات هذه الوظيفة من خلال علاقات التكرر والاستبدال والحذف والإشارة. وهي وسائل أقل الزاما بالقياس الى الوسائل المستعملة في الوحدات المحكمة النسج، وذلك ان فقدان العناصر في الأخيرة أكثر بروزا وأكثر إثارة للاضطراب عند التخزين الفاعل المباشر. ان الإخفاق في إتمام تركيب ما او جملة ما أشد اثارة للأضطراب من الإخفاق في استعمال تكرر او شكل بديل او اداة عطف وما اليها. وهكذا تكون الوسائل الطويلة المدى عوامل مساهمة في الجودة اكثر منها ضرورات نحوية (١٦) فهي تجعل استغلال ظاهر النص امرا مستقرا واقتصاديا (٢:٤)

١٢:٤ يطلق مصطلح التكرر على الإعادة المباشرة للعناصر، وذلك لان الواقعه الأصلية تقع مرة أخرى دون أية اضافات (قارن. ٤٢١) ويقع التكرر في مستويات مختلفة. ويبين واينريخ (٥٦١) ميل الفئات القواعدية الى التكرر دون التحول وهو اكتشاف قام به هاريس (٢٤٧) بالاعتماد على مدخل مختلف (قارن. ٢١:٢ل). ويرى فان دايك (١٢٨) ان مكونات المفاهيم تتكرر من أجل دعم التقارن في النصوص. غير اننا سنقصر اهتمامنا هنا على التكرر المعجمي، اي إعادة الكلمات او التعبيرات نفسها، وذلك باعتباره أكثر انواع التكرر بروزا ووضوحا.

١٣:٤ يشيع التكرر في الكلام التلقائي، وفيه ترجع اعادة الكلام الى قصر زمن التخطيط وسرعة فقدان مكونات سطح النص. ومن أمثلة ذلك هذا النص للدكتور سعد الدين الخادم، بلسان أحمد الذي يتحدث في موقف ارتباك ووضع حرج الى امرأة ولبنها:

[٢٠] احمد: ان زوجك...ان زوجك الان ... ما الذي يمكنني ان أقوله لكم ... ان زوجك في أشد الحاجة اليكم. انه يحتاج اليكم أكثر من اي وقت مضى... انه ما زال... بل انه... نعم.

انه يحتاج اليكم... يجب ان تبقوا الى جواره...ابقوا الى جواره...ابقوا الى جواره هذه المره...انها المرة الأخيرة

(٦٤٤:ص ٦٧)

ونلاحظ في هذا النص كثرة حالات التكرر وفقدان بعض مكونات سطح النص هنا، ومن ذلك تعبير "ان زوجك" الذي يتكرر ثلاث مرات دون إخبار الا في الحالة الأخيرة منها ونلاحظ أيضا تكرار تعبير "انه يحتاج اليكم" و "ابقوا الى جواره" و "المرة" وتكرار "ان" ثماني مرات.نلاحظ كذلك خلو سطح النص من خبر بعد "ما زال" .

أما اذا توافر لمنتج النص المزيد من الموارد والزمن ، فان التكرر يظل محدودا في العادة، وهو يؤدي عند الإسراف في استعماله الى تخفيض الإعلامية (بالمعنى الوارد في ١٧:١ل). ولهذا السبب يستنكر المرء ورود تعبيرات من مثل :

[٢١] ذهبنا الى البيت وذهبنا الى البيت

في نص ما اذ أنه لا طائل من إعادة التعبير ذاته مرتين في العادة. بيد ان التكرر يستعمل بوضوح من أجل تقرير وجهة نظر معينة وتوكيدها،

في نص ما اذ أنه لا طائل من إعادة التعبير ذاته مرتين في العادة. بيد ان التكرر يستعمل بوضوح من أجل تقرير وجهة نظر معينة وتوكيدها،

كما في الأيتين التاليتين من القران الكريم:

[٢٢]أ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون

(٦٩٢:سورة ١٠٢:أيه٤،٣)

كما يستعمل التكرر للتعبير عن الدهشة من وقائع قد تبدو متضاربة مع وجهة نظر مستقبل النص، والمثال التالي من سعد الله ونوس يشتمل على الاستعمالين :

[٢٢]ب حسن : (متعجلا) أنت ساخط ولا ريب

خضور : ساخط ؟

حسين : نعم. لا بد ان تكون ساخطا (مداورا) والوضع في الحقيقة مسخط

(٧٣٠ : ص ٩)

لقد فوجىء خضور -بائع الدبس- بسؤال رجل المباحث له عن السخط (المؤكد)، وهو يعيد كلمة "ساخط" وكانه لم يسمعها هي نفسها، في حين يعيد حسين رجل المباحث الكلمة ذاتها لتوكيد وجهة نظره الخاصة، التي أدهشت خضورا .

ومن الممكن أيضا ان يستعمل التكرر من أجل الإنكار كما يعرفه هاليدي وحسن (٢٤٢)، اي لرفض مادة ذكرت صراحة (او ضمنا) في مقال سابق، كما في المثال التالي من عثمان حلمي :

[٢٣] ابن حمدون : اسمي ابن حمدون يا سيدى

تيمورلنك : ولم غيرت اسمك يا رجل ؟ الست انت ابن خلدون؟

ابن حمدون : انابن حمدون يا سيدى ولم أغير اسمي. (٦٤٢: ص ٤٩)

فهنا يكرر ابن حمدون عبارة تغيير الإسم لرفضها ولدفع محاولات تيمورلنك طمس هويته بذكر اسم (كنية) مماثل لاسمه في الوزن و الخصائص الصوتية.

كذلك يجد المرء عاملا سياقيا اخر يستدعى التكرر هو الحاجة الى التغلب على مقاطعة شخص اخر لحديثه بكلام غير ذى صلة والى متابعة انتاجه للنص، كما في المثال التالي من نجيب محفوظ :

[٢٤] الزوجة : أنعش فؤادك

الزوج : لن يكفى الاحتياطي كله لبناء دور واحد جديد.

الزوجة : أنعش فؤادك يا عزيزي

الزوج : وماذا يعني دور جديد واحد في فندق قديم

الزوجة : أنعش فؤادك الا تسمعني ؟

الزوج : والأساس القديم لن يحتمل مزيدا من الأدوار

الزوجة : الا تريد ان تنعش فؤادك ؟

الزوج : ارى الفنادق الجديدة فتقتلني الحسرة.

الزوجة : يلزمك قدر من الاسترخاء، فانعش فؤادك. (٧٠٧ : ص ٢٢١)

١٤:٤ كثيرا ما يكون الدافع وراء تنظيم ظاهر النص في الشعر وجود تناظرات خاصة مع المعنى والغاية من الاتصال بكليته وفي قصيدة ايليا ابي ماضي "المساء" نجد ان البيتين :

[٢٥] سلمى .... بماذا تفكرين ؟

سلمى .... بماذا تحلمين ؟ (٧٠٣ : ص ٧٨٤)

يتكرران، باختلاف طفيف، فى نهاية الفقرة الرابعة من القصيدة، وهما يمثلان بموسيقاهما الهادئة، الطبيعة الحالمة التى يصور بها ايليا ابو ماضى سلمى في القصيدة وقد تجلت هذه الظاهرة في سطح النص فى بدء القصيدة :

[٢٥] السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفهـــا صفراء عاصبة الجبيـن

والبحـر سـاج صامـــت فيه خشوع الزاهديـن

حيث تسهم الحركات الطويلة "الالف، الواو، الياء" الواردة في الابيات، وخصوصا "الياء" في قوافيها - تسهم في تصوير الجو الحالم الهادىء الذي يمثل طبيعة سلمى النفسية الحالمة في [٢٥] .

وفي قصيدة الجواهري :

[٢٦] نامي جياع الشعب نامي حرستك الهة الطعـام

نامي فان لـم تشبعـي من يقظة فمن المنـام

نامي على زبد الوعـود يداف في عسل الكلام

نامي تزرك عرائس الأحلام فـي جنـح الـظلام (٦٢٠:ص ٢٤)

نجد ان الجواهري يكرر كلمة "نامي" في الأبيات الأربعة، وهي كلمة موحية بموسيقاها وتكرارها بما يصور النوم ومداومته. ويسهم تكرر الأحرف الثلاثة الأخيرة من كلمة "نامي" في قوافي الأبيات الأربعة،

يسهم في هذا التصوير أيضا.

ويعد الاستعمالان السابقان من نماذج "الايقونية" اي التشابه بين ظاهر النص ومحتواه.

١٥:٤ في جميع الأمثلة التوضيحية التي قدمناها (٢٠-٢٦) كانت التعبيرات المتكررة تحتفظ بالمدلول نفسه، اي انها حافظت على الإشارة الى الكيان ذاته في عالم النص (أو المقال)، ومن ثم، بقي استقرار النص راسخا مصحوبا باستمرارية واضحة كل الوضوح (قارن. ١٤:٣). أما اذا كان للتعبير المتكرر مدلول مختلف تماما، فمن الممكن ان ينجم عن ذلك اضطراب او اختلال، كما نرى في المثال التالي من الجاحظ :

[٢٧] وقدم اخر على صاحب له من فارس فقال له: قد كنت عند الأمير فاي شيء ولاك ؟ قال: ولاني قفاه. (٦٢٩:ج٤:ص ٦)

ان التكرر المعجمى فى [٢٧] غير مقترن بالتكرر فى المفهوم ، فقد استعملت كلمة "ولى" بمعنيين مختلفين (انظر ١:٥ل).

١٦:٤ ينطوي التكرر الجزئي على استعمال المكونات الأساسية للكلمة مع نقلها الى فئة كلمات أخرى (قارن هذا مع وسيلة المشترك الصرفى في البلاغة الكلاسيكية). ومن الممكن أن يعيد المرء استعمال المفهوم الذى استثير قبلا، بالاعتماد على هذه الوسيلة، في الوقت الذى يجري فيه تكييف التعبير عنه لمقامات مختلفة. ومن الأمثلة على ذلك الآية الكريمة:

[٢٨]أ ألا تزر وازرة وزر أخرى (٦٩٣:سورة٥٣:آية ٣٨)

وكذلك المثال التالي من توفيق الحكيم / مسرح المجتمع.

[٢٨]ب سعاد:... كل شيء صالح... وكل شيء مصلح وكل شيء فيه صلاح واصلاح ما دام

في مصلحتنا .....
(٦٣٩:ص ٤٠٨)

والمثال التالي لعمرو بن كلثوم

[٢٨]ج الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
(٦١٨:ص ٤٢٦)

وقد لاحظ دريسلر(١٥٠) فى المسح الذى أجراه لتكرارات جزئية مماثلة ان وجود تعبير ما يمهد السبيل لجعل ما عداه من التعبيرات المناظره نادرا او جديدا كل الجدة. وفي المثال التالي من الجاحظ :

[٢٩] يا بأبى انت ويا فوق البئب (٦٢٩:ج١:ص١٨٢)

تجد ان تعبير "البئب" الوارد في النص لا يكاد يفهمه المرء بالمعنى الوارد هنا دون الرجوع الى التعبير المشارك له فى اللفظ والدلالة في مستهل النص ، وهو "يا بأبى"،والذى يفيد التفدية بالاب .

ويلاحظ دريسلر أيضا ورود تعبيرات، فى هذا الإطار من الاستعمال، تظل دون تفسير حتى مرحلة متاخرة من النص. ومن أمثلة ذلك فى العربية عنوان احد كتب اللغة:

[٣٠] الساق على الساق

في ما هو الفارياق

أحمد فارس الشدياق

(٦٧٠)

إن كلمة فارياق" الواردة في عنوان الكتاب يتعذر فهمها بدون الاطلاع على الإسم الوارد في نهاية النص حيث اشتقها المؤلف من الإسمين "فارس " و "الشدياق"

كما يمكن لتعبير لاحق ان يعتمد في تفسيره لا على تكرر اللفظ نفسه او جزء منه فحسب ولكن على محتواه أيضا، كما جاء في عنوان كتاب أميل حبيبي :

[٣٠] سعيد أبي النحس المتشائل (٦٣٥)

اذ أننا لا نستطيع فهم كلمة "المتشائل"، التي تتكون من أجزاء من كلمتي "المتفائل" و "المتشائم" الا بالرجوع الى محتوى الكلمتين السابقتين اي "سعيد" وهي المناظرة في محتواها للمتفائل، و "ابي النحس " المناظرة فى محتواها "للمتشائم".

٤:١٧ وللتكرر عيب أشرنا اليه فى (٤:١٢) وهو تقليص الإعلامية. وللتغلب على ذلك، كثيرا ما تستعمل بعض الأساليب التي تتكرر فيها الأشكال مع بعض الاختلاف في المحتوى، او يتكرر فيها المحتوى مع اختلاف الأشكال. وتشتمل الموازاة على تكرار أشكال الإخراج ذاتها فى ظاهر النص ، مع شغلها بتعبيرات مختلفة:

يقول ابن زيدون في رسالته الهزلية:

[٣١] كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة (٦٦٠:ص ٦٥٨)

ويقول الجاحظ في كتاب الحيوان :

[٣٢] والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك والمستميح الذي لا يستريثك والجار الذي لا يستبطيك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك بالكذب.

(٦٣٠:١:ص٥٠)

ففي المثال الاول يستعمل الكاتب اشكال اخراج متكررة يتالف كل منها من (مبتدا) واسم (خبر) يتوسطهما ضمير المخاطب (ك) وهى اشكال تحمل صورا متقاربة وان تكن غير متطابقة تماما وفي المثال الثاني أشكال إخراج متكررة مثل "الجليس الذي لا يطريك" (اي اسم + الذي+ لا + فعل مضارع + ك) وهي أيضا تعبيرات مرتبطة فى المعنى تدل على تكريم الكتاب بصفته صديقا مخلصا للقارىء. وهذه الظاهرة واضحة أيضا فى نهاية النص حيث نجد تكرر الشكل(لا + فعل مضارع + ك + حرف جر + اسم) عند جملة "لا يعاملك بالمكر" .

ان تكرر كلمة ما قد يبلغ الحد الذي يطبق فيه المنتج تاثير تلك الكلمة على الكلمة نفسها، ومن ذلك قول الشاعر فى طيلسان الحمدونى:

[٣٣]أ يا ابن حرب اني أرى في زوايا بيتنا مثل من كسوت جماعة
طيلسان رفوته ورفوت الرفو منه وقد رقعت رقاعه (٦٤٥:ج٧:ص ٩٧)

وكذلك قول أبي الحسن المظفر ابن عبدالله في الفراق

[٣٣]ب ما يريد الفراق، لا كان منا أشمت الله في الفراق التلاقي

لو وجدنا على الفراق سبيلا لأذقنا الفراق طعم الفراق (٦٩٠:ج١:ص ١٦٤)

ومن هذا القبيل أيضا، ما نجده من أن بوسع عكس الشكل افادة عكس المحتوى، كما في المثال التالي من وفيات الأعيان

[٣٤]أ أسد علي وفي الحروب نعامة [ربداء تجفل من صفير الصافر]

(٦٤٥:ج٢:ص ٤٥٥)

حيث نجد معنى القوة في "اسد على" وهي مؤلفة من "(اسم) + (حرف جر + مجرور)، ومعنى الضعف في " فى الحروب نعامة" وهي مؤلفة، بعكس البنية السابقة، من " (حرف جر + مجرور) + اسم ".

وفى المثال التالى من الطاهر وطار :

[٣٤]ب كل شيء بمجرد النية

يكون ولا يكون، لا يكون ويكون (٧٢٨:ص ١٢)

نجد في الجملة الثانية، التى تفيد الانتقال من الوجود الى العدم، نجد فعلا مضارعا متبوعا بواو العطف، ثم لا النافية، وفعلا مضارعا؛ في حين نجد الجملة الثالثة، التي تفيد عكس ما تفيده سابقتها، اي الانتقال من العدم الى الوجود نجدها تبتدىء بلا النافية، وفعل مضارع، ثم نجد واو العطف وفعلا مضارعا مثبتا.

١٨:٤ يقصد باعادة الصياغة تكرر المحتوى مع تغيير في التعبير، كما يتمثل فى النص التالي لتوفيق الحكيم:

[٣٥]أ الدكتور : ماذا يعمل هناك؟

كما نجدها في المثال التالي من عبد العاطي جلال:

[٣٥]ب الشيخ عبود : ماذا اكلت ؟
فكريه : سندوتش
الشيخ عبود : شاطر ومشطور وبينهما طازج ...؟ (٦٣٣:ص ٧٠)

وكذلك نجدها في المثال التالي لفتحي رضوان:

[٣٥]ج ما هو المنجم ؟ هو مكان في الارض، نجرى فيه حفرا فنجد فيه معادن مخبوءة لم تكن مستغلة. كذلك الإنسان مليء بالمعادن .... (٦٥٢:ص ١٢٨)

وفي كتاب الامالي نجد:

[٣٥]د فقال : تخوفك اي تنقصك ؟ قال : نعم (٦٩٠:ج٢:ص ١١٢)

وأما في النص التالي لتوفيق الحكيم :

[٣٦] المصلح : نعم ن كنت اقرا قصة فاوست، قصة ذلك العالم الفيلسوف الهرم الذي باع نفسه للشيطان كي يرده الى الشباب. (٦٤١:٧)

نجد اعادة صياغة لمفهوم معقد هو "فاوست" وهي انما تمثل تعريفا بذلك الفيلسوف، في حين كانت إعادة الصياغة في الأمثلة [٣٥] اعادة صياغة لمفاهيم بسيطة غير معقدة ("منشار" في أ، "سندويش " في ب ، "المنجم" في ج ، و "تخوف" في د .

ومهما يكن من امر، فان مسالة اعادة الصياغة تندمج في خاتمة المطاف في قضية الترادف المتصفة بخلافيتها البالغة. ويبدو ان قليلا من تعبيرات اللغات الطبيعية تكون ذات معان احتمالية متطابقة. غير أننا

نصادف حالات عديدة تحدد فيها سياقات الوقائع المعاني الفعلية (المعاني المقالية، (قارن. ٥:١)) بالقدر الكافي لتحقيق الترادف كما هو في [٣٦] و [٣٥].

٤:١٩ وللموقفية تأثيرها في رؤية الناس لإعادة الصياغة والترادف. فالنصوص القانونية، مثلا، تصاغ بحيث تعرف بعض أنواع السلوك تعريفا قاطعا لا لبس فيه، مما يجعل إعادة الصياغة وفيرة الاستعمال فى القانون. وذلك من أجل استيعاب جميع الوجوه الممكنة للمحتوى المقصود. ونجد مثالا على ذلك من كتاب التشريع الجنائى في الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الخالق النواوى:

[٣٧] الجرح هو كل ما ترك أثرا بجسم المجنى عليه، سواء أكان ظاهرا أم باطنا، من قطع الأنسجة او وخز او تسلخ او سحج او كدم او حرق او شرخ فى العظام او كسر.

أما الضرب فهو كل ضغط او صفع او رض او دفع او احتكاك بجسم المجنى عليه سواء أترك به أثرا ام لم يترك، ولا أهمية للآلة المستعملة. (٧٢١:ص ٣٧٣)

نجد هنا فئات من الكلمات التى تعنى عناصر كل فئة منها الشىء ذاته تقريبا؛ ومع ذلك فقد استعملت جميعا من أجل تغطية جميع ظلال المعنى بحيث لا تدع مجالا للبس في الفصل بين الخصوم وإصدار الأحكام.

وكذلك نجد هذه الظاهرة متمثلة بوضوح ايضا في التعريفات العلمية؛ ففي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية لأحمد زكي بدوي نجد:

[٣٨] القيادة هي القدرة على معاملة الطبيعة البشرية او على التاثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة من الناس نحو هدف مشترك بطريقة تضمن طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم. (٦١٩:ص ٢٤٢)

فكلمات "طاعتهم" و "ثقتهم" و "احترامهم" و "تعاونهم" استعمالات متقاربة الترادف، واستعمالها كذلك هنا متاثر بالموقفية، اي كونها جزءا

من تعريف كلمة في قاموس. أما إعادة الصياغة لكلمة "القيادة" فتعتبر جزءا لا يتجزأ من النص الذى هى فيه، اذ ان إعادة الصياغة هي، كما نعرف، عمل القواميس.

٤:٢٠ قصدنا من الأمثلة السابقة الإشارة الى أنواع الدوافع التي تستدعي التكرر، والتكرر الجزئي، والموازاه، واعادة الصياغة. وبوجه عام، تستعمل هذه الأساليب من أجل الالحاح على الارتباطات القائمة بين عناصر المحتوى او بين تشكيلاته في إطار النص، وأكثرها شيوعا التكافؤ (وان كانت المقابلة أيضا ممكنة الإبراز فى النص، كما فى النماذج [٣٤]).
ومن هذا نستنتج ان استعمال هذه الأساليب يحدث قبل كل شىء فى المواقف التى يكون لاستقرار المحتوى ودقته فيها عواقب عملية ذات شان، كما هو الحال في تطبيق النصوص القانونية على الحياة الواقعية. ولا غرابة، اذن في أن يعمل منتجو النصوص جاهدين لجعل نصوصهم محددة تماما كلما أمكن ان تتصدى جماعة احتمالية من المستقبلين لمعارضة بعض النقاط التفصيلية من تلك النصوص. ومن أمثلة ذلك ايضا الفقرة التالية للدكتور طه حسين :

[٣٩] زعموا ان من أظهر خصائص الأديب حرصه على أن يصل بين نفسه وبين الناس. فهو لا يحس شيئا إلا أذاعه، ولا يشعر بشىء إلا اعلنه، وهو اذا نظر فى كتاب او خرج للتروض، او تحدث الى الناس، فاثار شىء من هذا فى نفسه خاطرا من الخواطر، او بعث فى قلبه عاطفة من العواطف او حث عقله على الروية والتفكير، لم يسترح ولم يطمئن حتى يقيد هذا الرأى او تلك العاطفة او ذلك الخاطر في دفتر من الدفاتر او على قطعة من القرطاس . (٦٣٧ :ص ٧)

نجد هنا حشدا هائلا من الوسائل التى درسناها انفا: التكرر (شىء/شيئا/شىء ؛ خاطر/خواطر ؛ عاطفه/عواطف / عاطفه:...) وإعادةالصياغة(يحس /يشعر ؛ اذاعه/ أعلنه ؛ اثار / بعث؛ ...) والموازاه (هذا الرأى او تلك العاطفة او ذلك الخاطر ،....) الى غير ذلك من الأساليب التي تتجه جميعها الى جعل النص أكثر ما يكون تحديدا .

٤: ٢١ لا يقتضي الاتصال اليومي بلوغ هذه الدرجة من اليقين طيلة الوقت. وكثيرا ما يستعمل منتجو النصوص وسائل تضام تؤدي الى اختصار ظاهر النص وتبسيطه على الرغم من وقوع خسارة معينة في اليقينية هنا او هناك (قارن. ٤: ٢٩، ٤: ٣٧) . ومن وسائل التضام الواضحة، الأشكال البديلة وهي كلمات قصيرة اقتصادية ليس لها محتوى ذاتي، وانما تقوم في ظاهر النص مقام تعبيرات تتصف باثارة محتوى اكثر تعيينا (١٥٦، ٤١٣، ٢٩٨) وتساعد هذه التعبيرات مستعملي النص على الاحتفاظ بالمحتوى وهو مهيا في مواقع التخزين النشط (قارن. ٤: ٢؛ ٤: ٥) دون حاجة منهم لإعادة ذكر كل شيء بتفصيلاته. وأشهر نوع من الأشكال البديلة هو الضمائر التي تقوم مقام الأسماء او عبارات الأسماء التي تشاركها المدلول (اي تشترك معها في المدلول بالمعنى الوارد فى ٤: ١٥). ففى هذا النص لتوفيق الحكيم:

[٤٠] لا خير عندى فى العمل الذي يولد عن غير طريق الحب...انه كاللقيط الذي يلفظ من بذره عابره .... (٦٤٠:ص ٣٤٦)

نجد ان الضمير فى "انه" قد أغنى عن إعادة استعمال العبارة الاسمية الطويلة "العمل الذي يولد عن غير طريق الحب" في النص .

٤: ٢٢ يقدم النموذج السابق [٤٠] مثالا توضيحيا على الإشارة اللاحقة : اي استعمال شكل بديل لاحق لتعبير يشاركه في المدلول (٥٥٧، ٧٢، ٧١، ٢٩٦، ٢٤٣، ١٦٢، ٦١، ٤٢٧) وتعد الإشارة اللاحقة الاتجاهية الأكثر شيوعا في حالات اشتراك المدلول، ويعود ذلك الى ان هوية المحتوى التصوري، الذي يكون فى حالة تهيؤ، هي هوية محددة مسبقا. غير أن بامكان الإشارة اللاحقة ان تصبح مدعاة للإزعاج أحيانا وذلك اذا سبق الشكل البديل قطاع طويل من النص (قارن. ٥: ٢٥ل)، فعندئذ يمكن أن تجري ازاحة للعناصر الأصلية الى خارج مواضع التخزين النشط وتستدعى بدلا منها عناصر مرشحة أخرى بطريق الخطا.

٤:٢٢ يطلق مصطلح الإشارة السابقة على استعمال الشكل البديل الذي يسبق التعبير المشارك له في المدلول (٢٤٢) وتتطلب المعالجة هنا خلق موقع خال على نحو مؤقت اي موقع في كومة التخزين يمكن ان يكون له المعنى الوارد في (٤:٨) وذلك الى حين يتم التزويد بالمحتوى المطلوب. وأفضل حالات اداء هذه الالية تقع حين يكون البعد بين الشكل البديل والتعبير المشارك له في المدلول غير كبير كان يكون ضمن حدود جملة واحدة، كما في المثال التالي لأبي العلاء المعري:

[٤١]أ تعب كلها الحياة فما أعجب الا من راغب في ازدياد (٧١٢:ص ٨)

ان الشكل البديل، وهو الضمير "ها" في كلمة "كلها" يشير الى كلمة مفردة لاحقة وهي "الحياة". وكذلك يختلف البعد بين الشكل البديل والتعابير التي يشير اليها عن تلك الموجودة في [٤١]أ كما في المثال التالي لقيس بن ذريح :

[٤١]ب هما برحا بي معولين كلاهما
فؤاد وعين ماقهاالدهر دامع (٦٩٠:ج٢:ص ٢١٦)

نجد ان التعابير التي يشير اليها الشكل البديل "هما" اي "فؤاد وعين" تقع خارج حدود التركيب الأساسي في هذه الجملة، ويمكن للإشارة السابقة ان تبتعد عن عبارة مدلولها، وان تقع بينهما عبارات عديدة، كما في المثال التالي من كمال ابو ديب:

[٤١]ج في دراسته القيمة الجادة ذات الطابع المنهجي المتميز حاول شكري عياد ...
(٦٤٨:ص ٢٩٠)

وليست النماذج [٤١] هي الأشكال الوحيدة التي تتخذها علاقة الإشارة السابقة بتعبيرها المشارك، فقد يتوجه الشكل البديل صوب حادث او موقف بتمامه بدلا من موضوع مفرد، كما في المثال التالي للمتنبي:

[٤٢] بذا قضت الأيام ما بين أهلها

مصائب قوم عند قوم فوائد

(٧٠٥:ص ٢٢٠)

اذ أن الشكل البديل هنا والمتمثل في الإشارة "ذا" يولد في ذهن مستقبل النص عند مواجهته له موقعا خاليا على نحو مؤقت، يتم تزويده بالمحتوى المطلوب (الذي يشاركه في المدلول) عند استيعاب مستقبل النص للشطر الثاني وهو جملة تدل على موقف "مصائب قوم عند قوم فوائد" ومن الممكن ان تستعمل الإشارة السابقة أيضا لتوليد الشك او الإثارة عند مستقبل النص، ففي بداية قصة الطيب صالح نجد :

[٤٣] ملأ صدره بالهواء، وترك وجهه يغتسل بنسيم الفجر، لكن روحه لم تنتعش. تريث قبل أن ينحدر في الأرض المسواء الممتدة وراءها غابات النخل، ووراء ذلك النخل يلوح هنا وهنا بين فرجات الشجر، المنظر، كان محيميد يراه اخر مرة.

(٦٧٢:ص ١٢)

ان استهلال النص على النحو الذي ورد به، باضمار الشكل البديل "هو" في. "ملأ" وهو شكل غير معلوم الهوية، يدفع المستقبلين الى محاولة شغل الفراغ الذي يتركه الشكل البديل في أذهانهم، وذلك من أجل اكتشاف الدوافع وراء فقدان الشخص المقصود للقدرة على التفاعل مع الطبيعة برغم محاولته تحقيق ذلك، وهذه تؤلف معرفة اشكالية نظرا لصعوبة وصلها فيما يظهر (قارن. ٣:١٧) ان الإشارة السابقة تثير مشكلة مؤقته لدى مستقبلي النص تساعد على زجهم في صميم النص.

٤:٤٢ ومن أجل فحص قابلية ظاهرة اثارة الاهتمام، المذكورة انفا، للبرهنة التجريبية، صمم ديبوغراند اختبارا حول استرجاع المستقبلين لنص عن إطلاق صاروخ (٩:٢٥)، وذلك بتقديمه بعض العناصر واستعمالات الإشارات السابقة معها، وتاخير لفظه "الصاروخ" وهو مدلولها، ثم اتباعه بصفاته التي كانت واردة في بداية النص الأصلي قبل التعديل. وكانت نتائج الاختبار صارخة في التعبير عن أهمية الإشارة السابقة، اذ تبين ان

٨٠٪ من مستقبلي النص (قراءة في هذه الحالة) قد استرجعوا العناصر المقدمة مع استعمالات اشاراتها السابقة، في حين لم يسترجعها وهي متاخرة وبدون استعمالات الإشارات السابقة سوى ٢٠٪ فحسب. وكذلك بلغت نسبة الذين استرجعوا الصفات المتاخرة ٢٠٪ فقط في حين استرجعها ٨٠٪ من الأشخاص لدى قراءة النص الأصلي. ويبدو ان بروز الاستهلال بعد التحويل انما أدى الى إعادة توزيع اهتمام القراء، وليس الى زيادة مطلقة في الاهتمام ذاته. ويتفق هذا الأمر مع الألية المسماه باسم "ظاهرة فون رستوف" المتعلقة بالتميزات الخاصة (٥٥٣) بيد انه من الواضح تماما ما في استعمال الإشارة السابقة من فائدة في تركيز الاهتمام على قطاع بعينه من المحتوى ، وهو هنا دفع القراء الى تكثيف استغلالهم للمحتوى من أجل التوصل الى المشارك الدلالي للإشارة السابقة المتقدمة عليه .

٤:٢٥ من الممكن للأشكال البديلة ان تكون مرتبطة بغير الأسماء او عبارات الأسماء فالفعل "يفعل" يستعمل أحيانا في هيئة شكل بديل للحفاظ على وضع التهيؤ الذهني لمحتوى عبارة فعلية او فعل أكثر تحديدا (٢٩٧، ٢٥٨،٤٥٧،٢٧٩، ٢٤٢،٥٤٩)، ويظهر المثال التالي من الفريد فرج أحد هذه الاستعمالات :

[٤٤] سليمان : اذا كنت تريد ان تكرمني فاصنع وجهي واجعله عندك تذكارا، فقد تحب ان انظر اليه فيما بعد.

محروس : سافعل ..... (يلم أشياءه) (٦٨٩:ص ٩٧، ٩٨)

يعمل الفعل "(س)أفعل" في هذا النموذج عمل شكل بديل يقوم مقام "(سـ)" أصنع الوجه وأجعله عندى تذكارا".

ومن الممكن ان ترد عناصر بديلة مثل "هكذا" او "ذلك" او الضمائر تالية "فعل" او "يفعل" وتكون معه شكلا بديلا معبرا عن حادث او موقف. وفي الأيتين الكريمتين التاليتين توضيح لهذا الإستعمال:

[٤٥]أ "يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون". (٦٩٣:سورة٦٣:أية٩)

فالفعل "يفعل" متلوا ب " ذلك " يؤلف شكلا بديلا هو "يفعل ذلك" يحل محل "(لا) تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله". كما نجد الشكل البديل "فعل" متلوا" بضمير "الهاء" في الآية الكريمة التالية:

[٤٥]ب "ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم". (٦٩٣:سورة٤ آية ٦٦)

وكذلك نجد هذا الاستعمال للشكل البديل "يفعل" في العربية الحديثة. ففى رواية الخروج من الجنة لتوفيق الحكيم نجد :

[٤٦]أ ليلى : إنك لم تهنىء بعد والدك ...
عنان : سافعل (٦٤٠:ص ٢٨٢)

وفى المصدر نفسه نجد

[٤٦]ب مختار : لن تصدقي ما أقول، ولن تاخذي قولي على سبيل الجد
عنان : بل إني أفعل (٢٨٩ : ٦٤٠)

هذا، وتبقى قضية استعمال الشكل البديل "يفعل" مع متمماته (هكذا، وذلك ....) في اللغة العربية قضية تستحق البحث، وبوجه خاص المقارنة ما بين استعمالاته في العربية الحديثة والعربية القديمة.

ويمكن لأسماء الإشارة منفردة أن تعمل عمل شكل بديل بصفة إشارة سابقة لجملة باكملها كما في المثال التالي لصنع الله ابراهيم :

[٤٧] قلت: تبدأ هكذا: كدت أفقد حياتي على جسم السد. (٦٠٦: ص ١١)

فالشكل البديل "هكذا" اشارة سابقة تشترك دلاليا مع الخبر المتمثل في الجملة التالية باسرها وهي "كدت أفقد حياتي على جسم السد".

٤:٢٦ من الخطا ان يستنتج المرء ان الاشكال البديلة إنما تشترك في الدلاله مع عناصر من نفس النوع دائما كالضمائر مع الأسماء، والأفعال البديلة مع الأفعال. ان هذه التناظرات لا تعدو في أفضل الأحوال ان تكون أفضليات نافعة في جعل الأطر القواعدية، التي تم تحليلها نحويا من قبل، قابلة لإعادة الاستعمال. ولا بد للأشكال البديلة أيضا من التكيف مع المقامات القواعدية التي تستلزمها. ففي النموذج التالي من سعيد تقي الدين:

[٤٨] ام وسيم : في الثالثة من عمره، وكنت يا حكيم قد أخذت شهادة الطب من جديد وقد داويت عينيه.

الدكتور : أذكر ذلك جيدا، ما أسرع العمر في ركضه. (٦٢٥:ص ٦٥)

نجد ان اسم الإشارة "ذلك" يعمل هنا عمل شكل بديل للتركيبين السابقين باكملهما" قد أخذت ...." وليس فقط بديلا للعبارة الاسمية " شهادة الطب".

٤:٢٧ من الممكن، اذن، ان يستلزم الأمر الربط بين الأشكال البديلة وبين تراكيب بتمامها او جمل باسرها. ويلاحظ ان " هكذا " في المثال التالي من العقد الفريد تعمل عمل شكل بديل لتراكيب سابقة باسرها:

[٤٩] ولا يخطر لكم على بال، لأنه الجواد الذي لا تنقصه المواهب، ولا يبرمه الحاح الملحين بالحوائج، إنما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فما ظنكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيره؟ (٦٧٧:ج٤:ص ١٥٣)

إن "استبدال التراكيب" يتم باستعمال الأشكال البديلة التي تشير الى بقاء محتوى التراكيب في حالة نشطة، خلافا لشكل إخراجها في عالم النص. ونرى في المثال التالي استعمال "ذلك" شكلا بديلا يدل على الاقرار بما نطق سابقا.

[٥٠] هل هو في البيت ؟

اعتقد ذلك

٢٨:٤ تتنوع مقامات الأشكال البديلة بحسب الخصوصية ايضا. ويرى لاكوف (٢٢٤) أن التسلسل المالوف يبدأ بالمحتوى الأكثر تحديدا او خصوصية وينتهي بالأقل حظا منهما. ومن الممكن ان يتخذ التتالي الشكل الآتي: (أ) اسم العلم (ب)الوصف الخاص (ج) الفئة العامة (د)الشكل البديل . ويقدم المثال التالي من خير الدين الزركلي نموذجا مقاربا لهذا الاستعمال:

[٥١] أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، ابو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم واحد مفاخر الادب العربي له الأمثال السائرة والحكم البالغة.

(٦٥٧:ج١:ص ١١٠،١١١)

ويعد هذا التسلسل محتمل الوقوع وذلك لوجوب ان يتعين المحتوى باوضح قدر ممكن عند أول استعمال له وقبل إعادة الاستعمال فيما بعد. غير ان في وسع عكس اتجاه التسلسل ان يصبح اداة فعالة في الكشف التدريجي عن هوية المشار اليه . ويظهر هذا الأسلوب في المثال التالي من مجلة العربي :

[٥٢] أمر بانشاء هذه القلعة الباهرة، المجاورة لمحروسة القاهرة، التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة على من التجا الى ظل ملكه وتحصينا، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ابو المظفر، يوسف ابن ايوب ...

(٦٨٠)

ويظهر لنا هذا النموذج كيف يتمكن المرء من زيادة الفعالية دون اتباع الطرق المالوفة التي تتبع من أجل تحقيق الجودة (قارن. ١:٢٢،٢:٩).

٢٩:٤ يلح بوغراند (١٦) على أهمية محك الجودة (٤:١١) باعتباره دافعا أوليا من دوافع الأشكال البديلة بوجه عام. على ان الأمر ينتهي عند مرحلة معينة باجراء مراجحة بين الإيجاز والوضوح. وفي حين تؤدي الأشكال البديلة الى توفير الجهد لكونها أقصر من التعبيرات التي تستبدل بها، نجد ان الجهد المتوافر يتبدد مرة أخرى في عمليات البحث والمزاوجة عندما يكون من العسير تحديد هوية التعبيرات او مواقعها. ومن الممكن تطبيق أساليب مختلفة في الحالات غير المتعينة. وفي نموذج من مثل :

[٥٣] رأى علي أحمد فاخبره...

من المعلوم أن المعالجة تتم بتفضيل الحفاظ على مواقع الفاعل والمفعول به، بحيث يسبق الفاعل المفعول به (على = الضمير المستتر، واحمد = الضمير المتصل). ومن الاستراتيجيات الأخرى الرجوع الى تنظيم المواقف والأشياء والحوادث في عالم النص، أو الاستفاده من المعرفة القبلية للعالم. ففي النموذج التالي من المتبني :

[٥٤] أمعفر الليث الهزبر بسوطه

لمن ادخرت الصارم المصقولا (٧٠٥:ص ١٤٥)

لا مانع من ان يعود الضمير المتصل (الهاء في سوطه) الى الليث من وجهة النظر النحوية البحتة، غير أن الاشتراك الدلالي هنا يحل بمحض الاعتماد على المعرفة بالعالم، وهي امتلاك بدر بن عمار (معفر الليث) للسوط (وادخاره السيف لسبب غير واضح) واستحالة ان يمتلك الأسد سوطا ما.

٣٠:٤ يعد منح الأفضلية للمعرفة الاشكالية في النصوص مبدءا سائدا من مبادىء التنظيم وذلك لأنه يعين ما يعتبره الناس من الأمور المهمة ومن ثم الجديرة بالتحدث عنها (١٦،٤٧٦). ففي الحديث الشريف :-

[٥٥] من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه

وذلك أضعف الإيمان. (٧٢٢:ص ٧٧)

نجد ان كلمة "ذلك" في النص تشير الى الجملة الأخيرة، وذلك لاشكالية المعرفة التي تنطوي عليها هذه الجملة خلافا للجملتين السابقتين لها.

٢١:٤ تنطبق هذه القاعدة ايضا على تمييز المشتركات اللفظية (اي الكلمات المتطابقة في شكلها الخارجي والمختلفة في معناها او وظيفتها). ومن هذه المشتركات اللفظية كلمة "واحد(ة)" التي تستعمل اما لعدد او لشكل بديل. وكثيرا ما يستعمل هذا الشكل البديل للدلالة على عنصر غير متعين من فئة ما (شيء او شخص)، ومثال ذلك ما نجده عند صنع الله إبراهيم:

[٥٦] أخرج علبة سجائره وقدم لي واحدة فاعتذرت باني لا أشرب السجائر ذات الفلتر. (٦٠٦:ص ١١)

هنا تدل كلمة "واحد(ة)" على أية سيجارة (غير متعينة).

وفي المثال التالي من مارون عبود تقوم كلمة "واحد(ه)" مقام شخص غير معين:

[٥٧] كتب الى واحد يقول: الا تزعجك هذه الابتسامات التي تذيع صورها الصحف اليومية والأسبوعية، وما معناها عندك؟ (٦٧٩:ص ١٦)

أما في البيت التالي للمتنبي:

[٥٨] فلا تعجبا إن السيوف كثيرة
ولكن سيف الدولة اليوم واحد. (٧٠٥:ص ٣١٩)

فان مستقبلي النص لا يكادون يزولون "واحد" هنا بانه شخص غير معين، لأن ذلك لن يشتمل على أية إعلامية. ولن ينطوى على أية مشكلة، وذلك لأن سيف الدولة هو في واقع الأمر شخص من الأشخاص، ومن ثم

فان المرء يفضل اعتبار "واحد" هنا قيمة عددية، اى ان سيف الدولة واحد فرد.
٤:٣٢ ومن الوسائل الآخرى التي تسهم في الإيجاز والجودة وسيلة الإضمار (٢٢٢،٢٤٢،١٥٨،١١٧،٢٧٩،٢٢٧،٢٩٧) وسيوذي تفحص الدراسات ذات الصلة الى الكشف عن نزاع كبير حول عناصر الاضمار. ويعود هذا النزاع الى الاختلاف حول متطلبات علم القواعد. وإذا أسرف المرء فى تطبيق محكي حسن التكوين والصرامة المنطقية، فان قدرا صالحا من النصوص الفعلية سيبدو منطويا على الإضمار. أما في المدخل الإجرائي الذى ننادى به هنا، فان الاضمار يقتصر وجوده على الحالات التي تتضمن فيها معالجة النص انقطاعا ملحوظا في ظاهر النص. ان مسالة وجود الإضمار بالفعل في نموذج معين يجب ان يبت فيها بالاعتماد على الوسائل التجريبية في خاتمة المطاف (أي ما هي البنى في ظاهر النص التي يعتبرها مستعملو النص غير مستمرة؟) .

٤:٣٣ يقوم الاضمار بوظائفه في العادة من خلال اشتراك تراكيب ظاهر النص في مكوناتها البنيوية. وأفضل الحالات تمثيلا لذلك هي الإشارة اللاحقة، حيث ترد البنية بتمامها قبل ورود البنية المضمرة (قارن. ٤:٢٢). ففي الآية القرآنية التالية:

[٥٩] ان الله برىء من المشركين ورسوله
(٦٩٣:سورة٩:آية٣)

يستلزم فهم النص ان يتمم المسند اليه في التركيب الثاني، وهو "رسوله" بالمسند من التركيب الأول وهو " برىء من المشركين" .
وينبغي ان يكون بالإمكان استرجاع البنية الكاملة في مثل هذه الحالات، بحيث يبقى البعد عن الشكل المضمر ضمن حدود ضيقة .
غير أن في وسع الاضمار ان يرد في حالات كثيرة ضمن منطوق جديد وليس في المنطوق ذاته. ففي المثال التالي من أدونيس :

[٦٠] قاتل القمر أنا، قاتل العنقاء المشعونه، أركب صهوة السمندل واتنشق الحجر .

(٦١٠:ج١:ص ٥٣٠)

نجد المنطوق الثاني " قاتل العنقاء المشعونه" منطوقا جديدا ومختلفا عن الأول، وفيه اضمار للمسند اليه "أنا" التي ترد بوضوح في المنطوق الأول وقد يشتمل الإضمار على الحالات التي يتغير فيها المتكلم، ففي المثال التالي من البيان والتبيين :

[٦١] قال لعمر حين شاطره ماله : لقد هممت

فقال له عمر : لتدعو الله علي ؟ (٦٢٩:مج٢:ص ٢٧٧)

نجد في هذا المثال اكتفاء من عمر بقوله : "لتدعو الله علي "بدلا من المنطوق الكامل "لقد هممت لتدعو الله علي " مضمرا المسند في تلك الحالة بدل إعادة استعماله من منطوق المتكلم الإخر.

ويتحدث ابن الاثير عن حذف الفعل لدلالة الكلام عليه، كما في المثال التالي من المثل السائر:

[٦٢] ومما ورد في الأخبار النبوية ان جابرا تزوج،فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تزوجت؟ قال ثيبا

قال: فهلا جاريه تلاعبها وتلاعبك ؟

يريد "هلا تزوجت جاريه ....؟ (٦٠٧:مج٢:ص ٢٩٨)

٤: ٣٤ يبدو الإضمار أكثر ما يكون وضوحا في حالة خلو البني اللاحقة من الأفعال (يطلق روس (٤٦٢) على هذا الارتباط اسم الفجوية (gapping)) وذلك لأن الفعل في الإنجليزية هو اخر ما يمكن الاستغناء عنه من عناصر التراكيب .

أما إضمار المسندات اليها فليس من الأمور النادرة في التراكيب المستقلة في الإنجليزية وفي العربية نجد المثال التالي من الأمام الخطيب

القزويني:

[٦٢]أ قال لي: كيف انت ؟ قلت: عليل: سهر دائم وحزن طويل (٦٩٨:ج١:ص ١٠٩)

حيث اضمر المسند اليه في "عليل" وهو انا .

ويمكننا تفهم قابلية الاستغناء عن المسندات اليها من خلال الافضليات التي تعين في الترتيب للمسند إليه. فموقع المسند اليه هو الموضع المحتمل لتوجيه الاهتمام عند اتمام البنى الإضمارية من مثل "عليل" في المثال السابق ، وذلك لافتراض ان هذا الدور يبقى مستقرا. وبالرغم من ذلك، يشير ليتش وسفارتفيك(٢٣٩) الى ان إضمار المسندات اليها في التراكيب التابعة يعد من الحالات النادرة في الانجليزية. وفي العربية، يتعذر اضمار المسند اليه في حالات من مثل: (٦٩٢:سورة٦٨:آية٢٢)

وذلك بالرغم من سهولة التعرف على هوية المسند اليه.

٤:٣٥ يقدم اضمار المسندات اليها وغيرها من العناصر التي يمكن الاستغناء عنها توضيحا لتعقد التفاعل فيما بين الإدراك والأعراف النحوية. ويهتم المدخل الإجرائي باكتشاف الظروف التي يصبح الإضمار فيها متكرر الوقوع. ان موقفا من مثل ارسال البرقيات يؤدى الى صنع نصوص مسرفة في استعمال الاضمار وقابلة للفهم في الوقت نفسه. ومن الأمثلة على هذا النوع من الإسراف في الاضمار ما نجده عند نوال السعداوي :

[٦٤] سألتها : ماذا بك يا طفلتي الصغيرة؟ فارتجفت كالمحمومة وأجهشت بالبكاء.....

واستطعت ان التقط من بين شفتيها المرتجفتين بضع كلمات ممزقة مبتورة خدعني... نشب... الصعيد... سيقتلونني... ليس لي أحد... أنقذيني... يا دكتوره. (٦٦١:ص ٨٥)

بيد أنه اذا كانت وظيفة النحو في الاتصال، كما أقمنا الحجة في (٤:٢ل)، هي تزويدنا بتنظيم لظاهر النص يحد من الفروض المتعلقة بتنظيم العلاقات والمفاهيم التحتية (نظام قليل الخيارات يقوم بدور نوع من "الانذار البعيد المبكر" لنظام ذي خيارات اكثر عددا)، فان الاستعمال الجزئي للنحو سيؤلف عندئذ جهد معالجة عسيرا حقا. إن حل المشكلات الذي يفرض التضام والتقارن على المقال (أنظر الفصل الثالث) يستلزم الكد الشديد والعمل المضني في مختلف الاتجاهات. ان المنطوقات الواردة في [٦٤] سهلة التجميع وهي مطبوعة في الصفحة (٤:٢ل)، غير أنها يمكن ان تحدث الخلط والارتباك اذا سمعها المرء منطوقة.

٣٦:٤ لم تحظ معالجة النصوص الاضمارية الا بقدر ضئيل من الدراسة. ويعود ذلك الى ما دأب عليه الدارسون من اعتبار الجملة الحسنة التكوين على أنها الوحدة اللازمة في اختبارات اللغة. ويؤدي الدور المهيمن للجملة في النظريات اللغوية الى نشوء الفكرة القائلة بان "من المحتمل ان تكون جميع المنطوقات مشتقة من الجمل التامة الضمنية"(٦٤). بيد أن حظ هذه الفكرة من الإقناع ضئيل للغاية، ولا ريب أنها لم تحظ بالبرهنة
جميع المنطوقات مشتقة من الجمل التامة الضمنية"(٦٤). بيد أن حظ هذه الفكرة من الإقناع ضئيل للغاية، ولا ريب أنها لم تحظ بالبرهنة
التجريبية. وبالرغم من ان تحويل نص من مثل[٦٤] الى جمل تامة سيكون من الأمور النافعة، إلا أنه ليس ضروريا للمعالجة. وفضلا عن ذلك يصعب الاتفاق حول نسخة نهائية واحدة له، بل من الممكن تماما ان يتنازل المعالج عن بعض الانتفاع من النحو كلما رجح انفاق الجهد الفوائد المرتقبة. وسيقوم بدلا من ذلك بطريق أكثر مباشرة باجراء "تحليل نحوي" غير دقيق لظاهر النص (٩:٧،٧٢). أما الاستغلال الشامل للنحو والذي يمكن ان يتم بتوسيع الانتقالات في شبكة علم القواعد (قارن. ٩:٤) فسيحظى بالاهتمام كلما تبين ان الأدلة الأخرى ليست حاسمة، كما هو الحال في أوضاع الابهام، مثلا.

٢٧:٤ يقدم الاضمار، كما في الأشكال البديلة، مثالا ايضاحيا على المراجحة بين الايجاز والوضوح (قارن. ٤:٢٩). ففي استغلال النصوص دون اضمار مضيعة للوقت والجهد. ومن جهة أخرى، يؤدي الإسراف في الاضمار الى تبديد ما توافر من وقت وجهد، وذلك لما يقتضيه من تكثيف في البحث وحل المشكلات. ان على مستعملي النص ان يروزوا ملاءمة الاضمار للمقام لتعيين مدى إسهامه في الجودة دون الحاق الضرر بها(قارن. ٩:٢) وتمثل عملية الروز هذه اختلافا نموذجيا قائما بين نظام مجرد للنحو من جهة ونموذج إجرائي له يتفاعل مع عوامل النصية من جهة أخرى .

٢٨:٤ وللتضام دعامتان أخريان هما الزمن والوجهة (٤٤٨، ٥٦٣، ٥٩٩، ١٤٨). ولهاتين الفئتين تنظيم يختلف اختلافا شديدا من لغة الى أخرى (١٥٦) وفي العادة، يجد المرء وسائل للتمييز بين أ) الماضي والحاضر والمستقبل. ب) الاستمرارية في مقابل اللحظية. ج) المقدم في مقابل التالي. د) التام في مقابل غير التام.وينشا بعض هذه الفروق في أكثر الأحوال بفعل منظور مستعملي النص عند لحظة التكوين (مثال ذلك أن ازمنة الماضي والحاضر والمستقبل تنتسب الى الموقف) وينشا بعضها الاخر من تنظيم الحوادث اوالمواقف في عالم النص بعضها مع بعض. أما اذا كانت أنظمة الأفعال غير قادرة على جعل الفروق صريحة،فان الأمر يستلزم استعمال المخصصات أو العطفيات انذاك.

٢٩:٤ تعكس استراتيجيات تكوين النص بعضا من تاثيرات الترتيب الذي ترد فيه الأزمنة والوجهات ففي العبرية يستلزم الأمر استعمالا متتابعا لتتال معين للأزمنة(٢٥٦) وفي باهينيمو، وهي احدى لغات بابوا في غينيا الجديدة، يحدد الفعل الواقع في تركيب تابع مفرد واقع في فقرة استهلالية- يحدد زمن جميع الحوادث والمواقف المذكورة في الفقرة (٣٦٠). وفي لغة غودي في ساحل العاج، يكتفي بتعيين الزمن مرة واحدة للنص باسره(٢٢٥). وفي خافانتي بالبرازيل يستعمل نظاما وجهة متمايزان للحوادث واللاحوادث (٢٢٥). وفي مومو ولنفودا بنيجيريا تستعمل وجهة الاستمرار للمقامات، وذلك في مقابل التتالي الرئيسي للحوادث (٢٢٥).

٤:٤٠ يطلعنا هذا التنوع الصارخ على ما يشتمل عليه تنظيم الزمان في عالم النص من تعقد وذاتية هائلين (٦٨). إن فكرة انقضاء الزمان بمعدل ثابت (وهي فكرة سابقة لاينشتاين ولكنها ما تزال شائعة) أقل كثيرا في القدرة على الحسم من العلاقات البينية للمواقف والحوادث التي لا تختلف في مدتها فحسب بل في بنيتها وأهميتها كذلك. وكما يشير تالمي (٥٢٥) يمكن ان يتم التعبير عن الحادث الواحد من منظورات شتى ومن أمثلة ذلك :

[٦٥]أ لمع البرق

[٦٥]ب ظل البرق يلمع

[٦٥]ج لمع البرق خمس مرات تباعا. (٥٢٥:ص ٢١)

ففي [٦٥]أ يظهر الحادث وحدة مغلقة في لحظة من الزمان، في حين يظهر الحادث في[٦٥]ب وحدة متعددة الأجزاء في متسع غير محدود من الزمان. أما في [٦٥]ج فان الحادث يبدو وحدة متعددة الأجزاء لها حدود زمانية معينة. ويرى فيلمور (١٧٥) ان "كل فعل معين او ما عداه من الكلمات الاخبارية يفترض منظورا معينا في كل حالة من حالات الاستعمال يرتكز" على "مشهد ما".وقد أجاد ديلون في تقديم أمثلة توضيحية على الحاجة الى تصور "مشاهد" من أجل معالجة أشكال الإخراج النحوية نفسها لظاهر النص (من مثل: الاشارة اللاحقة) (١٤٢).

٤:٤١ مهما يكن من أمر، فان لبعض المبادىء غير المتناقضة المستعملة في تنظيم الزمان قابلية للاكتشاف والربط بحسب أنظمة الوجهة والزمن. واذا كانت النصية تستند الى الاستمرار، كما ذكرنا في الفصل(٣:١٤)، فان من الطبيعي ان يرى مستعملو النص الحوادث والمواقف في عالم النص بحسب الربط بينها (قارن. ١:١١). ومن الممكن أن يلجا المرء الى التحديث من أجل ملء الفجوات الملحوظة، اي بالاعتماد على الاستنتاجات (بالمعنى الوارد في ١:١١،٥:٣٢-٣٤) حول كيفية تطور عالم النص (٤٧٢،٥٨٦) وقد اقترح تالمى (٥٢٥) مبادىء اضافية في تنظيم الزمان وهي أ) تعددية الأجزاء (اي قدرة الاشتمال على عدة أجزاء)، ب)

وضوح الحدود (اي ان يكون للنص حدود واضحة)، ج) قابلية الانقسام (اي فقدان النص للاستمرار الداخلي) د) التوزيع،اي نمط الأفعال/ الحوادث (الواقعة) في وحدة الزمن. وبالرغم من اعتبار هاليدي وتالمي هذه المبادىء أفكارا قواعدية، الا أنها ترتد بوضوح الى المعرفة البشرية للحوادث والمواقف (٢٨٣). وكما هو الحال في كثير من المجالات الأخرى، يستند تضام ظاهر النص الى التقارن المفترض قبلا في عالم النص (٢٩١).

٤٢:٤ يعد العطف او استعمال التعبيرات العطفية وسيلة واضحة للإشارة الى الارتباطات الواقعة بين الحوادث والمواقف (يطلق على هذه التعبيرات جميعا وبدون تمييز اسم أدوات العطف في علم القواعد التقليدية) (٢٠٥،١٤٢،٥٣٤،٢٥٥،١٤٦،٢٣٢،٢٤٢،٢٢٧،١٢٤).ومن الضروري ان يدرس المرء أربعة أنواع أساسية منها هي:

أ) الوصل، ويربط بين شيئين لهما نفس المكانة، كان يكون كلاهما صائبا في عالم النص.

ب) الفصل ، ويربط بين شيئين لهما مكانتان بديلتان، كان يكون أحدهما فحسب صائبا في عالم النص .

ج) وصل النقيض، ويربط بين شيئين لهما نفس المكانة، ولكنهما يبدوان متدافعين او غير متسقين في عالم النص، كان يكونا سببا ونتيجة غير متوقعة.

د) الاتباع، ويربط بين شيئين تعتمد مكانة احدهما على مكانة الاخر كالأشياء التي تكون صائبة في ظروف معينة او مع وجود دوافع معينة (شرط سابق/حادث،سبب/نتيجه،...الخ).

٤٢:٤ يتضح تمايزهذه الأنواع بالاعتماد على فئات العطفيات باعتبارها أدلة في ظاهر النص لكل منها. وأكثر ما يستعمل للدلالة على الوصل هو حرف العطف "الواو"، وفي حالات أقل: كذلك، وفضلا عن ذلك، وبالإضافة الى ذلك.ان الوصل علاقة اضافة، كما يحدث مثلا عند الربط بين موقفين او حادثين يعتمد كل منهما على الآخر في نطاق الجملة، ومثال ذلك ما نراه عند سعد الله ونوس :

[٦٦] الجندي: ياسنا ثقيل ولن نستطيع السير به (٧٢٩:ص ٦٤)

ويمكن للوصل ان يتجاوز حدود الجملة، كما في هذا المثال من العقد الفريد .

[٦٧]أ أرى شعرة فى لقمتك يا أعرابي

وأنك لتراعيني مراعاة من يبصر الشعره في لقمتي، والله لا واكلتك أبدا. (٦٧٧:ج٢:ص ٤٨٨)

والمثال التالي:

[٦٧]ب قلت : ساعود الى فندقي

قال : وتاتي هنا كل يوم ؟ هذا مريع. (٦٠٦:ص ٣٦)

وقد يربط الوصل بين منطوقات ليس لها شكل إخراج الجملة التامة شريطة وجود علاقة إضافة او علاقة اعتماد متبادل، كما في المثال التالى من سعد الله ونوس :

[٦٨] المخرج (مباغتا) انت ؟ واتيت مم هذا ؟ (٧٢٩:ص ١٢)

ويمثل الوصل العطف الضمني، وذلك لأن الحوادث والمواقف، إذا لم ينص على خلاف ذلك، تتجمع بحسب الإضافة في عالم النص. وما من دافع لوضع "الواو" او أخواتها في الانجليزية بين جميع التراكيب او الجمل. وفي الحق ان مثل هذا الإجراء سيجعل النص مملا الا عند احداث بعض التاثيرات الخاصة بين الفينة والأخرى. (قارن هذا مع وسيلة تعدد العطفيات في البلاغة الكلاسيكية). ويصبح استعمال هذه العطفيات امرا أكثر احتمالا حين يكون الاعتماد المتبادل أقل وضوحا ويقتضى الأمر توكيدا له.

٤: ٤٤ يشار الى "الفصل"، في معظم الحالات، باستعمال اداة العطف "أو" (ويمكن أحيانا استعمال إما/ أو، إما/واما) وكثيرا ما تستعمل في نطاق الجملة، كما يرد في المثال التالي من المتنبي

[٦٩] عش عزيزا او مت وأنت كريم

بين طعن القنا وخفق البنود (٧٠٥:ص ٢١)

وفي داخل الجملة تربط "أو" بين بديلين يكون كل منهما حاضرا في مواقع التخزين النشط، وإن كان احدهما فحسب هو الذي يقع في عالم النص. وفيما بين الجمل تنزع "أو" الى الإعلان عن فكرة بعدية، اي عن بديل لم يدخل في الحسبان من قبل، كما نرى في المثال التالي من ابن الرومي:

[٧٠] ان تطل لحية عليك وتعرض

فالمخالي معروفة للحمير

علق الله في عذاريك مخلاة

ولكنها بغير شعير

فاتق الله ذا الجلال وغير

منكرا فيك ممكن التغيير

او فقصر منها، فحسبك منها

نصف شبر علامة التذكير (٦٥٦:مج٣:ص ٩٢٧-٩٢٨)

وليس الفصل فيما نظن سهلا على المعالجة، وذلك لأن على مستعملي النص اصطحاب كل من البديلين في مواقع التخزين النشط الى حين التوصل الى قرار.

٤: ٤٥ يستدل في أكثر الحالات على "وصل النقيض " باستعمال لكن (لكن) وفي بعض الحالات باستعمال أخواتها من مثل: بيد أن، غير أن، وأما... ووظيفة وصل النقيض هي تسهيل الانتقالات الاشكالية عند النقط التي

تلتقي عندها تجميعات من الحوادث او المواقف تبدو غير محتملة الاجتماع معا. وفي نموذج من مثل :

[٧١] ملأ صدره بالهواء وترك وجهه يغتسل بنسيم الفجر، ولكن روحه لم تنتعش .

(٦٧٢:ص ١٢)

يستعمل منتج النص، كما هو واضح، "لكن" للفت انتباه مستقبلي النص الى أن النشاط المتوقع قد ظل بعيدا عن التحقق.

وفي المثال التالي من الهاشمي:

[٧٢] واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة الاف درهم، ولكنه نكث. (٧٢٣:ج٢:ص ١٤٢)

يشير وصل النقيض الى ان الاستجابة الطبيعية للصفقة التي عقدت، وهي الالتزام بعدم الهجاء، لم تتحقق.

٤:٤٦ يتمثل الاتباع في قائمة كبيرة من التعبيرات العطفية من مثل: لان، ل، لكي .... الخ. وتؤدى هذه العطفيات الاتباعية الى جعل الأنواع الشائعة من علاقات التقارن تتخذ شكلا صريحا، كالتي اجملناها في (١:٦-١١). وأحد الأنواع التي تمثلها العطفيات الاتباعية تمثيلا حسنا هو السبب (الشروط الضرورية، قارن. ١:٧) كما في المثال التالي من علم الفلك:

[٧٣] ولا تظهر النجوم في النهار لأن وهج الشمس القريبة من الأرض يطغى على نور النجوم. (٦٤٦:ص ٧)

وكذلك يعد التسويغ (رد الفعل الانساني العقلاني، قارن. ٩:٨) واحدة من العطفيات الاتباعية السائدة، كما في المثال التالي من الحجاج:

[٧٤] وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني

أمرها عودا واصلبها مكسرا فرماكم بي لأنكم طالما اوضعتم في الفتنة.
(٧٢٣:ج٢:ص ١٢٤)

٤:٧:٤ نجد قائمة التعبيرات العطفية كبيرة ايضا في علاقة القرب الزماني (قارن، ١:١٠:١) وهي تشتمل على: ف، ثم، و، بعد، قبل، منذ ، كلما، بينما، في حين، ...... وقد يكون القرب الزماني تتابعيا اذا كانت الحوادث او المواقف مرتبة احدها بالقياس الى الاخر، كما في المثال التالي:

[٧٥] فحشر فنادى فقال : انا ربكم الأعلى . (٦٩٣:سورة٧٩:آية٢٣،٢٤)

ومن الممكن لزمان ما أن يتضمن في زمان اخر، كما في المثال التالي :

[٧٦] فقال له صاحبه وهو يحاوره ... (٦٩٣:سورة١٨:آية٣٤)

وقد يشتمل القرب الزماني على تسلسل يتحدد فيه ختام حادث او موقف ما باستهلال التالى له، وربما تضمن الأمر علاقة السببية أيضا،كما في المثال [٧٤] الذي نعيده هنا:

[٧٧] وان امير المؤمنين اطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي ..... (٧٢٣:ج٢:ص ١٢٤)

ومن الاستعمالات الأخرى للاتباع الدلالة على درجة الامكان (المشروطية) اي الاحتمال او الامكان او الضرورة (او عكس اي من هؤلاء) للحوادث والمواقف (٤٤٧) وتدل الكلمتان "إن" و "إذا" على الشرط الذي يمكن ان يتحقق معه موقف او حادث ما :

[٧٨]أ اذا أردتم أن تكونوا عالميين فكونوا عربا (٦٠٩:ص ٧٤)

ومن سورة البقره

[٧٨]ب إن تبدو ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله. (٦٩٣:سورة٢:آية٢٨٤)

٤٨:٤ لدرجة الامكان اهمية بالقياس الى الحوادث والمواقف الوقوعية، اي التي يمكن ان تقع، او ان تكون قد وقعت في عالم النص (قارن. ٥:٢٨). أما في الزمن الماضي، فتتلاشى الوقوعية عند توافر بعض الشروط، كما نرى في المثال التالي من سورة ال عمران:

[٧٩]أ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (٦٩٣:سورة٣:آية١٥٩)

وفي المثال التالي من أبي تمام :

[٧٩]ب ديمة سمحة القياد سكوب

مستغيث بها الثرى المكروب

لو سعت بقعة لاعظام نعمى

لسعى نحوها المكان الجديب (٦٢٦:ص ١١٩)

ان امتناع الفظاظة في[٧٩]أ، وامتناع سعي البقعة من الأرض في [٧٩] ب وامتناع نتيجتيهما يظهره في النص استعمال حرف الشرط "لو" والزمن الماضي في الشرط والزمن الماضي مقترنا باللام في الجواب.

٤٩:٤ ينطوي العطف على تعقيدات تزيد كثيرا عما يمكن ان يتضمنه المخطط الذي قدمناه. وباستثناء الفصل، يندر ان يكون استعمال العطفيات للدلالة الصريحة من الأمور الإجبارية ويعود هذا الى أن في وسع مستعملي النص استرجاع العلاقات من مثل خاصة الاضافة، والتدافع والسببية، وما اليها، بتطبيق المعرفة بالعالم. وفي وسعنا حذف العطفيات من بعض النماذج مع إضافة علامات ترقيم أحيانا دون ان

يصبح النص مبهما. بيد أن استعمال العطفيات يتيح لمنتجي النص ممارسة التحكم في كيفية استرجاع المستقبلين للعلاقات وتكوينها. ومن أمثلة ذلك ان استعمال "الفاء" فى النموذج [٧٥] يظهر بوضوح ان الحوادث المذكورة هي حوادث متعاقبة. وبذلك يتاح للمنتج ادخال تفسيره الخاص في رصد الموقف (قارن. ٨:١).

٥٠:٤ في هذا المنظور يوضح العطف كيف يقرر التفاعل، لا القواعد النحوية الاجبارية وحدها، اشكال الأخراج النحوي التي يستعملها المشاركون. وقد تكون العطفيات مجرد رموز مجاملة تساعد على تحقيق جودة استقبال النص، وفي وسعها مساعدة منتج النص أيضا في أثناء تنظيمه وتقديمه لعالم النص، وبامكانها، كما رأينا فى (٤٩:٤) ان تتضمن تفسيرا خاصا او تفرضه. غير أنها نادرا ما ترد في كل انتقال بين الحوادث أو المواقف في عالم النص باسره. وفيما يظهر، يتم الاحتفاظ بدرجة معينة من الأعلامية اذا لم يكن استعمال العطفيات مستمرا. وقد تقوم فئات اخرى في ظاهر النص باداء الوظائف نفسها، ومن أمثلة ذلك استعمال أشكال الأفعال السببية (٢٢٦) او ادخال حروف التعجب (١٩٣،٢٢٢).

٥١:٤ لقى أحد الجوانب الخاصة للتفاعل بين النحو والاعلامية ومقامات الاتصال، توكيدا في موضوع المنظور الوظيفي للجملة المذكور في (١٨:٢). إن مجرد وضع المواد في قطاعات التراكيب والجمل المتقدمة او المتاخرة يوحي بالأولويات النسبية ودرجات الاعلامية للمحتوى التحتي الذي تستند اليه (من أجل المناقشة وأعمال المسح أنظر ١٨٦،٢٢٥، ٢٢١،١٢٢،١٢٣،٥٠٠،٧٨،٧٩ ،٢٥٤،٣٦،٢٢٩،١٨٠،١٨١،١٨٢، ١٨٢،١٨٤،١٨٥،٢٦٩،٢٩٣)، ويتغير مدى تحكم هذا الجانب في النحو وفقا لعدد القيود الأخرى السارية المفعول. وفي اللغة الانجليزية،يؤدى فقدان نظام مورفيمي متميز في كثير من المجالات الى فرض قيود شديدة على أنماط ترتيب الكلمات في الجملة؛ اما في اللغة التشيكية (والعربية) بانظمتها المورفيمية الأكثر غنى، فان بوسع ترتيب الكلمات ان يتبع المنظور الوظيفي بدرجة أكبر من الالتزام (٥٠٠).

٤:٥٢ ينزع الناس الى تقديم نظام مرجعي قبل عرض المواد المدهشة او الجديدة، ولذا تميل الاعلامية الى الصعود عند الاقتراب من نهاية التركيب او الجملة، واذا درسنا مستهل احدى القصص من ألف ليله وليله وهو

[٨٠] (قالت: بلغني ايها الملك السعيد انه) كان في قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان الا أنه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه قال: اني أخاف اذا مت ان يضيع الملك لأنه ليس لي ولد يتولاه بعدي. (٦١٢:ج٢:ص ٨٩)

يتبين لنا أن النص يبدأ بتعبير خاو وهو : "كان في قديم الزمان" وهو محض توكيد لوجود الشخصية الأساسية في النص. وقد أجل ذكر وظيفة الرجل واسمه الى نهاية القطاع النطقي، بحيث تلا الاسم الأكثر خصوصية الوظيفة الأقل خصوصية. وبعدئذ أمكن استعمال الشكل البديل وهو ضمير الغائب مسندا إليه في الجمل التالية التي تبرز العناصر المهمة في القصة وهي قدرة الملك المادية وضعفه الجسدي وكبر سنه وعدم وجود وريث له.

٤:٥٣ سوف نناقش الاعلامية بقدر أكبر من التفصيل في الفصل السابع وهنا نود ان نشير الى ان استناد التضام الى افتراض وجود تقارن تحتي مناظر في النص، (قارن. ٤:١٤) يؤدي الى ان ترسل تتابعات ظاهر النص اشارات حول المعرفة المشتركة التي تطبق في مرحلة ما من مراحل التفاعل الاتصالي ومن الأمثلة على ذلك، أن المسندات اليها في اللغة الانجليزية تقوم، في أكثر الحالات وليس في جميعها بالطبع، بتنشيط او اعادة تنشيط للمحتوى المعطى او المتوقع، ويعود هذا الأمر الى المنفعة الاستراتيجية التي تتالف من تقديم المادة المعلومة اولا (١٨٣) ويشتمل القطاع الخبري اللاحق، بدوره، على نفع خاص في تكوين مركز الاهتمام.

٤:٥٤ ويشتمل التضام على نظام ثانوي لا يتيسر في غير النصوص المنطوقة وهو التنغيم (٢٤٠،٢٤١،٢٤٠،٥٩، ١١٩، ٢٤٠). والنمط المألوف منه، في الانجليزية، هو التنغيم الصاعد عند نهايات التراكيب والجمل، ويتميز بوجه خاص ببلوغ الذروه عند التعبير النهائي الذي يحمل المحتوى المهم. وبالرغم من تركز الأبحاث فترة طويلة على التراكيب والجمل، الا ان د. براز ل (٥٩)قام في (١٩٧٥) بتقديم شرح للتنغيم في نصوص بتمامها او في نصوص واقعة ضمن مقالات. وقد اختار برازل نغمات هاليدي (٢٤٠) ولكنه اعاد تسميتها بحيث أصبحت تشير الى الأحداث المقالية (قارن. ٦:١١) التي تشتمل عليها النصوص. وتحدث الاثارة (الإرجاع) حين يعرض المتكلم مادة تغلب عليها المعلومية او التوقع في حين يحدث الاعلام اذا عرض المتكلم مادة يغلب عليها انها جديدة أو غير متوقعة او تصحيحية او تغايرية (قارن. ٨:١٠) ومن ثم ينزع الاعلام، بقدر أكبر مما تفعل الاثارة، الى استخلاص الاستجابات من المشاركين الاخرين. ومن الممكن أيضا استعمال خيار محايد يوصف بانه لا يفى بمقتضيات اى من الجانبين

٤:٥٥ يقصد بالنغمه الميل الى الصعود او الهبوط لمجموعة نغمية (اي قطاع من نص ينطق في هيئة وحدة واحدة). ويقع الاختيار الأساسي بين نغمة هابطة واخرى هابطة صاعدة (اي هابطة ثم صاعدة) وهما النغمتان ١، ٤ في نظام هاليدي). وتستعمل النغمة الهابطة في العادة للاعلام، كما تستعمل النغمة الهابطة الصاعدة لإثارة. واذا استعملنا أسهما متجهة الى أسفل (هابطة) والى اسفل فاعلى (هابطة ثم صاعدة) فاننا سنحصل على أربعة أنماط للمنطوق الثنائي الاجزاء نفسه كما في الشكل ٥. ويستعمل النمط المبين فى [٨١]أ اذا افترض المرء ان السامع يعلم عن قراءة المتكلم لرسالة الغفران، وليس عن خططه المستقبلية. أما [٨١]ب فيكون ملائما للاستعمال اذا كان السامع عالما بقراءة المتكلم لدانتي وليس على علم بالفرصة المواتية او الزمن الملائم للقراءة. ومن الغرابة بمكان ان عكس وضع التركيبين في الجملة المركبة لا يغير من هذه الرؤية: فان [٨١]ج تقوم مقام [٨١]أ، وكذلك تقوم [٨١]د مقام [٨١]ب، ويبدو ان التنغيم التغايري للتراكيب يجعل النغمة الهابطة الصاعدة تظهر في هيئة خلفية للمادة في حين تظهر النغمة الهابطة

أمامية لها وذلك بصرف النظر عن ترتيبهما في المنطوق.

[٨١]أ إذا قرأت رسالة الغفران فسوف اقرأ الملهاة الالهية

[٨١]ب إذا قرأت رسالة الغفران فسوف أقرأ الملهاة الالهية

[٨١]ج سوف أقرأ الملهاة الالهية اذا قرأت رسالة الغفران

[٨١]د سوف أقرأ الملهاة الالهية اذا قرأت رسالة الغفران

الشكل ٥

٥٦:٤ وفضلا عن ذلك يعين برازل (٥٩) خيارين متميزين او مشددين يدلان على قدر إضافي من مشاركة المتكلم. ويناظر حدث الاعلام المشدد نغمة صاعدة متبوعة بنغمة هابطة (النغمة ٥ عند هاليدي) واذا وقعت هذه النغمة على التركيب الأول من [٨١]ب فانها تعني توكيد فعل قراءة (رسالةالغفران). وبالمثل يكون لحدث الإثارة المشدد نغمه صاعدة بسيطة (النغمة ٢ عند هاليدي)، وإذا وقعت هذه على التركيب الثاني في [٨١]ب فسيؤدي ذلك الى تحويل المنطوق الى استفهام، أو الى عبارة محتاجة للتعزيز والتقرير من وجهة نظر المتكلم. وتتصف النغمة الصاعدة بملاءمتها بوجه خاص للاستفهام الملح او الشرط الملح (قارن، ٤٨:٤) في تراكيب اذا الشرطية: وأخيرا يذكر برازل ان النغمة المنخفضة الصاعدة (اي التي تصعد انطلاقا من درجة صوت منخفضة الى وسطى) تمثل خيارا محايدا لتجنب التزام الشخص بنوع بعينه من أحداث المقال (النغمة ٣ عند هاليدي).

٥٦:٤ وفضلا عن ذلك يعين برازل (٥٩) خيارين متميزين او مشددين يدلان على قدر إضافي من مشاركة المتكلم. ويناظر حدث الاعلام المشدد نغمة صاعدة متبوعة بنغمة هابطة (النغمة ٥ عند هاليدي) واذا وقعت هذه النغمة على التركيب الأول من [٨١]ب فانها تعني توكيد فعل قراءة (رسالةالغفران). وبالمثل يكون لحدث الإثارة المشدد نغمه صاعدة بسيطة (النغمة ٢ عند هاليدي)، وإذا وقعت هذه على التركيب الثاني في [٨١]ب فسيؤدي ذلك الى تحويل المنطوق الى استفهام، أو الى عبارة محتاجة للتعزيز والتقرير من وجهة نظر المتكلم. وتتصف النغمة الصاعدة بملاءمتها بوجه خاص للاستفهام الملح او الشرط الملح (قارن، ٤٨:٤) في تراكيب اذا الشرطية: وأخيرا يذكر برازل ان النغمة المنخفضة الصاعدة (اي التي تصعد انطلاقا من درجة صوت منخفضة الى وسطى) تمثل خيارا محايدا لتجنب التزام الشخص بنوع بعينه من أحداث المقال (النغمة ٣ عند هاليدي).

٤:٥٧ يندمج هذا المخطط الأساسي مع التفرقة بين طبقات الصوت التي ترجع ادراجها الى هنري سويت (١٩٠٦م). وتعد الدرجة الوسطى فيها تلك الدرجة التي تعتبر عادية في ظرف معلوم، في حين تعتبر الدرجتان المرتفعة والمنخفضة تينك الدرجتين الواقعتين فوق الوضع العادي ودونه على الترتيب. ودعوى برازل هي أن التتالي المألوف في نغمات المقال هو: مرتفعة، وسطى، منخفضة وذلك لأن الدرجة المرتفعة تعبر عن الرغبة في استمرار قطاع المنطوق الحالي من المقال، في حين تشير الدرجة المنخفضة الى انتهائه. وتستعمل الدرجة المرتفعة بوجه خاص، في التغايرات اما بين قطاعين مذكورين من المادة او بين مادة مذكورة وأخرى متوقعة. وفي مقابل ذلك، تعبر الدرجة المنخفضة عن تكافؤ قطاع منطوق مع قطاع سابق او متوقع. ويستدل على الاستقرار بالنطق بحد أدنى من الجهد. وفي حوار (٥٩) من مثل :

[١:٨٢] أين هو الان ؟

[٢:٨٢] في السرير . (٥٩)

يعبر الرد بدرجة صوت مرتفعة الى شذوذ في المكان او اقترانه بفضيحة في حين تدل الدرجة المنخفضة الى أن الأمر متوقع تماما. وهكذا نجد أن الدرجة المرتفعة تشجع المزيد من المناقشة، في حين تشير المنخفضة الى انتفاء الحاجة لمواصلة الكلام، أما الدرجة الوسطى فهي درجة محايدة، وخالية من الالتزام بهذا الشان، ولذا فانها تستعمل عند رغبة الشخص في ترك الخيار بمواصلة الكلام مفتوحا.

٤:٥٨ ان العجالة التي قدمناها لمخطط برازل، بالرغم من وجازتها، كفيلة بالكشف عن نتائج مهمة لدراسة النصوص بصفتها نشاطات بشرية. ولا يقتصر دور التنغيم على أنه يصل نصوص السطح المنطوق بعضها ببعض، بل هو يفيدنا أيضا في تعيين الوصل بين المفاهيم والعلاقات ضمن عالم النص وكذلك بين عالم النص والمعرفة القبلية المشتركة. ويكفي ان ناخذ بالاعتبار آليتي التكرر واعادة الصياغة المذكورتين في (٤:١٢-١٩) وفي (٤:١٨-١٩) على التوالي. ان قيام شخص مشارك بالتكرار او باعادة الصياغة لنص فرغ مشارك اخر من تقديمه، يجعل مواصلة تطوير المقال تعتمد اعتمادا حاسما على التنغيم، فالتكرر او اعادة الصياغة بدرجة صوت منخفضة يدل على ان النص السابق قد تحقق سمعه وفهمه فحسب، أما اذا جرى ذلك بدرجة صوت وسطى او مرتفعة فسيبقى الخيار لمنتج النص السابق في البت بشان إضافة المزيد الى

النص. وعلى هذا النحو، يكون اختيار درجة الصوت مقياسا للقصدية والتقبلية باعتبارهما اتجاهين للمتكلم والسامع نحو التضام والتقارن والاعلامية. ولمستويات التنغيم، في ذاتها، تاثير كبير على الموقفية(اي ما يجرى في مقام اتصالي خاص) والنصوصية (اي كيفية تاطير المرء للنص بحسب نصوص الاخرين في المقال نفسه). وفضلا عن ذلك، يمكنك اجراء تعديل فورى لما لحق بمتطلبات الجودة والفعالية والملاءمة من اغفال واهمال، وذلك باعادة الصياغة بدرجة صوت مرتفعة من أجل الاستجابة لحالات الاغفال المسرف، وبدرجة صوت منخفضة في حالات الاغفال المعتدل.

٥٩:٤ خصصنا هذا الفصل لعوامل التضام في النص، واقترحنا ان تكون القطاعات القصيرة المدى مؤلفة من أنماط محكمة النسج من التبعات القواعدية، في حين تعتمد معالجة القطاعات الطويلة المدى، على إعادة استعمال للأنماط او العناصر السابقة بحيث يتحقق الاقتصاد في الأحوال الممكنة. وتقدمنا من الحالات التي تتكرر فيها وقائع ظاهر النص كما هي الى الحالات التي يتحقق فيها قدر أكبر من الايجاز. وقلنا ان التكرر يشتمل على اعادة دقيقة للمواد (١٢:٤-١٧) وان التكرر الجزئي يشتمل على استعمالات مختلفة لمفردات اللغة الأساسية نفسها (جذور الكلمات، (١٦:٤))، وان الموازاة تحدث عند اعادة استعمال البنى مع اختلاف موادها (١٧:٤) وان اعادة الصياغة تحدث من خلال التكافؤ التقريبي للمفاهيم بين مواد مختلفة في الظاهر (١٨:٤-١٩). وكانت دعوانا هي أن هذه الوسائل الأربع تستعمل، بالتفضيل حين يرغب منتج النص في استبعاد دواعي الريب والخلاف. وفي الاستعمالات اليومية العادية يلجا المرء الى وسائل أخرى من أجل تحقيق الايجاز في ظاهر النص: وما الاشكال البديلة سوى عناصر خاوية مختصرة تستعمل لابقاء محتوى العناصر الأكثر كمالا مهياة للتناول، وكذلك حين يقتضي الأمر اعادة استعمال البنى النحوية الأساسية او بعض الاشكال الوجيزه منها (٢١:٤-٣١) ويتيح الاضمار حذف بعض المكونات البنيوية شريطة ان تكون الصيغة الكاملة قابلة للاسترجاع (٢٢:٤-٢٧)، وتقدم الأشكال البديلة وحالات الاضمار توضيحا لقيام مراجحة حين يحتمل ان يصبح الايجاز مسرفا لا يقع منه أي توفير في الجهد، وذلك لنضوب معين

الطاقة في عملية اعادة بناء الأشياء (٤:٢٩ل،٤:٢٧).

٤:٦٠ ثم تابعنا تقدمنا صوب الوسائل التي تعبر بوضوح عن العلاقات القائمة بين الحوادث او بين المواقف او بين عناصر من هنا وهناك ضمن عالم النص. ووجدنا ان في وسع الزمن والوجهة الاشارة الى الأزمنة النسبية، ووضوح الحدود، والوحدة، والترتيب، وامكان الوقوع، للحوادث والمواقف (ر.ف. ٤:٣٨-٤١).

ويقدم العطف علامات صريحة لعلاقات الاضافة، والبدلية، وعدم الاتساق، والاتباع بوساطة السببية والزمان ودرجة الامكان وما الى ذلك من امور (٤:٤٢-٥٠). وختمنا هذا الفصل بمراجعة لاسهامات منظور الجملة الوظيفي بصفته ارتباطا بين اولويات المعرفة او الاعلامية وبين ترتيب الكلمات في التراكيب والجمل (٤:٥١-٥٢)، واتبعنا ذلك بدور التنغيم في فرض منسوبات مسموعة مميزة للنغمة والدرجة في المقال، وفي ذلك دلالة بالغة الأهمية على التوقعات والاتجاهات والمقاصد وردود الأفعال (٤:٥٤-٥٨).

٤:٦١ بالرغم من ان المسح الذي أجريناه ليس مسحا كاملا ولا شاملا باى حال، فانه كفيل بتوضيح العلة في أن فكرة "تضام النص " أوسع كثيرا من الفكرتين المالوفتين وهما: "نحو النص " و"علم قواعد النص ". ومرد هذه السعة عاملان هما: التكوين الاجرائي للبنى القواعدية اوالنحوية باعتبارها تشكيلات تستغل في الزمن الواقعي، وتفاعل النحو او علم القواعد مع عوامل النصية الأخرى. ومن الجدير بالذكر ان النظريات النحوية في الخمسينات والستينات لم يكن يقصد بها الى تضمن هذين العاملين، ولذا فقد يستلزم الأمر منا تطوير نظريات جديدة بدلا من الاكتفاء بمراجعة النظريات المعيارية او توسيعها. ونحن نامل ان نكون قد اثرنا، على الأقل، بعض القضايا من النوع الذي ينبغي ان تشتمل عليه النظريات الجديدة في تضام النص، وان نكون قد رفعنا الستار عن دوافع بناء مثل هذه النظريات في السياق الأوسع الا وهو التفاعل البشري بوجه عـــــــــام.

الفصل الخامس

التقارن

١:٥ اذا كنا نستعمل مصطلح "المعنى الاحتمالي" للدلالة على ما لتعبير لغوي (او غيره من الإشارات) من امكانات في تمثيل المعرفة ونقلها (أي المعنى الافتراضي) فان بوسعنا عندئذ استعمال مصطلح "المعنى المقالي" للدلالة على المعرفة التي تنقلها بالفعل التعبيرات الواردة في النص. وفي الحق ان لكثير من التعبيرات عدة معان افتراضية. بيد أن معنى مقاليا واحدا هو الذي يقدمه النص لكل منها. واذا لم يتبين المعنى المقصود على الفور، فاننا سنكون ازاء حالة من حالات عدم التعين. وفي وسعنا نعت الدائمة من حالات عدم التعين بالابهام وذلك بافتراض أنه غير مقصود في ذاته. كما يسمى بعضها حالة تعدد المعنى، وذلك حين يقصد منتج النص بالفعل الى نقل معان عدة في الوقت نفسه. وبالرغم من ان القدرة البشرية على اكتشاف المعاني المقصودة واستبعاد الإبهام او حله لم تحظ بتفسير جيد حتى يومنا هذا، الا أن هذه القدرة تعد واحدة من أكثر عمليات الاتصال تعقدا واثارة للدهشة (قارن مثلا هيز/ (٢٥٩)).

٢:٥ تعود إفادة النص معنى ما الى استمرارية المعاني المقالية في إطار المعرفة التي تستثيرها تعبيرات ذلك النص (٢٧٣). والنص الخالي من المعنى او "غير المعقول" هو النص الذي يعجز مستقبلوه عن اكتشاف مثل تلك الاستمرارية فيه. ويعود هذا في العادة الى وجود خلل كبير في المزاوجة بين تشكيلة المفاهيم والعلاقات التي يعبر عنها النص وبين المعرفة القبلية للعالم في أذهان المستقبلين. وسوف نتخذ هذه الاستمرارية للمعاني المقالية أساسا لمفهوم التقارن ونعني به ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاقة صلة متبادلين (قارن. ٦:١). ويتألف عالم النص من التشكيلة التي يستند اليها النص، وهو عالم يمكن ألا يتطابق مع الصيغة المعتمدة "للعالم الواقعي" (قارن. ١:١٨:٧) أي صيغة الموقف البشري الذي يعده مجتمع ما او جماعة بشرية ما صحيحا. بيد أن من الضروري ملاحظة ان عالم النص لا يقتصر على المعنى المقالي لتعبيرات ظاهر النص وحده: وذلك ان العمليات

المعرفية تسهم بقدر ما في معرفة الحس المشترك الناجمة عن توقعات المشاركين وخبراتهم بشأن تنظيم الحوادث والمواقف. ولذا فان المعاني المقالية للتعبيرات، وان تكن أوضح الاسهامات وأقربها في اكساب النص معناه، لا تمثل الصورة الكاملة على كل حال .

٣:٥ لا يقوم تطابق بين المعرفة وبين التعبيرات اللغوية التي تمثلها او تنقلها ، وإن يكن الخلط في هذا المجال أمرا واسع الانتشار في علم اللغة وعلم النفس ويعود هذا الخلط الى الصعوبة البالغة التي تكمن في تصور المعرفة والمعنى الاحتمالي ووصفهما دون الاستناد الدائم الى تعبيرات اللغة. ويتفق كثير من الباحثين على ان التمثيل المستقل عن اللغة أمر مرغوب فيه الى حد كبير (٤٧٩). بيد انه يبدو ان ليس بوسعنا الاتفاق حتى الآن على اية صيغة تمثيلية من تلك الصيغ المقترحة وليس هذا المأزق مصادفة محضة، وإنما يعكس طبيعة الكيانات التي نحاول تكوينها نظاميا (بالمعنى الوارد في ٣:٢).

٤:٥ في وسعنا تعريف المفهوم، كما بينا في (٦:١) بانه تشكيلة من المعرفة يمكن استرجاعها او استثارتها بقدر ما من الاتساق والوحدة. وهذا تعريف إجرائي يستند الى الحقيقة التي لا نزاع بها، والقائلة بان مستعملي اللغة، عند استعمالهم تعبيرا خاصا او مواجهتهم له يميلون الى استثارة كتلة معرفية بعينها تقريبا (اي انهم يضعون تلك الكتلة المعرفية في موقع التخزين النشط (قارن، ٢٦:٣، ٢:٤). ولا يبدو أن في التنوعات القائمة بين مختلف مستعملي اللغة من الجسامة ما يكفي لوقوع الخلل في حالات كثيرة جدا. ومن ثم يحق لنا الاستنتاج بان المعنى الاحتمالي للمفهوم ما هو الا مجموع استعمالاته الممكنة (٤٩٢) غير ان كثيرا من المفاهيم، لسوء الحظ، هي ذات قابلية تكيف واسعة مع شتى البيئات مما يجعلها تظل غائمة مشوشة المكونات والحدود. ولذا، نجد تعريف المفاهيم يشتمل على التعامل مع الاحتمالات النسبية: اي الإمكانات الضئيلة او القوية في اندراج معرفة معينة تحت المفهوم عند تحققه في عالم النص، حيث يبدو كل مفهوم متخذا علاقة او أكثر مع سواه من المفاهيم من مثل "حالة ل" و " خاصة ل" وما الى ذلك (قارن، ٢٦:٥) وهي علاقات يتألف منها الربط الذي يفرض قيودا على استعمال

كل مفهوم .

٥:٥ اذا كان بوسع المفاهيم ان تشتمل حقا على مختلف عناصر المعرفة بحسب ظروف الاستثارة، فمعنى ذلك انها ليست وحدات اولية متراصه، وانما يتم تماسك المكونات الخاصة للمفهوم بفضل شدة ربط معينة. ويطلق مصطلح "المعرفة التعيينية" على المكونات الأساسية في هوية المفهوم ذاتها(مثال ذلك المعرفة التي تصدق على جميع انواع البشر: الانسان فان) وكذلك يطلق مصطلح "المعرفة النمطية" على معظم ما صدقات المفهوم وليس كلها (مثال ذلك: يعيش الناس في العادة في جماعات سكنية). أما المكونات التي يصادف ان تنطبق على ما صدقات عشوائية فحسب فيطلق عليها، اسم "المعرفة العرضية" (مثال: بعض الناس لونهم أشقر). ان هذا التدرج في أنواع المكونات مختلط أيضا كما يشير لوفتوس ولوفتوس (٣٥٨) فقليل جدا من المكونات، مثلا، تتحقق فيه صفة التعين التام: فمن الممكن أن تكون الطيور طيورا وان لم تطر او إن نزع منها الريش، وقد يكون للمنضده أي شكل من الأشكال أو أي عدد من القوائم، وهلم جرا. وقد قام لابوف(٣٢٦) بدراسة الحدود التي يرغب الناس عندها في تسمية الشكل المعروض عليهم باسم "كاس" دون غيرها من الأنية (كالجرة مثلا) فلم يحصل على غير اتفاق جزئي فحسب. ومع هذا كله، يستلزم الأمر فيما نظن تدرجا ما لشدة الربط، إذا أراد المرء أن تكون المفاهيم ذات طابع اجرائي، فالمفهوم، على أية حال، انما يصاغ، من أجل معالجة الماصدقات الطبيعية وليس الأمثلة المضادة الغريبة التي ولدتها الأفكار الحالمة في مواقف غريبة (من مثل مجادلات الفلاسفة).

٦:٥ ان الاتفاق على قابلية المفاهيم للتحليل الى وحدات اساسية شيء والاتفاق على ماهية تلك الوحدات شيء أخر مختلف تمام الاختلاف (٤٠٠). بل ان الأمثلة المباشرة نفسها يمكن ان تضل في مجادلات لا تنتهي الى حل. مثال ذلك ان من الأمور المنطقية تماما اعتبار مفهوم "قتل" مؤلفا من : "سبب" و "أصبح" و "غير" و "حي" ومع ذلك نجد الخلاف يحتدم هنا أيضا، ومن الممكن العثور على نصوص يمنى فيها هذا التحليل بالفشل الذريع، كما في

[٨٣) " وما رميت إذ رميت". (٦٩٣: سوره ٨:آية١٧)

ومن الواضح ان مكونات المفاهيم هي نفسها غير تامة الاستقرار، سواء دعوناها "ملامح" أم "علامات" ام "اوليات" ام "سيمات" ام "سيميمات" ام غير ذلك من الأسماء .

٧:٥ ان الاتفاق على الوحدات المكونة للمفاهيم، حتى في حال وقوعه، لا يتضمن ان يكون تحليل المفاهيم نشاطا آليا في معالجة النص. والأدلة على مثل هذه الطرق الآلية في التحليل ما تزال ضئيلة للغاية في الوقت الحاضر(٢٠٧، ٤، ٢٦٠). ثم ان المسائل غير المحلولة هي مسائل مذهلة حقا، فكم ترى يبلغ عدد الوحدات اللازمة من أجل استيعاب جميع المفاهيم الممكنة ؟ وهل تصلح نفس المجموعة من الوحدات للمفاهيم والتعبيرات أيضا ؟ واذا اعتبرنا ان الاتصال البشري يتم من خلال التعبيرات فكيف يتم اكتساب الوحدات اذن؟ وكيف يكون بوسعنا تعريف الوحدات دون اللجوء الى نفس الأنواع من التعبيرات او المفاهيم التي نحاول تحليلها؟ وهل يعثر المرء على وحدات ضرورية، في أسوأ الظروف، لمفهوم واحد او تعبير واحد ليس غير في اللغة باسرها ؟

٨:٥ ربما يكون التحرك في الاتجاه المعاكس اكثر نفعا، فبدلا من التحري عن كيفية تجزيء المفاهيم الى ادق الأجزاء الممكنة، يمكننا التحري عن كيفية تخصيص معان مقالية معينة للتعبيرات، وعن كيفية ضم تلك المعاني معا في تشكيلات كبيرة من عالم النص. وما من شك في ان بناء عوالم النص نشاط آلي موثق في الاتصال البشري. ان وجهة النظر العكسية هذه يصاحبها صرف الانتباه عن المسائل التي يعجز الحكم القبلي عن حلها (كالتي في ٧:٥)، وتحويله الى المسائل التي يمكن متابعتها تجريبيا (من خلال قراءة النص واسترجاعها مثلا (قارن. ٩:٤٢ل). وهنا يجب ان يصبح الاختلاط وعدم استقرار المفاهيم ومكوناتها الممكنة أمرا أقل أهمية، ويطرد ذلك عند ظهورها في سياقات اتصال متزايدة التحديد. وفي هذا المنظور يمكننا تعريف المعنى المقالي لتعبير ما او لمحتوى مفهوم ما بانه مجموعة مرتبة من الفرضيات حول تيسر الوصول

والاستثارة لعناصر معرفية في نمط راهن. واذا رغب المرء في وصف مثل ذلك المعنى او المحتوى فان عليه التمركز في ذلك الموقع من تشكيلة المفاهيم والعلاقات ثم توجيه بصره من هناك في جميع المسالك (قارن. كويليان (١٤٤١)). ٩:٥

أصبحت دراسة المعنى اللغوي، في اطار هذا المدخل، موضعا للاهتمام في اتجاه جديد يطلق عليه اسم علم الدلالة الإجرائي (٢٩٢،٥٨٢،٢٨٣، ٢٤٧،٤٩٢،٢٤٦). وفضلا عن المعرفة التقريرية (وهي بيانات بحقائق ومعتقدات متعلقة بتنظيم الحوادث والمواقف في العالم الواقعي)، من المعترف به ان الاتصال يحتاج الى معرفة إجرائية (حقائق او معتقدات معطاة ذات شكل اخراج موجه من أجل أنواع خاصة من الاستعمالات والعمليات (٤٨،٢١١،٥٨٦،٥٨٤)) وليس المعنى اللغوي في النصوص سوى حالة خاصة من الاكتساب، والتخزين، والاستغلال للمعرفة في جميع جوانب النشاط البشري. وما دام استعمال اللغة متمايزا أشد التمايز ومتصفا بحسن التنظيم المعقول وفقا للمواصفات الاجتماعية، فان في وسع الحالات الخاصة اذن ان تكون أفضل السبل المبشرة بالوصول الى الحالات العامة (قارن. ٧:١٠)

١٠:٥ عند استعمال التعبيرات في الاتصال، تجري استثارة العلاقات والمفاهيم ضمن فراغ عمل ذهني سندعوه من الان فصاعدا باسم "التخزين النشط" (قارن. ٤:٥،٢:٤،٢٩:٣). وقد صرح جورج ارميتاج ميلر (٢٨٠)، بان فراغ العمل المذكور يبدو محدودا بحيث لا يتجاوز سبع مفردات في المرة الواحدة. ويؤدي هذا كما يلاحظ ميلر، الى زيادة الجودة حين تكون المفردات كتلا معرفية كبيرة وجيدة التكامل، وليست عناصر معزولة غير مترابطه. وينتج عن ذلك أن تتخذ المعرفة التي تستند النشاطات النصية اليها في العادة، شكل أنماط كلية تتعرض للمزاوجة والتخصيص من أجل استيعاب المخرجات الحالية (عند الانتاج) والمدخلات (عند الاستقبال) (قارن. ١٦:٥). اما الصعوبة الحاصلة في معالجة الوقائع الغريبة او غير المتوقعة (قارن. ١٢:٧) فيغلب على الظن انها تعود الى العجز عن معالجة الوقائع في هيئة أجزاء لأنماط مختزنة حسنة التكامل والى ضرورة الاحتفاظ بها منفصلة في مواقع

التخزين النشط الى حين استعمالها وتوظيفها.

١١:٥ قد تتخذ هذه الأنماط من المعرفة أشكالا مختلفة بحسب ما تقتضيه مهمات المعالجة الحالية. ومن الممكن لمستقبلي النصوص ان يستعملوا الأنماط في تكوين الفرضيات واختبارها حول ماهية الموضوعة الأساسية في النص (قارن. ٥:٢٢) وكيفية تنظيم عالم النص بقدر أكبر من استغلالهم للأنماط الثانوية ذات المنفعة الهامشية في النص الذي يعالجونه (قارن. ٥:١٦) ومن مقاييس الاختلاف أيضا أهمية النص لموقف المستقبل ووثوق صلته به: ومع بروز هذه العوامل يصبح استغلال المعرفة أكبر حظا في التفصيل وفي الشمول (قارن. ٢:٢١).

١٢:٥ عند استثارة احدى مفردات المعرفة، يبدو ان المفردات الأخرى ذات الصلة الوثيقة بها في المخزون الذهني، تستثار كذلك ويطلق على هذه الظاهرة، في الأغلب الأعم، اسم "توسيع الاستثارة"(١٠٥) وهي تتوسط بين العلاقات او المفاهيم ذات الاستثارة الصريحة وبين الثراء المستفيض الذي يمكن ان يتصف به عالم النص. وفي حالة الانتاج يتجه توسيع الاستثارة صوب الخارج، اي انه ينطلق من العلاقات او المفاهيم نحو تعبيرات اللغة الطبيعية ذات الأفضلية في الاستعمال (قارن. ٢:٢٣) اما في الاستقبال، فان توسيع الاستثارة يتيح انشاء ترابطات مفصلة، وتكوين فرضيات وتوقعات، ونشر صور ذهنية، وما الى ذلك، على نحو يتجاوز كثيرا ما يتجلى بالفعل في ظاهر النص. وتتصف المعرفة النمطية والمعرفة التعيينية بانهما تنزعان بوجه خاص الى توسيع الاستثارة (قارن. ٥:٥) وان يكن في وسع المعرفة العرضية المشاركة في هذا الاتجاه اذا كانت تحظى بانطباعات قوية في خبرات الفرد.

١٣:٥ لدينا بعض الأدلة على قيام مبدأين مختلفين في تخزين المعرفة واستغلالها، فقد أدخل أ. تولفنغ (٥٤٢) فكرة الذاكرة العرضية في مقابل الذاكرة الدلالية لتفسير ما نراه من تمايز. فاما الذاكرة العرضية فتنطوي على سجلات خبرة الفرد الخاصة (ما وقع لي أنا) وأما الذاكرة الدلالية فتعكس الأنماط الصميمة في تنظيم المعرفة، بالمعنى الأكثر

جاذبية لهذا المصطلح، ومن أمثلتها بنى الحوادث والمواقف (اي ما هو صحيح في العالم الواسع وكيف يتكامل بعضه مع بعض). وبالطبع تستمر خبرات المرء في تغذية وجهات نظره العامة نحو العالم، في حين تفرض هذه الأخيرة تنظيمات على الخبرة. غير أن للمعرفة العرضية ارتباطا شديدا بالسياقات الفردية الأصلية التي عرفها صاحبها، مما يجعلها مجلية لكثير من السمات العرضية، في حين تتصف المعرفة الدلالية بغلبة التنظيم فيها وفقا للسمات التي تشترك فيها الحالات الفردية كلها او جلها.

٥:١٤ يبقى الجدال محتدما حول الأهمية النسبية للخبرة في مقابل قوة الاستدلال البشري في اكتساب المعرفة وذلك منذ أيام أفلاطون وأرسطو، وفي العصور الوسطى، والوقت الحاضر أيضا. وتعد مسألة امكان قيام المفاهيم مستقلة عن جميع الماصدقات (الأمثلة) الخاصة بها (كما يرى أفلاطون)، او وجوب استخلاصها من الخبرة الشخصية (كما يؤكد التجريبيون)، من بين المسائل التي قد تكون مستعصية على الحل في اطار المناقشات العادية. ان من ينكر قوة الاستدلال البشري الأصيلة، او تأثيرات الخبرة الواقعية سينتهي أمره الى التهافت عند عرضه على محك البحث الشامل غير المتحيز للسلوك البشري. ويبدو لنا ان أجيالا من الفلاسفة لم تأخذ هذا الأمر بالحسبان، غير ان أحدا لا يكاد يشك في اشتمال استغلال النصوص على مصالحات وعلى تفاعلات مطردة بين مواد النص الواقعية والميول القبلية للمشاركين ، ويحدث ذلك في ظروف تتصف رغم مرونتها وتبدلها بانها لا تعد غير منهجية باي حال (قارن. ٩:٢٧ ل).

٥:١٥ في المداخل الإجرائية، يستلزم الأمران تقدم الحجج التى تؤيد أحد النماذج المعرفية على غيره من خلال المهمات والعمليات ولنأخذ مسألة الاقتصاد على سبيل المثال: فمن جهة، يمكن ان يتم اختزان كل مفردة من مفردات المعرفة مرة واحدة فحسب في النظام، مهما تكن التشكيلات التي تنتمي المفردة اليها، ويستتبع ذلك احد أمرين أولهما وجود تشابك كثيف للتشكيلات وثانيهما استحضار التشكيلة ذات الشأن كلما دعت الحاجة اليها. ويمتاز النظام المذكور باقتصاد كبير في التخزين واسراف

بالغ في جهد البحث، ومن جهة أخرى، يمكن ان تختزن المفردة المعرفية اختزانا فائضا في كل واحدة من التشكيلات التى تحتويها، ويمتاز هذا النظام بسرعة الأداء عند البحث والإسراف البالغ في التخزين ذاته. ومن المحتمل ان تحل المصالحة مشكلة المراجحة بين الاقتصاد في التخزين والاقتصاد في البحث كما يرى والتر كنتش (٢٠٥) فالتشكيلات الكثيرة الاستعمال يتم اختزانها في هيئة مجموعات وافية،بالرغم من الفائض المصاحب، وأما التشكيلات غير العادية النادرة الاستعمال فانها تستحضر من خلال البحث عن المفردات المكونة لها حين تدعو الحاجة الى ذلك فحسب .

١٦:٥ تختزن بعض انواع الانماط الكلية في هيئة كتل وافية نظرا للمنفعة التي تقدمها في كثير من المهمات. ومن بين هذه الأنماط الكلية الأطر وهي تشتمل على معرفة عامة حول مفهوم أساسي كحفلات عيد الميلاد مثلا (٥٨٤،٢٨٦،٨٤، ٢٧٦،٤٩٥،٤٢١) وتعين الأطر الأشياء التي تجتمع مبدئيا معا، دون تحديد في ترتيب عملها أو ذكرها. ومن أنواع الأنماط الكلية ايضا المخططات وهى أنماط كلية من حالات وحوادث معطاه في هيئة تتاليات مرتبطة بروابط القرب الزمني والسببية (١٢، ٤٦٩،٤٦٨،٢٠٦،٤٧١،٥٢٠،٥٢٨،٢٠٨،٢١). وتختلف المخططات عن الأطر في أن الأولى تعرض دائما في هيئة تتاليات يمكن معها بناء فرضيات بشأن ما يلي من عمل أو قول في عالم النص. اما النوع الثالث من الانماط الكلية فهو الخطط التى تتالف من حوادث وحالات تؤدي الى هدف مقصود (٥٣٢، ٢١،٢٢،٣،٥٧٤،٢٧١،٩٤،١). وتختلف الخطط عن المخططات في أن واضع الخطة (منتج النص مثلا) يقيم جميع العناصر بحسب تحركها في اتجاه الهدف الذي يضعه، اما المدونات، وهي ايضا من الانماط الكلية، فهي عبارة عن خطط مستقرة التكوين، تستدعى كثيرا لتحديد أدوار المشاركين وأفعالهم المتوقعة. وتختلف المدونات عن الخطط في اشتمالها على اجراءات ألية محددة من قبل (٤٧٨، ١٢٠، ٣٧١) ولقد أصبحت أهمية هذه الأنواع من الأنماط الكلية جلية واضحة في التعلق الإجرائى لانتاج النصوص واستقبالها اي كيفية تكوين الموضوعة الأساسية (الأطر) والكيفية التى يتقدم بها تتابع الحوادث (المخطط) وكيفية متابعة مستقبلي النص او شخصيات عالم النص

لأهدافهم (الخطط) وكيفية تكوين مواقف تمكن المرء من تقديم نصوص معينة في الوقت المناسب (المدونات). ومن الممكن ان تشترك مختلف أنواع الأنماط في المعرفة الأساسية ذاتها ضمن منظور متغير (من أمثلة ذلك اطار "بنية منزل" في مقابل خطة "بناء منزل") وسيؤدي استعمال الأنماط الكلية الى تقليص كبير في التعقد بالمقارنة مع استعمال الأنماط المحلية، ويتيح استعمال تلك الأنماط أيضا الحصول على قدر أكبر كثيرا من التخزين النشط عند كل لحظة، وسوف نقدم بعض التوضيحات لهذه الاستعمالات فيما بعد.

١٧:٥ تشتمل النماذج الإجرائية في المعرفة على قضية اخرى هي التوريث، ونعني بها انتقال المعرفة بين المفردات المنتمية الى أنواع (او أنواع فرعية) متشابهة (١٧٢، ٢٤٧،٥٦،٢٥٩) وتجدر الإشارة الى وجود ثلاثة أنواع من التوريث على الأقل: اولا، يرث المثال جميع خصائص النوع الذي ينتمي اليه الا اذا نص على الغائها بصراحة (١٧٢) فنحن نفترض مثلا انه كان لنابليون اصابع قدمين، كما في المثال الشائع الذي قدمه والتر كنتش (٢٠٧) وإن لم يحدثنا احد بذلك (ما عدا والتر)، ويعود هذا الى ان نابليون مثال ينتمي الى فئة الكائنات البشرية، ولو لم يكن له اصابع قدمين لاستلزم الأمر حكاية تاريخية تلغى افتراض وجود تلك الأصابع، ثانيا: لا ترث الفئات الفرعية من الفئات العليا سوى السمات التى يتيحها التخصيص الاضيق للفئات الفرعية، ومن الأمثلة على ذلك ان الفئة الفرعية المسماة بالنعام تختلف عن الفئة العليا المسماه بالطيور في عجز النعام عن الطيران، ولكنها قادرة على الجرى بسرعة بالغة، ثالثا: يمكن ان ترث الكيانات صفة ما من الكيانات التى ترتبط بها بعلاقة المحاكاه، اي انهما تنتميان الى فئتين مختلفتين، ولكنهما تشتبهان في بعض الجوانب المفيدة ومن الأمثلة ما يقدمه الباحثون في علم المعرفة، والذكاء الصناعي من افتراضات حول العقل البشري بالاعتماد على المحاكاه مع الكمبيوتر (قارن. ١٠:٢٦ل). وبالرغم من أننا لا ندعى قيام تطابق بين العقل البشري والالأت الحاسبة الا ان بوسعنا اكتشاف بعض سمات مشابهة تساعدنا في بناء نماذج معقدة للمعرفة.

١٨:٥ يقع التوريث في نطاق موضوع الاقتصاد الذي تحدثنا عنه في (١٥:٥): واذا كانت المعرفة المتعلقة بالفئات / الأمثلة او الفئات العليا/ الفئات الفرعية او حالات المحاكاه، يتم اختزانها في تسلسل هرمي مرتب، فان من الممكن تقديم توقعات بشان الزمن اللازم للتوصل الى بعض الحقائق، ومن ذلك مثلا توقع ان [٨٤]أ ستستغرق زمنا أطول في الحكم على صوابها او خطئها من [٨٤]ب، ويعود ذلك الى أن الفئة العليا "حيوان" أعلى موقعا في التسلسل الهرمي من الفئة الفرعية "طائر"، ولذا يقتضي الربط بها زيادة خطوة أخرى على الأقل.

[٨٤]أ - فرخ الدجاج" حيوان

[٨٤]ب " فرخ الدجاج" طائر (١٠٥:ص ٩٢)

بيد ان عرض هذه القضية على محك الاختبار العملي لم يؤكد مثل هذه التوقعات(١٠٦). فمن جهة، يتبين ان [٨٤]ج قد حظيت بتوكيد أسرع من [٨٤]ب بالرغم من ان فرخ الدجاج والقبره ينبغي ان يقعا في مستوى واحد من مستويات التسلسل الهرمى

[٨٤]ج القبره طائر. (١٠٥: ص ٩٢)

ويفسر سميث وشوبن وريبس (٥١٢) هذه الظاهرة بوساطة "الملامح" باعتبارها مكونات اساسية للمفاهيم من مثل "طائر" فكلما حظي المثال او الفئة الفرعية بملامح اكثر نمطية او تعيينا (قارن، ٥:٥) كان الحكم بانتمائه الى فئة او فئة عليا أسرع وقوعا. ان القبره التى تحسن الطيران والتغريد يسهل على المرء الحكم بانها طائر بالقياس الى الفرخ الذي لا يحسنهما. وعلى نحو مماثل، يميل البشر الى اساءة الحكم على[٨٤]د بانها صادقة بقدر اكبر من [٨٤]هـ.

[٨٤]د الخفاش طائر

ويعود ذلك الى الملمح المشترك "يقدر على الطيران" الذي يقيم وضع محاكاة بين الخفافيش والطيور. ويدافع روش وميرفيس (٤٦٠) عن ان "التماثلات العائلية" هي المسؤلة عن مثل هذه النتائج، وليس الملامح المعرفة، وذلك لقيام صعوبات بالغة في كثير من الحالات عند تحديد اي الملامح يستلزم الأمر توافرها لدى كل عنصر من عناصر فئة معينة (أنظر أمثلة ذلك في ٥:٥).

١٩:٥ من السهل ان يتبين المرء قيام اعتماد متبادل بين الاعتبارات الإجرائية التى أجملناها جميعا وهي الاستثارة (٥:٤:١٠) وشدة الربط(٥:٥) والتحليل(٥:٦ـ٧) وتوسيع الاستثارة(٥:١٢) والذاكرة العرضية في مقابل الذاكرة الدلالية (٥:١٣) والاقتصاد (٥:١٥)، والأنماط الكلية (٥:١٦) والتوريث (٥:١٧ـ١٨). ومن الضروري معالجة هذه الأمور بدلالة ما يتخذه المرء من وحدات اساسية وعمليات اساسية مجراة على المعرفة. ومن الممكن ان يستوعب نموذج محدود بسيط نتائج الاختبارات المتعلقة باصدار الأحكام على الجمل مثل [٨٤]أ الى [٨٤]هـ غير أنه لا يقدم لنا سوى النزر اليسير حول مسألتنا الشاملة (٢٠٦). ومن الشواهد على هذا التفاوت، محاولة افراد قاموس او معجم حسن التنظيم للكلمات او المفاهيم بمعزل عن الأبعاد المدهشة للمعرفة الموسوعية بالعالم (٥١١). وفي الحق ان هذا الانعزال، على حد قول كنتش (٣٠٦) ما هو الا اسطورة من أساطير البحث التي تعوق تكوين نماذج عامة وفعالة وسينتهي به الأمر الى التهافت عند مواجهته لمدى أوسع من المعطيات الواقعية.

٢٠:٥ يمكننا الان ان نتوصل الى عدد من الاستنتاجات الأساسية، اولها انه يجب علينا، بدلا من عزل اللغة عن سواها من الأشياء، العمل جاهدين من أجل تكوين نماذج يكون استعمال اللغة فيها ضمن نصوص حقيقية قابلا للتفسير من خلال عمليات الإدراك الحسي والإدراك بوجه عام (٢٨٦،٢٨٣،٢٠٥،٤٦٧،١٦) أما القيود التي تفرض على البحث

وتختزل جميع القضايا الى مسألة تغيرات زمنية في أداء مهمات غير واقعية (ومنها الحكم على الجمل وفقا للاتجاهات المرسومة في ١٨:٥) فانها تتعارض مع الدافع الأساسي لهذا المشروع. ان علينا التوجه نحو التنوع في أصناف الاختبارات التى يقوم استغلال النصوص اليومي بدور أساس فيها.

٢١:٥ والاستنتاج الثاني هو ان الجهود التى بذلت لاستيعاب دراسة النصوص والمعرفة في إطار المنطق عند أرسطو قد تبدو نعمة ونقمة معا. والأفضل هو أن نعكس ترتيب الأولويات فتبتدىء ببناء نماذج معقولة إنسانيا، ثم نقوم بالبحث عن أنواع المنطق التى تصلح لأن تكون أنظمة شكلية لها(٤٢٠). وغنى عن البيان أن في وسع البشر القيام بعمليات استدلال معقدة تعجز أنواع المنطق التقليدي ببساطة عن تفسيرها من مثل: القفز الى الاستنتاجات، ومتابعة أشكال المحاكاة الذاتية، والاستدلال في غياب المعرفة(١٠٢) ومن الأمثلة على ذلك ان الناس يقولون لأنفسهم عند مواجهة حقيقة ممكنة: لو كان هذا الأمر صحيحا فينبغى ان اكون على علم به، وما دمت أنا نفسي لا أعرفه فمن المحتمل ان يكون غير صحيح وهذا هو الاستنتاج القائم على غياب المعرفة كما وصفه كولنز. والمعيار هنا ليس هو الفساد المنطقي لمثل هذا الإجراء، بل هو امكان قيام الإجراء بدوره على نحو جيد في أمور الحياة اليومية العادية.

٢٢:٥ والاستنتاج الثالث هو أن المعنى الاحتمالي والمعرفة (٨:٥) كما وكدنا من قبل، امران بالغا الحساسية للسياقات التي يستغلان فيها. وسوف نسعى لمتابعة بعض نتائج وجهة النظر هذه على نموذج مرشح لتوافر التقارن في النص. ومن الناحية الأساسية، يمكننا أن نتصور ما استثاره النص من مجموع مفاهيم وعلاقات على أنه حل مشكلات بالمعنى الوارد في (١٧:٣). ان على مستعملي النص لدى مواجهتهم بعض الوحدات المشوشة غير المستقرة في المحتوى والمعنى المقالي عليهم ان يصنعوا تشكيلة من المسالك فيما بينها من أجل خلق عالم النص (٢:٥). بيد أن بعضا من سمات المفاهيم المعنية او ملامحها هي الضرورية بالفعل دون غيرها، وهي ذات الصلة وحدها بتلك العمليات. فالإجراءات من مثل التحليل وتوسيع الاستثارة والاستنتاج والتوريث يتم تنفيذها

وفقا لظروف المعالجة الراهنة. أما المسألة الأساسية فهي كيفية اجراء تصنيف وتكوين نظامى لتلك الظروف (وليس كيفية البرهنة على ان جميع مستعملي النص يفعلون الشيء نفسه طيلة الوقت). وبوسعنا في نطاق هذا البحث أن نطرح بعض المسائل من مثل: كيف يستخلص المرء المحتوى من النص ويقوم بتنظيمه للإستعمال في التخزين والاسترجاع؟ وما عسى ان يكون للتفاعل بين النص المعروض وبين معرفة الناس وميولهم القبلية من عوامل مؤثرة على تلك الأنشطة؟ وما القواعد التي يمكن ان تكشف عنها مختلف العوامل من مثل أسلوب ظاهر النص او مجموعات المستعملين التي يقدم النص اليها؟ ثم ما عسى ان يكون دور التوقعات ؟

٥:٢٣ يؤلف العثور على تمثيل اساسي للتقارن في النصوص خطوة اولى في سبيل استكشاف المسائل السابقة وأمثالها. وسنقترح هنا وسيلة واحدة ممكنة على الأقل، مضارعة لما اقترحناه للنموذج الإجرائي للنحو (٤:٥-١٠). وهنا نتصور التقارن في النصوص على أنه نتاج تجميع العلاقات والمفاهيم في شبكة مؤلفة من فراغات معرفة متركزة حول موضوعات أساسية. وسنتخذ مادة الايضاح لذلك نص "اغراق المدمرة الإسرائيلية ايلات"[٤] الذي سبق ان عالجناه في فصل التضام(٤:٧ل،٢٤،٢٩).

٥:٢٤ قبل التصدي لمعالجة النص المذكور، ينبغي للذهن ان يستحضر المتطلبات الضرورية لتمثيل معالجة النصوص. وسوف نركز حديثنا على الاستقبال دون الانتاج، وان تكن بعض التماثلات المهمة قائمة بدون ريب بين هذين النوعين من النشاط كما ذكرنا في(٣:٢٩). وينبغي ان يفرض التقارن على اي قطاع من قطاعات النص وفقا للأسس المقترحة في (٣:٢٩ل). فالتحليل النحوي لظاهر النص يتم على أساس تشكيلة من التبعيات القواعدية، كما هو مبين في (٤:٥-١٠)، وتتخذ تعبيرات ظاهر النص أدلة لاستثارة المفاهيم (٥:٤،١٠). ولا يشتمل هذا الطور من أطوار التحليل على استعراض مباشر "لقاموس" ذهنى (قارن. ٥:١٩)، وإنما تتخذ المفاهيم خطوات في طريق بناء استمرار المعنى المقالى (٥:٢). وهنا يختلف القدر المنفق في المعالجة بحسب ما للمهمة من مقتضيات ومنافع. ويتوجه الاهتمام خصوصا الى اكتشاف مراكز التحكم اي المواقع

التي يجري فيها التوصل والمعالجة على نحو استراتيجي .

٥:٢٥ يمكننا ان نطلق مصطلح المفاهيم الأولية على أقوى المفاهيم المرشحة لأن تكون مراكز تحكم، وهذه المفاهيم هي:

أ ـ الأشياء : كيانات تصورية ذات بنية وهوية ثابتتين.

ب ـ المواقف : تشكيلات من أشياء متواجدة في حالاتها الراهنة.

ج ـ الحوادث : وقائع تجري تغييرا لموقف، او لحالة ضمن موقف.

د ـ الأحداث : حوادث يقوم بها فاعل ما على نحو مقصود .

٥:٢٦ أما المفاهيم الأخرى ففي وسعنا تصنيفها تحت مصطلح مفاهيم ثانوية، وقد أخذت المجموعة التالية من بوغراند (١٦) حيث نجد قدرا أكبر من التفصيل .

أ) الحالة: وضع مؤقت لكيان ما، وليس الوضع المميز له.

ب) الفاعل: كيان ذو قوة يؤدي عملا فيغير موقفا(قارن، ٥:٢٥(د))

ج) الكيان المتأثر: كيان يعتري موقفه التغير من جراء حادث او فعل لا يكون الكيان فيه فاعلا ولا اداة.

د) العلاقة: فئة متبقية تدل على ارتباط عرضي تفصيلي من مثل : "اب ـ ابن" و "رئيس ـ مستخدم" وهلم جرا .

هـ) الخاصة: وضع مميز لكيان ما (قارن الحالة).

و) المكان: موضع فراغي لكيان ما.

ز) الزمان: موضع زمني لموقف، (حالة) أو حادث (قارن، ١:١٠).

ح) الحركة: تغير في المكان .

ط) الأداة : شيء غير قاصد يكون واسطة لحادث .

ى) الشكل : صورة هندسية او منسوب او ما اليهما

ك) الجزء : احد مكونات الكيان او قطعه

ل) المادة: ما يتكون منه الكيان.

م) الاحتواء: وضع كيان في داخل كيان آخر بدون ان يكون جزءا منه او مادة له.

ن) السبب : أنظر (١:٧)

س) الإتاحه : أنظر (١:٧)

ع) المسوغ : أنظر (١:٨)

ف) الغايه : أنظر (٩:١)

ص) الإدراك الحسي: عمليات لكيان ذي مواصفات حسية يتم في اثنائها تكامل المعرفة من خلال أعضاء الحس.

ق) المعرفة: تخزين المعرفة وتنظيمها واستعمالها لدى كيان ذي مواصفات حسية.

ر) الانفعال:حالة غيرمحايدة، تجريبية اوتقييمية لكيان ذي مواصفات حسية.

ش) الارادة: نشاط قصدي او رغبة لدى كيان ذي مواصفات حسية.

ت) التعرف: مزاوجة ناجحة بين المعرفة الحسية والمعرفة القبلية.

ث) الاتصال: نشاط للتعبير عن المعرفة ونقلها لدى كيان ذي مواصفات حسية.

خ) الملكية: ارتباط يعتقد معه ان كيانا ذا مواصفات حسية (او يعتقده هذا الكيان نفسه) بانه يمتلك كيانا أخر ويتحكم به .

ذ) المثال،الماصدق: عضو من صنف (فئة) يرث جميع سمات الصنف غير المنصوص على الغائها. قارن (١٧:٥) .

ض) التخصيص: ارتباط بين فئة عليا وفئة فرعية، مع ذكر الصفات التى هي أخص للأخيره (قارن، ١٧:٥).

ظ) الكمية: مفهوم لعدد او امتداد او مقياس او قياس .

غ) المشروطية، درجة الامكان: مفهوم الضرورة او الاحتمال او الإمكان او السماح او الإلزام للوقوع او عكس ذلك.

أأ) الدلالة الرمزية: معنى رمزي يخص به كيان ما .

بب) القيمة: تخصيص أهمية لكيان ما بدلالة الكيانات الاخرى.

جج) التكافؤ : تساو او تطابق او تناظر ، وما اليها.

دد) التقابل، التعارض : عكس التكافؤ.

هه) الاشتراك في المدلول: ارتباط تستثير فيه تعبيرات مختلفة نفس الكيان (او تشكيلة الكيانات) في عالم النص (قارن، ٢١:٤).

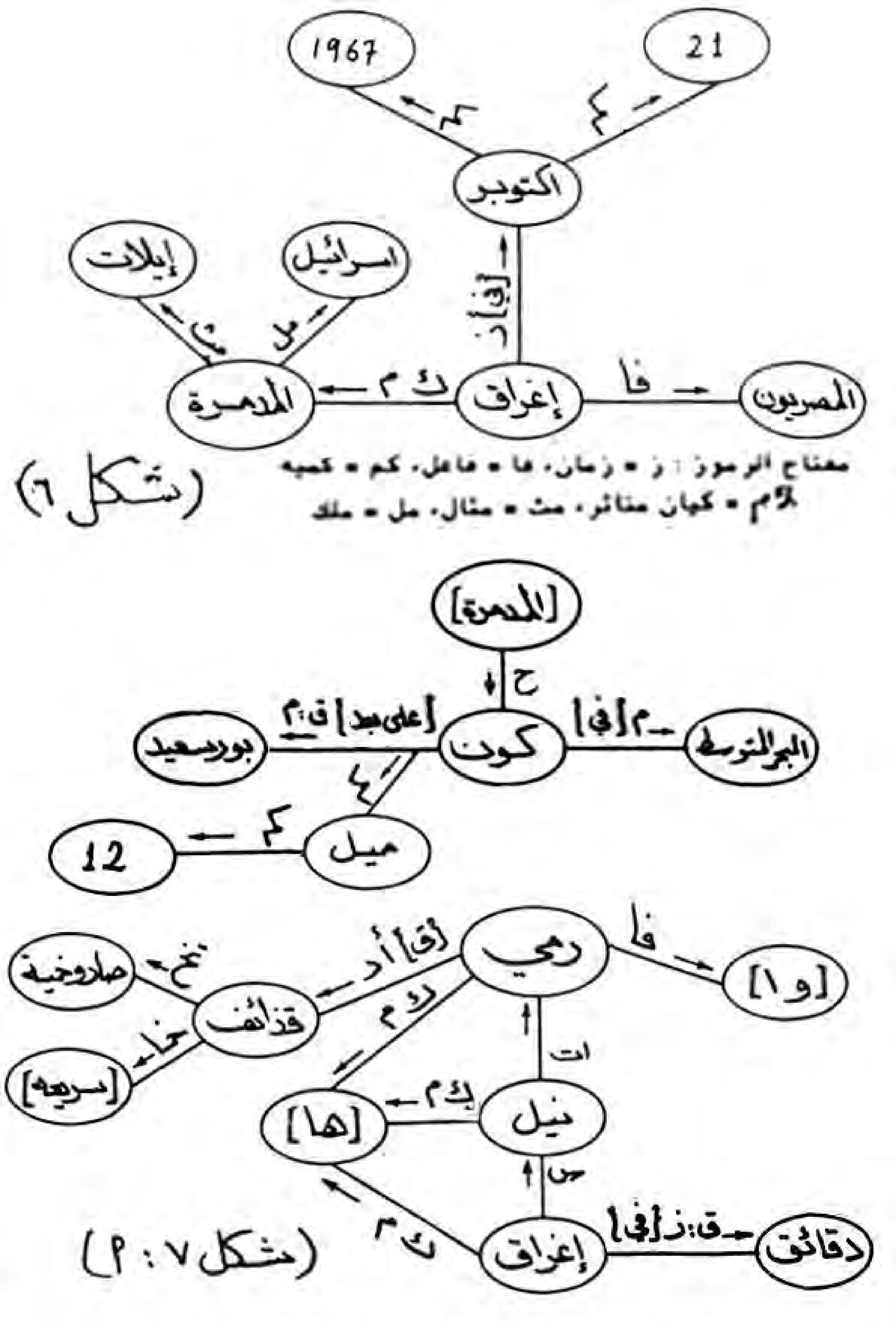
وو) التكرر: ارتباط يعيد فيه التعبير نفسه استثارة مفهوم ما، دون ان يستلزم ذلك بالضرورة استثارة نفس دلالة كيان ما او نفس المعنى المقالي (قارن، ١٢:٤ ١٥).

٢٧:٥ يقع أغلب هذه المفاهيم ضمن الأنماط المألوفة في علوم قواعد الحالات الإعرابية، التي التزمت بتصنيف ارتباطات اللغة تنظيم الحوادث والمواقف (٧٩،١٧٥،٢٠٧، ١٩٤،٣٥٩،٢٢٥). وتميل هذه الأنظمة في مرحلة ما الى ان تصبح تصنيفا للمعرفة وتنظيما لها مما نجده في مجالات غير لغوية (٤٧٩،٨٢،٢٠٧، ٥٩٢، ٥٧٩) .

وقد استوعبنا المزيد من المفاهيم من أجل الاشتمال على العمليات الذهنية،(الإدراك الحسي والمعرفة والانفعال والإرادة والاتصال والملكية)، واحتواء الأصناف (مثال وتخصيص) والأفكار القائمة في صميم أنظمة المعنى ذاته (الكمية والمشروطية والدلالة الرمزية والقيمة والتكافؤ والتقابل واشتراك المدلول والتكرر). ونحن لا ندعي ان "دراسة النماذج " المذكورة اعلاه شاملة او أنها متفوقة على سواها من الدراسات المقترحة من قبل، بل هي لا تعدو ان تكون وسيلة نافعة لتسمية الروابط بين المفاهيم، كان يكون مفهوم ما حالة لمفهوم اخر او فاعلا لمفهوم اخر وما الى ذلك . وسنجد ان بوسعنا، من خلال مختلف التجميعات، استيعاب أفكار أخرى من دراسات النماذج التى ناقشناه حتى الان، ثم إن بامكان المرء ان يعتمد على دراسات نماذج اكثر تفصيلا من دراستنا او أقل تفصيلا منها .

٢٨:٥ قد يستلزم الأمر، فضلا عن دراسة نماذج للمفاهيم من أجل تسمية الروابط، تكوين مجموعة من المفاعلات تحقق المزيد من التخصيص لمنزلة الربط ذاته، ففي وسعنا مثلا ان ندخل مفاعلات لتمثيل شدة الربط بالمعنى الوارد في (٥:٥) على النحو التالي:

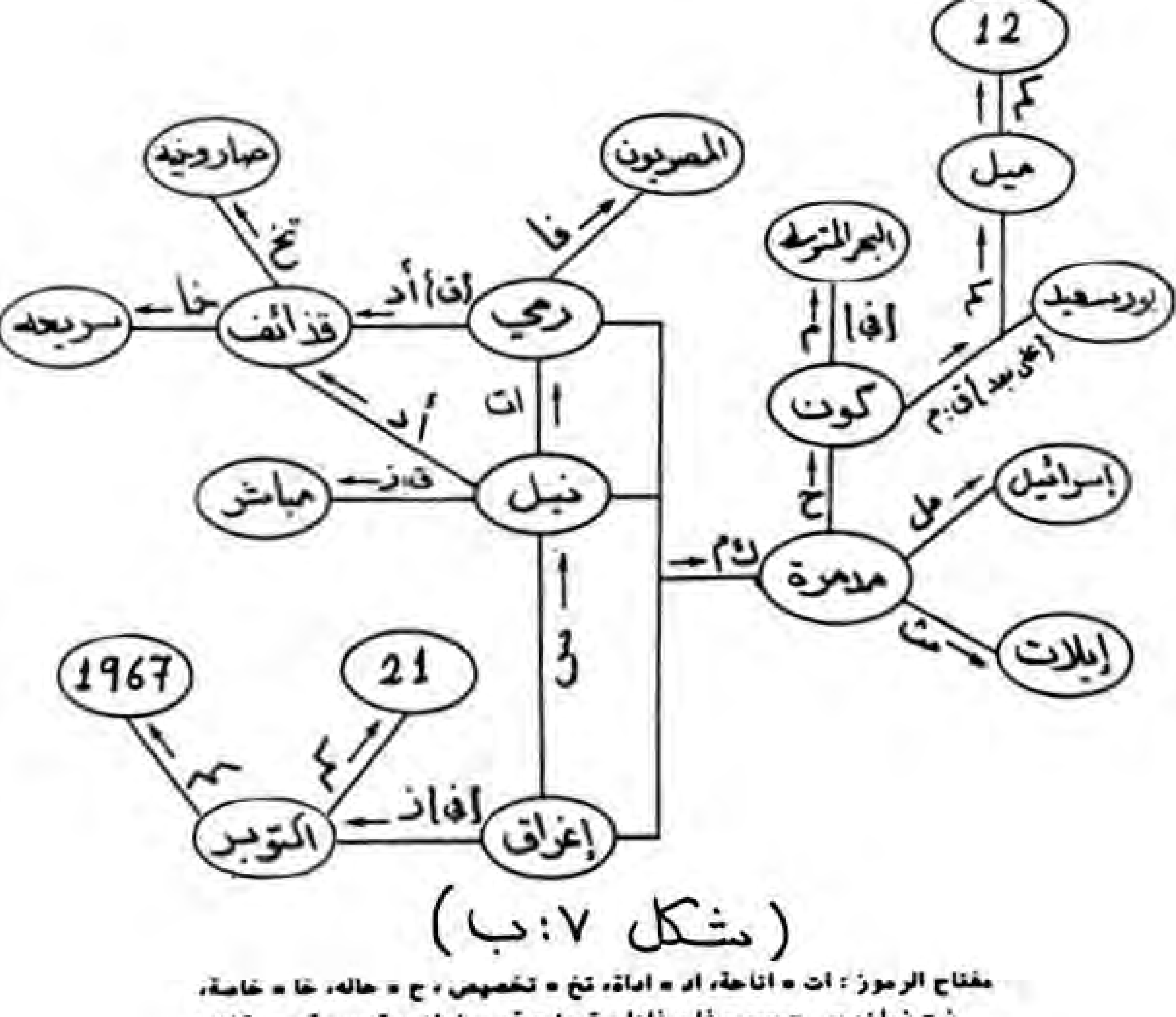
(أ) مفاعل التعيين [ؤ] أو [ئ] وهو يدل على المكونات الضرورية من أجل تعيين هوية مفهوم ما (ب) مفاعل النمطية[؟] أو [ؤ] لتمثيل المكونات المتكررة غير الضرورية. وينطبق هذان المفاعلان على تشكيلات معرفة العالم كما هو موضح في (٣٩:٥). وفضلا عن هذين المفاعلين يمكننا ادخال مفاعلات لروابط تدل على حدود: أ) مفاعل الاستهلال [ا] للكيان الذي فرغ توا من خلقه او تشغيله . ب) مفاعل الانهاء [†] وهو عكس المفاعل السابق. ج) مفاعل الدخول[∈] للكيان الحاصل من تلقاء ذاته. د) مفاعل الخروج[x] وهو عكس مفاعل الدخول. وأخيرا يمكننا الاستفادة من مفاعلين اخرين في معالجة المعرفة التقريبية او المخالفة للواقع



(شكل ٦)

(شكل ٧ : أ)

مفتاح الرموز : ات = اتاحه، أد = أداة، تخ = تخصيص ، ح = حالة، خا = خاصه،
س = سبب، فا = فاعل، ق:ز = قرب زماني، ق:م = قرب مكاني، كم = كمية،
كام = كهان متاثر، م = مكان



(شكل ٧: ب)

مفتاح الرموز: ات = اتاحة، اد = اداة، تخ = تخصيص، ح = حاله، خا = خاصة، ز = زمان، س = سبب، فا = فاعل، ق:ز = قرب زماني، ق:م = قرب مكاني، كم = كمية، لام = كيان متاثر، م = مكان، مث = مثال، مل = ملك

[π] وينطبق على الروابط التى تشتمل على شيء من البعد او التوسط قارن. مع القرب الزمني في (١:١٠) والقرب السببي في (٥:٢٦)، وغيرهما ب) مفاعل الإسقاط [ρ] وينطبق على العلاقات الممكنة او العرضية غير المتحققة في عالم النص (قارن. ٤:٤٨) ومن أجل التمييز بين المفاعلات وتسميات الروابط المتشكلة عن بدايات أحرف اسماء المفاهيم (مثلا "س" للسبب و "ز" للزمن)، رمزنا للمفاعلات باحرف يونانية تصلها بالرموز الأخرى اشارة [ ]

٥:٢٩ يهدف المثال التالي الى تحقيق مزيد من الإيضاح للدوافع والتطبيقات لدراسة الأنماط التصورية المذكورة أعلاه وسنبتدىء بدراسة الفقرة الافتتاحية من نص "اغراق المدمرة الإسرائيلية ايلات":

[٤](١)   (١:١) أغرق المصريون في ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ المدمرة الإسرائيلية ايلات (٢:١) وكانت على بعد ١٢ ميلا فيالبحر المتوسط من بور سعيد (٣:١) رموها بقذائف صاروخية نالتها مباشرة فاغرقتها في دقائق .

لقد رسمنا في الشكلين الاولين (١) و (٢:٧) عناصر الفقرة المذكورة أعلاه منفصلة من أجل التبسيط من جهة، ومن أجل المقارنة بين الشبكة التصورية في الشكل (٦) وبين شبكة الانتقال للعلاقات القواعدية في فصل التضام (٤:٥-١٠)، ويتبين من الشكل (٦) ان هناك مركزي تحكم في الجملة (١:١) من الفقرة [٤] وهما "اغراق" و "المدمرة" وذلك بحكم كثافة شبكة العلاقات المتمركزه حول كل منهما. ولكن الأمر يختلف في (٢:١) و (٣:١) كما نرى في الشكل (٧:أ)، اذ تبتدىء شبكة العلاقات تتمركز في (٢:١) حول (المدمرة) (والتي هي استنتاج من اشارة التاء في "كانت")، كما تتمركز العلاقات في (٣:١) في الشكل (٧:أ) حول "ها" وهي بدورها تشير الى المدمرة. اي اننا نرى أنه كلما اوغلنا في النص يتضح مركز التحكم اكثر فاكثر فيحل محل مركزي التحكم في (٦) مركز تحكم واحد في الشبكتين الاخيرتين في الشكل (٧:أ)، الا وهو "المدمرة" ويمثل الشكل (٧:ب) مركز التحكم هذا بوضوح، مع شبكة العلاقات المتعلقة به.

وتشير تسميات الروابط في هذه الأشكال الى نوع المفهوم الذي يؤدي اليه

الانتقال في اتجاهات الأسهم. فمثلا تدل الرابطة "مل" على ملكية اسرائيل للمدمرة، والرابطة "ك م" على أن الكيان المتأثر بالإغراق هو المدمرة. وتدل "فا" على ان فاعل الإغراق هو المصريون، وتشير "ز" الى علاقة الزمان بين "اكتوبر" و "الإغراق"، وهلم جرا.

ويقوم المعالج بدوره انطلاقا من حالة راهنة الى حالة أخرى تالية بمحاولة التعرف على نوع العقدة التى يراد بلوغها، وهنا تطبق استراتيجية حل المشكلات (١٧:٣) التي يعززها توسيع الاستثارة (١٢:٥) والاستنتاج (٢٢:٥ل) والأنماط الكلية (١٦:٥).

٢٠:٥ من الاهمية بمكان ان يظهر المرء وجوه التشابه والتغاير بين شبكة المفاهيم المبيد في شكل (٦) والشبكة القواعدية المبينة في الشكل (٤) في (١٠:٤) وبالرغم من أننا ما زلنا نستعمل كلمات عربية للترميز في شكل (٦)، الا اننا الان انما نمثل مفاهيم وليس تعبيرات من ظاهر النص. وقد يكون من المرغوب فيه الحصول على تمثيل اخر، بيد أن الباحثين، في الوقت الحاضر، عاجزون عجزا بينا عن الاتفاق بشان أي تمثيل كائنا ما كان. ومن الجدير بالذكر هنا ان النموذج العام متماثل في الشبكتين: فسبل التوصل من عقدة الى أخرى هي نفسها تقريبا. ومن ثم يبدو من المعقول ان تنتفع معالجة النص بالتماثلات البنيوية في مختلف المستويات كلما كان ذلك ملائما(٤٩، ٥٥٢، ٥٩٤). ومن أمثلة ذلك، أن الافتراض القائل باعتبار الرؤوس القواعدية مفاهيم أوليه يتحقق بقدر يجعله أهلا للتطبيق العام. وبالمثل يستطيع المرء أن يفترض ان المخصصات القواعدية هي خواص وحالات وأمكنة وما اليها، واقعة في نظام ترتيب افضليات (قارن ١٨:٣ بشأن الأفضليات). بحسب ما تقتضيه طبيعة المفهوم الأولى لمركز التحكم. ولهذه الفروض والتفضيلات فائدة في توسيع الانتقالات بين العقد بالمعنى الوارد في (٥:٤) وسيؤدى الكشف عن التبعيات في المفاهيم والتبعيات في علم القواعد، حيث يمكن الأمر الى حدوث تفاعل قوي، بل الى قيام موازاة بين الجانبين، وليس الى وجود طورين منفصلين، وان يكن الأمر ينطوي على شيء من "اللاتماثل" في جميع الحالات تقريبا. ويعود هذا الى أن عدد عناصر القائمة القواعدية أقل من عدد عناصر قائمة المفاهيم (قارن ١٨:٣، ٢٥). وبعبارة أخرى، نقول ان في وسعنا حل المشكلات في

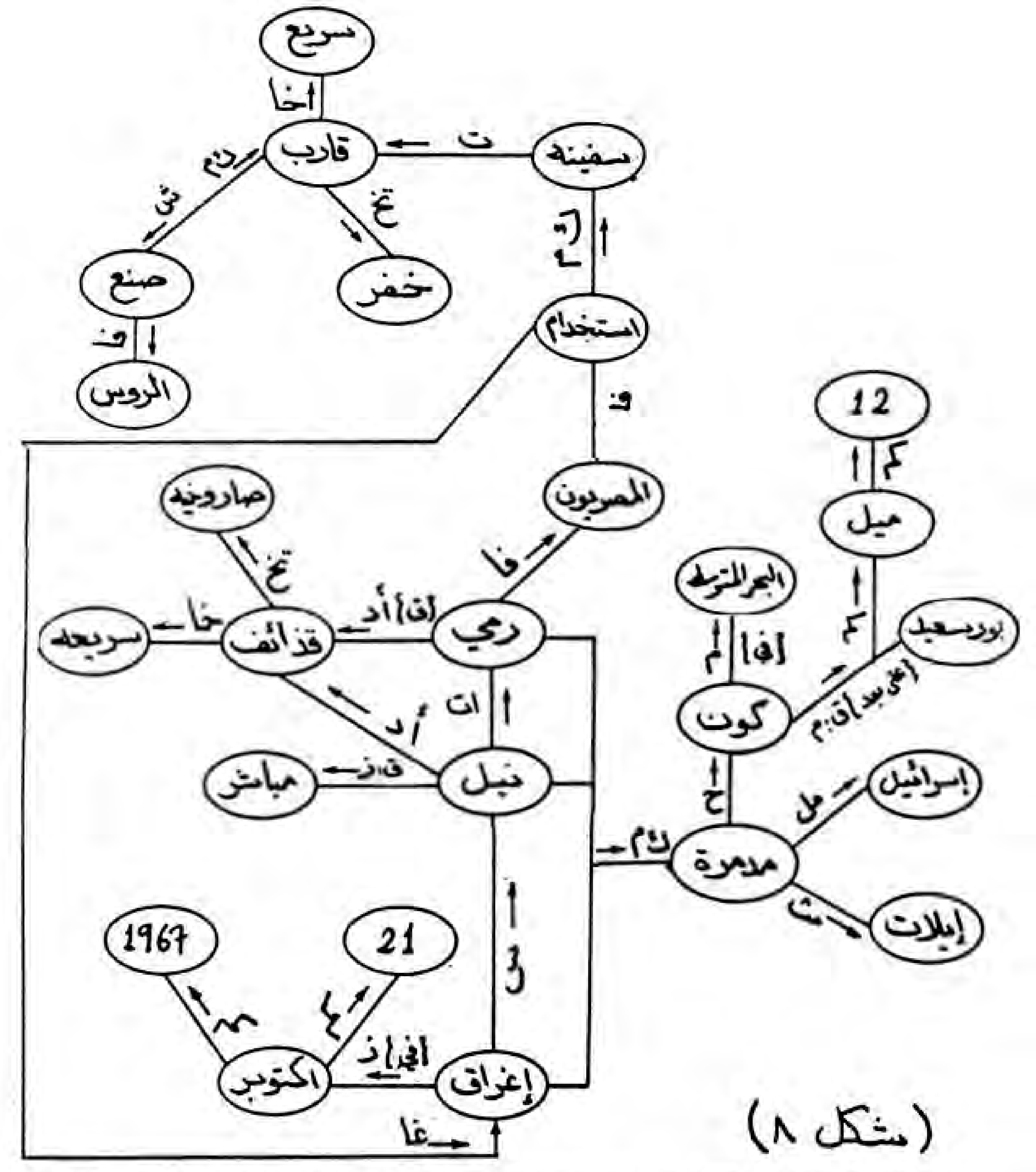
مستوى ما بالاعتماد على المسالك المطروقة او اليسيرة العبور في مستوى اخر.

٥: ٣١ ومن الفروق الاخرى بين نوعي الشبكات اللتين فرغنا من مناقشتهما قطاع النص الذي تمثله كل منهما ويبدو من الأمور المستبعدة ان ينشيء المرء شبكات قواعدية لنصوص بتمامها الا اذا كانت بالغة القصر. وأغلب الظن أن يكون الإجراء المعياري المتخذ هو اقتصار بناء شبكات القواعد على المدى الملائم من النص أي ذلك المدى الذي يمكن الاحتفاظ به في ذاكرة التخزين النشط في أثناء تكوين شبكة المفاهيم. ومن ثم يقتصر الأمر على تأليف شبكة المفاهيم وحدها للنص الكامل. وسيكون من السهل على المرء تأليف فقرة نموذج المدمرة السابقة بتمامها، ضمن فراغ معرفة متقارن أي حالة كبرى للمفاهيم تؤلف المفاهيم حالات صغرى فيها (قارن. ٤: ٥). وذلك لأن مفهوم "المدمرة" نفسه يستند اليه شيء ما في كل جزء من اجزاء النص. وهكذا نجد أن اضافات من مثل "كانت" و "البحر المتوسط" وغيرهما انما تشتمل على الحاق المزيد من المعاني فحسب مثل: حالات وأمكنة وكميات، ..... الى عقدة "المدمرة" المكونة من قبل. وفي الشكلين (٧:أ)، (٧:ب) يظهر فراغ المعرفة اولا بتشكيلات مستقلة للأجزاء التى لها طول الجملة، ثم في هيئة وحدة متكاملة. وبالطبع تم إلغاء الشكل البديل "هي" اي الضمير المستتر على الفور، وذلك لأن محتواه مشتق من محتوى المشارك الدلالي له وهو "المدمرة". ومن المحتمل الا تكون عقدة "هي" هذه قد تكونت قط في مثل هذه الحالة المباشرة، وإنما أضيفت المادة الجديدة على الفور الى عقدة المشارك الدلالي الصحيحة، وعلى هذا النحو يكون التضام (الأشكال البديلة) من معززات التقارن.

ويظهر الشكل (٧:أ) بعض العلاقات مثل الاتاحة بين "الرمي" والنيل" والسببية بين "النيل" و "الإغراق". وفي الشكل (٧:ب) نجد تمثيلا للفقرة الأولى من النص بتمامها.

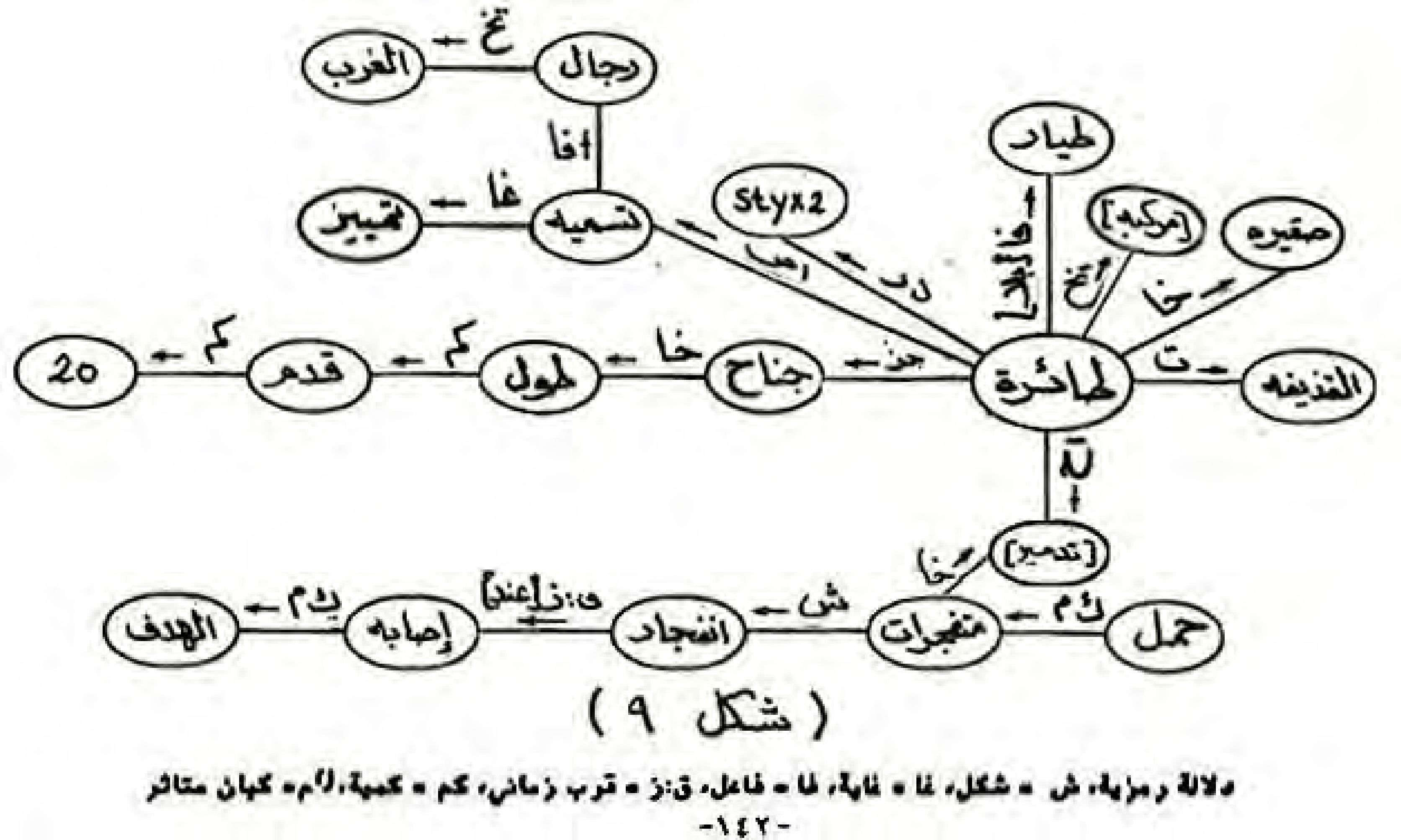
٥: ٣٢ [٤](٢) اما السفينة التي استخدمها المصريون، فقارب سريع من قوارب الخفر، صنعه الروس.

يمثل الشكل (٨)، الفقرتين الأولى والثانية معا، وقد استعملت احدى



(شكل ٨)

مفتاح الرموز : ات = اتاحة، اد = اداة، ت = تكافؤ، تخ = تخصيص، ح = حالة، خا = خاصة، ز = زمان، س = سبب، ش = شكل، غا = غاية، فا = فاعل، ق.ز = قرب زماني، ق.م = قرب مكاني، كم = كمية، ك.م = كيان متأثر، م = مكان، مث = مثال، مل = ملك



(شكل ٩)

دلالة رمزية، ش = شكل، غا = غاية، فا = فاعل، ق:ز = قرب زماني، كم = كمية، ك/م = كيان متأثر

وسائل التضام المشهورة وهي الإضمار، وذلك في تركيب الصلة اي "التى استخدمها المصريون" وتمامه هو "التى استخدمها المصريون في اغراق المدمرة"، وتشتمل شبكة المفاهيم على علاقات جديدة من مثل "ش" اي الشكل بين "قارب" و " صنع" والعلاقة "ت" وهي التكافؤ بين " سفينة و " وقارب".

٢٣:٥ [٤](٣) "أما القذيفة فطائرة صغيرة، بلا طيار، يسميها رجال الغرب styx 20 تمييزا لها. ولها جناح طوله عشرون مترا، وهي تحمل المتفجرات التى تنفجر عند اصابة الهدف".

ويمثل هذه الفقرة الشكل (٩) ونجد فيه علاقة "١ح" اي الاحتواء بين طائرة و "حمل" وكذلك علاقة "جز" اي جزء بين "طائرة" و "جناح وعلاقة "ات" اي "اتصال" بين "طائرة" و تسمية "وعلاقة "غا" اي غاية بين تسمية" و"تمييز"، فضلا عن علاقات أخرى مبينة في مفتاح الرموز المرافق للشكل.

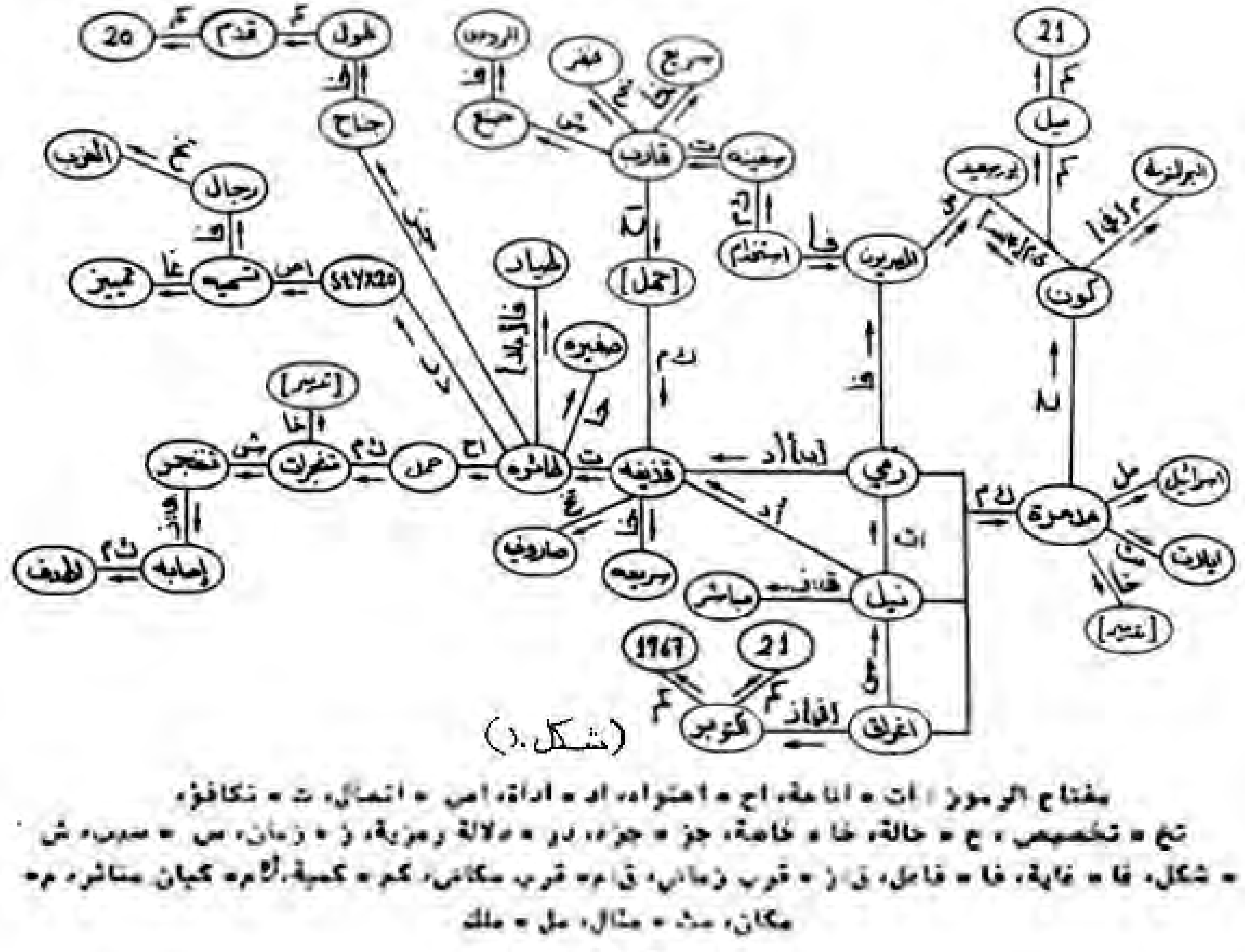
وتجدر الإشارة هنا الى اعتراضين يمكن ان يوجههما المرء عند الاطلاع على الأشكال السابقة، وذلك بشان ظاهرة الاستنتاج: فقد يحتج بعضهم اولا على أن الاستنتاجات التى قدمناها هي اختيارات تحكمية، وان بوسع المرء اقتراح استنتاجات بديلة لها، او اضافة استنتاجات أخرى اليها مثل: حالة العداء بين مصر واسرائيل غير ان المحك العملى وهو استطلاع اراء مستقبلي النص بهذا الشان يمكن ان يكون حكما لهذا اللون من الخلافات، فضلا عن المحك النظري الذي ننادى به وهو ان التمييز بين المفاهيم التي تستثيرها تعبيرات النص مباشرة وتلك المفاهيم التي يزود بها النص لملء فراغات به يمكن الا يكون واضحا على النحو الذي نريده. وقد يكون تحديد قيم احتمالية للعقد والروابط امرا معقولا، ولكن الامر يستلزم عندئذ تحديد القيم ايضا للعقد والروابط التي تستثيرها تعبيرات النص مباشرة(١٧) .

٢٤:٥ قد يكون الاعتراض الثاني موجها الى ضالة عدد الاستنتاجات بدلا من وفرتها، ذلك ان بوسع مستعملي النص تكوين استنتاجات اكبر عددا مما قدمنا في شبكات المفاهيم. ومن الممكن ان يتم تزويد هذه المواد بالاعتماد على توسيع الاستثارة(١٢:٥) دون القيام بأي بحث خاص. أما

في الوقت الحاضر فيبدو ان من الأمور المقبولة ان يميز المرء بين الإضافات التي تفرضها المشاكل(٨٢) والإضافات التى تنجم عن نزعة طبيعية لملء المواقف وتتاليات الحوادث بوجه عام. ونحن نأمل ان نكتشف فيما بعد، امكان ان يكون التمييز بين الحالتين ذا طابع سيكولوجي اي ان كان لدى مستعملي النص عتبة ثابتة لملاحظة الفجوات وحالات الانقطاع وملئها. وقد نتوصل الى أن من الممكن ان يضيف مستقبلو النص أعدادا كبيرة من الاستنتاجات التافهة بعض الشيء دون أن يبلغوا عنها، مثلما ان من الممكن ان يفكر منتج النص في الإدلاء بالمزيد من الأقوال ولكنه يعدل عن ذلك لفقدان مسوغاتها عنده. وستكون المسالة انذاك هي: ما هو مدى تشابه عالم النص عند المنتج ونظيره لدى المستقبل النمطي فهل يتفقان مثلا، بشأن ما هو أهل للذكر وما هو غير أهل له؟ وهل تقوم فروق كبرى في غنى تمثيلاتهما الذهنية للحوادث والمواقف في عالم النص ؟ ان مثل هذه الأسئلة ما تزال حتى الان بعيدة عن الإجابة.

٣٥:٥ يمثل الشكل(١٠) نتاج دمج الشبكتين في الشكلين (٩،٨) وفيه نرى شبكة علاقات المفاهيم في الفقرات الثلاث وقد اقتصر فيها على عدد قليل من الاستنتاجات التي يعتقدها المرء ضرورية. فمن الاستنتاجات المعقولة (١) ان بور سعيد "ملك" للمصريين (٢) ان المدمرة قادمة للشواطىء المصرية من أجل "التدمير"، وغير ذلك. هذا، وتشمل الفقرة الرابعة نفسها على عدد من وسائل التضام منها التكافؤ (القذيفة طائرة صغيرة)، والتكرر الجزئي (طائرة/ طيار، متفجرات/ تتفجر) والاشكال البديلة (الهاء في "يسميها" و "لها"، و "هي" والتي تعود جميعا على الطائرة وليس القذيفة كما هو واضح في شبكة العلاقات في الشكل (١٠).

٣٦:٥ لقد أمكن دمج الشكلين (٨)، و(٩) في الشكل (١٠) بالاعتماد على التكرر الجزئي في "قذائف" في الشكل (٨) و "قذيفة" في الشكل (٩)، مما يسر الربط بين عقدتي "قذائف" و "طائرة" بوساطة علاقة "ت" (اي تكافؤ). اما باقي العقد والروابط فهي لا تعدو ان تكون تجميعا لنظائرها في الشكلين السابقين .



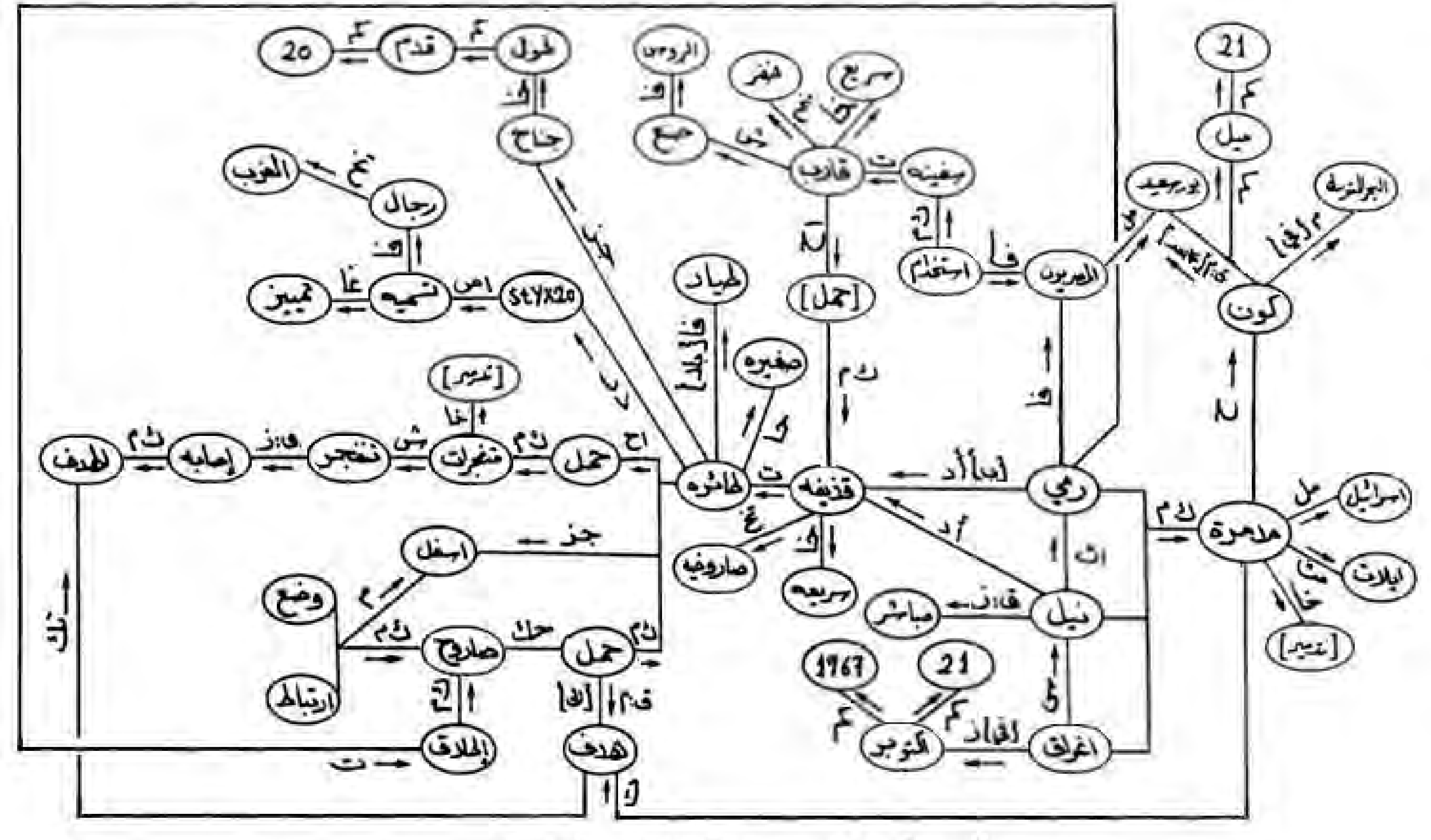
(شكل ١)

مفتاح الرموز : ات = اتاحة، اح = احتواء، اد = اداة، اص = اتصال، ت = تكافؤ، تخ = تخصيص ، ح = حالة، خا = خاصة، جز = جزء، در = دلالة رمزية، ز = زمان، س = سبب، ش = شكل، غا = غاية، فا = فاعل، ق ز = قرب زماني، ق م = قرب مكاني، كم = كمية، ك م = كيان متأثر، م = مكان، مث = مثال، مل = ملك

باسفلها واطلق، فاخذت هذه الطائرة سبيلها الى المدمرة.

تشتمل هذه الفقرة، الممثلة ضمن شكل (١١) على عدد من وسائل التضام مثل الأشكال البديلة (الضمير المتصل "ها" الذي يعود على الطائرة) والتكرر الذي نجده بين الفقرات (الطائرة في الفقرتين (٤) و (٥))، والتكرر داخل الفقرة نفسها (أسفلها/ اسفلها، الطائرة / الطائرة، هذه/ هذه التى نجدها في الفقرة (٥)). وقد مكن التكرر بين الفقرات الربط بين "هدف" في (٥) و "المدمرة" في الفقرة (١) (الشكلان (١٠) و (١١)). ويشتمل الشكل (١١) على علاقة "حكٌ" (اي حركة) بين "صاروخ" "و" "حمل" حيث تدل "حمل" هنا على الحركة وليس على الاحتواء بالمعنى الوارد في الفقرة (٤) من النص.

٢٨:٥ قد تبدو شبكة التمثيل هذه لمعنى نص تام مسرفة في التفصيل، ولكنها، مع ذلك، تقدم طوبوغرافيا مفيدة لدراسة بعض المسائل من مثل كثافة الربط باعتبارها تجلية للموضوع الأساسي، وللعمليات النمطية في الاسترجاع أو التلخيص في هيئة مزاوجة بين الأنماط وفضلا عن ذلك قد تكون هذه الشبكة ادنى كثيرا في درجة التفصيل من التمثيلات الذهنية لدى المستقبلين البشريين بما تمتاز به هذه من استنتاجات وتوسيع استثارة وتحديث، وباختصار: النتاج الكلي لتطبيق المعرفة القبلية بالعالم. ان الاستيعاب الحق، يقتضي منا ادخال متغيرات الزمن لما هو صحيح عند كل لحظة من اللحظات وكذلك ادخال الاحتمالات المناظرة لوفرة من الاستنتاجات العرضية (قارن ٥:٣٤). وسرعان ما يؤدى هذا الى تعريض النموذج لخطر الانفجار والدخول في وضع مشوش معقد مستعص على السيطرة. ومن الأفضل اذن ان يقتصر المرء في نموذج عالم النص على المفاهيم التى تثيرها مباشرة تعبيرات النص دون سواها من المفاهيم، وعلى الاستنتاجات التى يصبح اي جزء من النموذج بدونها منفصلا عن سائر النموذج تمام الانفصال، ونحن نقترح هنا إدخال المعرفة بالعالم التي تجري مزاوجتها مع عالم النص في نمط يطلق عليه مصطلح "معادل المعرفة بالعالم" (انظر الفقرة التالية) ونقترح كذلك ادخال المعرفة الكلية ضمن أنماط عامة من مثل المخططات التى تربط


20
قدم
طول
جناح
الروس
جمع
صغير
سريع
قارب
سفينة
21
ميل
بورسعيد
رجال
العرب
تسمية
تمييز
STYX20
استخدام
المصريون
كون
الصياد
[حمل]
صغيرة
[تدمير]
متفجرات
تنفجر
إصابة
الهدف
حمل
الطائرة
قذيفة
رمي
صاروخية
سريعة
اسفل
وضع
صاروخ
ارتباط
إطلاق
هدف
1967
21
أكتوبر
مباشر
نيل
اغلاق
اسرائيل
ايلات
[تدمير]

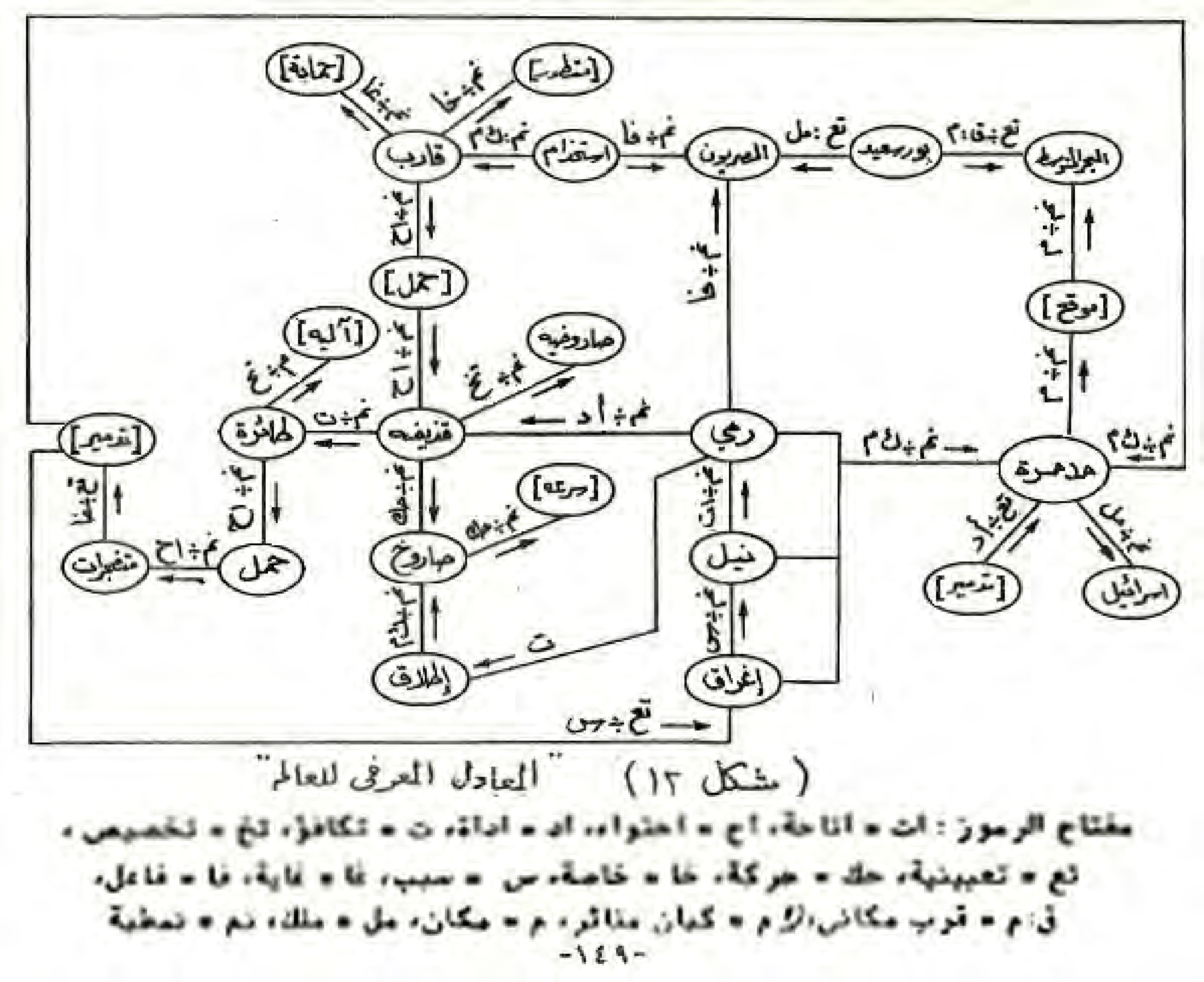
شكل (11)

مدخلات النص (قارن ٩:٢٥-٢٨).

٥:٣٩ قد يبدو معادل المعرفة بالعالم لنموذجنا هذا قريبا من الشكل (١٢) اذا حاولنا الحفاظ على النسب الأساسية للعناصر المبينة في الشكل (١١). وقد وضعت العناصر الأخرى في أقواس مركنه: اي ان هذه المادة هي مما يزوده توسيع الاستثارة او يزوده الاستنتاج اذا كانت الفجوات مدركة على نحو واع. ونحن نقترح المضي في طريق التمييز بين الربط "النمطى" و "الربط التعييني" وذلك بالاعتماد على المفاعلات التي سبق ان اقترحناها في (٥:٢٨). وعلى سبيل المثال تكون رابطة الملكية بين بور سعيد والمصريين، رابطة تعيينية، أما رابطة التخصيص بين "القارب" و "صاروخية" فهي رابطة نمطية وكذلك شأن رابطة الاحتواء بين "القذيفة" و "القارب". ويلاحظ هنا ان اكثر الروابط في النص هي روابط نمطية. وبالرغم من التشوش والخلط(٥:٥) في التفرقة بين المعرفة النمطية والمعرفة التعيينية فان هذه التفرقة تعتبر وسيلة نافعة على كل حال.

أما معالجة المعرفة الكلية بالعالم فقد اجلنا مناقشتها الى الفصل التاسع(٩:٢٥-٢٨).

٥:٤٠ قمنا بعرض هذا النموذج لعالم النص دون توضيح منا لفكرة الاشارة الدلالية، وذلك على الرغم مما تحظى به هذه الفكرة من أهمية في كثير من النظريات الفلسفية عن المعنى، ومن قبل، كان علم الدلالة القديم يوحي بامكان تفسير المعنى بدلالة الشروط التي تكون فيها العبارات (التى أطلق عليها خطأ اسم جمل) عبارات صحيحة. ووفقا لهذا تكون معرفة ما يعنيه شيء ما هي معرفة كيفية "التحقق" من "صحته". إن وجهة النظر هذه والتي اطلق عليها اسم "التحققية" قد تمخضت عن نتائج غير سارة: فمن جهة، لا نرانا في حاجة الى تفنيد الزعم القائل بعجز الناس عن فهم عبارة ما الا اذا كانوا قادرين على القول بصحة تلك العبارة، ومن جهة أخرى، لا يتوافر للمرء مثل هذا التوصل المباشر الى "الصحة" على النحو المتضمن هنا. أما اذا استلهم المرء روح البحث عندنا فانه سيتمكن من بناء عالم النص انطلاقا من المحتوى المعرفي (المعرفة) المشتبك مع معتقداته بشأن "العالم الواقعي" على نحو معقد،



(شكل ١٢) "المعادل المعرفي للعالم"

مفتاح الرموز: ات = اتاحة، اح = احتواء، اد = اداة، ت = تكافؤ، تخ = تخصيص، تع = تعيينية، حك = حركة، خا = خاصة، س = سبب، غا = غاية، فا = فاعل، ق:م = قرب مكاني، ك:م = كيان متاثر، م = مكان، مل = ملك، نم = نمطية

وتقريبي في أغلب الاحيان. ولذا فنحن نفضل على القول بأن "الكلمات تشير الى أشياء" قولنا بان "التعبيرات تستثير المعرفة"، ويكون عمل الإشارة الدلالية اذن عملية مزاوجة انماط، يتمكن مستعمل النص في أثنائها من البت بشأن اعتبار النص الذي لا يخضع للمزاوجة عتبة معينة نصا غير واقعي. ويتأثر عمل الإشارة هنا بكثير من العوامل ذات الصلة: كنوع النص وغايته، وماهيته، والنتائج التي يخلفها على موقف الشخص وجدارة منتج النص بالتصديق بحسب ما تكشفت عنه الخبرات السابقة، وكذلك مواد الموضوعات الأساسية في عالم النص غير ان البحث التجريبي في هذه الأمور ما يزال نادرا حقا.

٤١:٥ انصرف اهتمامنا الأساسي في هذا الفصل الى وسائل استكشاف التقارن وتمثيله بصفته نتاجا لتحقيق "معان احتمالية" في سبيل تكوين "معنى مقالي". واقتضت دراسة النشاطات البشرية في النصوص ان تعالج "المعنى الاحتمالي" و "المعنى المقالي" من خلال اجراءات استغلال المعرفة في مدى اوسع من المهمات ومن خلال هذه الرؤية برزت بعض القضايا من مثل: الاستمرارية (٢:٥) والاستثارة (١٠،٤:٥) وقوة الربط (٥:٥) وتوسيع الاستثارة (١٢:٥)، والذاكرة العرضية في مقابل الذاكرة الدلالية (١٣:٥) والاقتصاد(١٥:٥) واستعمال الأنماط الكلية (١٦:٥) والتوريث (١٧:٥ل) واتساق لغة النصوص مع الإدراك الباطن او المعرفة بوجه عام (٢٠:٥). وفي حين يحتدم الخلاف حول معاني التعبيرات او محتوى المفاهيم اذا أخذت على حدتها، نجد وقوعها في عالم النص الذي يقتضي المعالجة ذا حظ كبير من التحديد واستقرار التكوين. وقدمنا في هذا الفصل أيضا صيغة للاطلاع على بناء نموذج لعالم النص في أحد الأمثلة، آملين ان يجد المرء في ذلك اقتراحا وتمثيلا على الأقل لبعض العوامل الأساسية والجديرة بالمتابعة (٢٢:٥-٤٠)، كما أشرنا الى بعض الحالات التي تتأثر فيها معالجة النص بالمعرفة القبلية على هذا النحو (من أجل المزيد من المناقشة قارن ٩:٣١ل).

٤٢:٥ ليس في دراسة التقارن على هذا النحو ما يوحي بالبساطة، غير أن من المعقول تماما ان يعتقد المرء استحالة تقديم اجابة عن المسائل التي دأب الباحثون على طرحها والاختلاف حول معانيها ومعانيها المقالية اذا

مر جانب هذا السبيل من البحث. ولا ريب لدينا، في أن الالحاح المترتب على وجهات النظر المتطرفة، والذي كان الطابع المالوف لكثير من المناقشات بين الفلاسفة وعلماء النفس في الماضي، ينبغى ان يفسح السبيل لنمذجة واقعية مرنة للاستراتيجيات المتنوعة والمنهجية في الوقت ذاته، والتي يطبقها الناس بالفعل عند استعمالهم النصوص في حياتهم اليومية العادية.

الفصل السادس

القصدية والتقبلية

١:٦ يعدّ التضام في ظاهر النص والتقارن في باطنه أكثر معيارين وضوحا في معايير النصية. وهما يبينان كيفية تآلف العناصر المكونة للنص وإفادتها معنى، غير أنهما يعجزان عن تزويدنا بحدود فصل مطلقة تميز بين النصوص وغير النصوص في الاتصال الواقعي. ففي وسع الناس استعمال نصوص تبدو، لأسباب مختلفة، غير مستكملة التضام والتقارن، وهم يقومون بذلك فعلا. ولذا يتوجب علينا ادخال اتجاهات مستعملي النص ضمن معايير النصية. ولا غنى لأية تشكيلة لغوية، يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بان تكون نصا، وعن قبولها بهذا الاعتبار. وتنطوي مثل هذه الاتجاهات على شيء من الاغضاء على الاختلال في التضام والتقارن ما دامت الطبيعة الغائية للاتصال قائمة (قارن، ١٣:١ل). ان انتاج النصوص واستقبالها يقومان بدور احداث مقالية ذات صلة بخطة ما او هدف ما (قارن، ٦:١١).

٢:٦ قمنا في (١:١٣) بادخال فكرة القصدية لتندرج تحتها مقاصد منتجي النص. ويدل أكثر معاني هذا المصطلح مباشرة على ان منتج النص يقصد من أية تشكيلة لغوية ينتجها ان تكون نصا متضاما متقارنا. وقد تفرض بعض المواقف من القيود على موارد المعالجة والزمن ما يحرم هذا المقصد من استكمال التحقق عند عرضه. ومن أمثلة ذلك فقدان التضام في المحادثة أحيانا. ويطلق على بنى سطح النص غير المتسقة في هذه الحالات اسم "قطع الجملة" في البلاغة الكلاسيكية، وهي تدل على تأثير بعض العوامل الموقفية، ومنها:

تغيير المتكلم خطته الأصلية غير المكتملة والمضي في اتجاه حادث جديد ومن ذلك المثال التالي لحسين القباني :

[٨٥] أكنت ذاهبا الى مباراة الكرة اليوم اسمع ... لماذا لم أرك أمس ؟ (٦٩١:ص ١١٠)

والمثال التالي من محمود دياب :

[٨٥]ب نبيل : أنت تصرين على أن تعرفي .. طيب .. ساشرح لك لماذا .. (ولكنه لا يجد شيئا يقوله) .. لا افهم لماذا تشغلين نفسك بأمر عارض تافه كهذا.. لنفترض انها ناديه (٦٤٧:ص ٣١٦)

وقد يتخلى المتكلم عن متابعة المنطوق الذي تفوه به ويتفاعل مع مؤثر خارجي كما في المثال التالي من محمد الماغوط :

[٨٦] قارع الطبل : (مزدردا لعابه) يريد ثقافة حية ومسرحيات تعالج همومه ومشكلاته (تصفيق وورود زبائن جدد) أهلا وسهلا .. كراسي للاخوان بسرعة بسرعة (مستانفا) ويسرنا بهذه المناسبة أن نبدأ برامجنا لهذا اليوم بواحد من أعظم كتاب المسرح في العالم. الا وهو شكسبير .. (٧٠٤:ص ١٤)

ويمكن أيضا ان يغير الطريقة التي يعرض بها منطوقا ما بعد بدئه به كما في المثال التالي من فوزي عبد القادر الميلادي:

[٨٧] هدى بصراحة لا تفهم (تلتفت اليها) أعني لا تهتم بالمسائل الاقتصادية.

(٧١٦:ص ٢٠)

فهنا أعادت زينب المنطوق الذي قدمته بعد تذكرها ضرورة مجاملة هدى الحاضرة في أثناء تبادلها الحديث مع المشارك الآخر.

ومن الحالات ذات الصلة أيضا، حالة شعور المتكلم بشيء من التردد في التعبير عن رغباته الحقيقية، كما في المثال التالي من يوسف عواد :

[٨٨] ظننت .. ظننت .. لا شيء..... ظننت أنني أسمع دعسه. (٦٨٤:ص ٢٤)

٢:٦ ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن ضعف التقارن، فقد يختلط الأمر على منتجي النصوص ويفقدون الاتساق اذا كان الموقف مربكا على نحو ما،

كما في المثال التالي من غاده السمان :

[٨٩]أ أجل. هنا. لقد وصلنا. ولكن ـ كأننا أخطأنا المكان ـ انه هو وليس هو ـ

ـ ماذا تعنين ؟ (٦٦٦:ص ١٠٨)

فقد اختلط الأمر عليها وهي تحاول التحقق من المكان الذي تراه، ولكن التغيير فيه قد أدخل الارتباك في نفسها، مما جعلها تصدر هذا المنطق المختلط . وكذلك الحال في المثال التالي من توفيق الحكيم :

[٨٩]ب المرأه : ألم تنتحر إذن من أجل الحب ؟

فكري : لم أنتحر ـ "يتذكر" بل انتحرت ـ

المرأه : انتحرت او لم تنتحر ؟

فكري : لا أدري (٦٣٩:ص ٥٢٥)

فهو لم يحاول الانتحار في واقع الأمر، ولكنه اضطر في المحكمة الى الاعتراف بانه حاول الانتحار، وهو لا يدري ما الذي ينبغى أن يقوله للمرأة فبدا الكلام غير متسق كما هو واضح، ويشبه الموقف هنا، الموقف المتصل بالمثال التالي وهو من توفيق الحكيم أيضا:

[٨٩] ج البرنس : إنها مغذية .. أليس كذلك ؟

الدكتور : ومحرشة للمعده ومحتوية على فيتامينات

البرنس : طبعاأنت دكتور وتعرف .. اه .. عفوا..

أقصد أنك.. كيف عرفت فوائدها؟ (٦٤٠:ص ٢٥٩)

فهنا يشير كلام البرنس الى معرفته التي كانت عنده في بادىء الأمر عند تعرفه الى الدكتور، وقد حسبه متخرجا من قسم الطب البشري، ولكنه عرف فيما بعد أنه دكتور في اللغة العربية، والصورتان قائمتان في ذهنه مما يشوش تصوراته للعالم ويجعله يرى الدكتور عارفا بالأسباب بحسب تخصصه حينا، وفي حاجة الى تقديم تفسير لمعرفته

بها حينا اخر .
لقد نجمت السلاسل السابقة ضعيفة التضام عن حالات اسيء تحقيق هويتها عن غير قصد. ومن الممكن ان يقوم منتج النص عامدا بافساد التقارن في النص بغية الوصول الى نتيجة ما.
ومن الأمثلة على ذلك المثال التالي من العقد الفريد، وهو خطبة اضطر معاوية عقيل بن أبى طالب الى القائها :

[٩٠]أ أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن العن على بن أبى طالب ، فالعنوه، لعنه الله والملائكة والناس أجمعين. ثم نزل، فقال له معاوية: إنك لم تبين من لعنت بينه وبينه. قال : والله لا زدت حرفا ولا نقصت اخر، وهل الكلام الا نية المتكلم .

(٦٧٧:ج٤:ص ٢٩)

ومنها ايضا قول بشار بن برد في خياط اعور خاط له قباء :

[٩٠]ب خاط لي عمرو قبــاء ليت عينيه سواء
فاسالوا الناس جميعا أمديح أم هجــاء (٧٣٢:ص ٥٦٩)

إن هذا النوع من القصدية أي التوصل الى الهدف بالخداع المتمثل في المثالين السابقين ليس من الأمور التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات الفلسفيه.
٦:٤ قد يؤدي الاعتماد المتبادل بين التضام والتقارن وبين القصدية الى قيام مواقف معقدة أحيانا. فمن الممكن أن يرغب منتجو النصوص في إخفاء بعض المعلومات مثلا، ولكن خططهم تنكشف في أثناء النص من جراء الخلل الذي يلحق بالتقارن ومن ذلك، المثال التالي لمصطفى مشعل عن الطيار الامريكى بول الذي ألقى القنبلة الذرية على هيروشيما يزور بعد الحرب مستشفى فيها ويتحدث مع طبيب يابانى :

بول : اننى لا استطيع ان أصدق .. أفعلت (مستدركا) أفعلنا هذا كله ؟ (٧١٠:ص ٤٧)

ومن الأمثلة أيضا على المواقف المعقدة الناتجة عن الاعتماد المتبادل بين التضام والتقارن . المثال التالي لتوفيق الحكيم وفيه يحاول الأب تلفيق قصة مرتجلة لإلهاء طفله ومساعدته على النوم ولكنه يسبقه اليه :

[٩١]ب الأب : كان الفيل يمشي في طريق متسع به أشجار .. وكانت هنالك شجرة عظيمة .. وكانت تحت الشجرة ببغاء حمراء خضراء صفراء .. تريد ان تثرثر .. وأن تظهر فصاحتها.. فلما رأت الفيل فرحت وقالت له: سعدت صباحا أيها الفيل .. ماذا جئت تصنع هاهنا؟ فقال لها الفيل من فوق الشجرة جئت أبحث عن الماء.

الطفل : "مقاطعا" وكيف يكون الفيل فوق الشجرة ؟

الأب : أنا قلت ذلك ؟ (٦٣٩:ص ٦٨)

وينبغي أن يميز المرء هذا النوع من المواقف، عن المواقف التي يقصد فيها تحقيق التقارن ولكنه لا يحظى بالقبول، نظرا لاتساع الشقة بين معارف المشاركين وادوارهم ومن ذلك المثال التالي لتوفيق الحكيم وفيه يدور الحديث بين البرنس (غير المثقف) والدكتور في اللغة العربية:

[٩٢]أ الدكتور : لا يا سيدى ..أنا لست دكتورا من مستشفى القصرالعينى أنا دكتور من كلية الاداب.

البرنس : كلية الاداب

الدكتور : دكتور في علم النحو

البرنس : ما هذا؟

الدكتور : متخصص على الأصح في فرع دقيق من هذا العلم وهي حروف الجر.

البرنس : الجر

الدكتور : نعم .. حروف الجر .. اي الحروف التي تجر ما بعدها

البرنس : اه.. فهمت .. ميكانيكي.. (٦٤٠:ص. ٢٥١-٢٥٢)

ومنه أيضا المثال التالي من الجاحظ:

[٩٢]ب أتيت منزل صديق لى فطرقت الباب، فخرجت الي جارية سندية فقلت لها: قولى

لسيدك: الجاحظ بالباب ـ فقالت : اتول الجاحد بالباب ؟ قلت : لا ، بل قولي: الحدقي بالباب. فقالت: الحلقي بالباب ؟ فقلت لها : لا تقولي شيئا، وانصرفت. (٧٠٦:ص ١٦)

لقد قصد في كل نص منطوق ان يكون متقارنا بذاته ، غير ان المقال ليس اتصاليا في معظم الوقت ، وليس بوسع اي من المشاركين في المقال [٩٢]أ او [٩٢]ب ان يكتشف التقارن القائم في نصوص المشارك الاخر .

٦:٥ يمثل الحوار الوارد في [٩٢]أ،[٩٢]ب لتوفيق الحكيم والجاحظ حالات متطرفة بالطبع، وعلى المرء أن يأخذ بعين الاعتبار ان النص في كلا الحالين جزء من نصوص أكبر لا نزاع في توافر التقارن بها. ومع ذلك فانها تمثل الأحداث التصحيحية (التنظيمية) النمطية التي تعقب انقطاع التقارن من أجل استمرارية المعنى (قارن، ٢:١٤) ففي [٩١] يستعمل المشارك التكرر الواضح ومعه الأشكال البديلة لاثارة الاهتمام بالخلل الواقع (قارن، ٤:٥٨). وفي [٩٢]أ، [٩٢]ب يشير كلا المشاركين في الحالتين الى فقدان الاستيعاب. وسوف نقدم في الفصل التاسع وصفا لبعض أنواع رصد الموقف وفيها يجرى الرصد لدوافع مختلفة (قارن، ٩:١٥ل) وفي المنظور الذي سننشئه في ذلك الفصل ، سوف نسلم بان تضام نص مفرد وتقارنه قد يكونان مستمدين من تضام نص آخر وتقارنه في المقال ذاته. ومن ثم يصبح بامكاننا، في خاتمة المطاف، أن نستوعب الحالات المماثلة للحالة [٩١] في الإطار الأوسع للمقالات الكاملة التي ترد فيها.

٦:٦ تشير القصدية، بالمعنى الأوسع لهذا المصطلح، الى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها. وقد خصص قدر كبير من البحث للمقاصد في مختلف أنظمة المعرفة كعلم الاجتماع (٢٦٢) وعلم النفس (٤٨٤،٤٨٢)، والفلسفة(٤٩٧،٩)، والذكاء الاصطناعي (٦٧، ٦٦،٤٧٨،٩٤،٢٧١،٣). وتختلف وظيفة النصوص من ميدان الى آخر في هذه الميادين الكثيرة. فعلماء الاجتماع يحاولون استكشاف النصوص حيث يتفاعل المشاركون ويتقاسمون أدوار الكلام (٤٧٣) ويحاول علماء النفس توكيد قصد

منتج النص في توجيه وعي السامع (٢٧٢،٢٩٤). ويدافع الفلاسفة عن ان منتج النص الذي يعنى شيئا من ذلك النص ، إنما يقصد من "منطوق النص" الى إحداث تأثيرات على جمهور ما من خلال التعرف على مقصده(٢٢٤). وكذلك يهتم الباحثون في ميدان الذكاء الاصطناعي باهداف الناس وخططهم من أجل تحسين تحليل معانى الكلمات التي تكمن دقتها فيما تستند اليه من مقاصد وليس فيما لها من تجليات مادية (٤٧٨).

٦:٧ كان ابلغ ما تاثر به علماء اللغة هو المدخل الفلسفي الذي صرف جهده الى مسالة كيفية قيام الترابط بالفعل بين المقاصد من جهة وبين معنى المنطوقات وشكل اخراجها من جهة أخرى. وقد اقترح سيرل(٤٩٧) إدخال تعديل على الوصف الذي قدمه غرايس للمعنى والمقاصد ، وذلك لان معالجة غرايس لها لا تقدر التاثير المهم للعرف والنتائج المتوخاة حق قدرها. ويعتمد سيرل على اوستن(٩) في تطويره لفكرة "أفعال الكلام" اي الأفعال التي يؤديها منطوق النص عرفا او قصدا. وهو يميز فيها الأنواع التالية :

أ) أفعال النطق اي مجرد النطق بالكلمات او الجمل.
ب) افعال القضايا (الأحكام) اي استعمال المحتوى والاشارة الدلالية.
ج) أفعال العرف اي النشاطات العرفية التي يؤديها المثال كالوعد والوعيد وما اليهما.
د) أفعال التأثير اي التوصل الى إحداث تأثيرات على مستعملي النص كافزاعهم او اقناعهم(٤٩٧).

ويمضي سيرل الى سرد الأمور العرفية المتصلة بافعال العرف، ومن أمثلة ذلك اشتمال الوعد على ذكر ما ستقوم به من عمل يرغب مستقبل النص في وقوعه، في حين أنك لا تقوم به في الأحوال العادية. إن "نزاهتك" توجب ان تقصد الى القيام بالفعل وان تلتزم به حقا(٤٩٧).

٦:٨ بالرغم من الاسهامات البالغة التأثير التي قدمتها نظرية افعال الكلام لدراسة البراغماتية بالمعنى الوارد في (١:٣) الا انها لا تخلو من بعض وجوه القصور المتأصلة فيها. فالفرق واسع بين الأفعال التي تتصف بحسن التحديد نسبيا من مثل "الوعد" و "الوعيد" وبين الأفعال البالغة

الاختلاط من مثل "الذكر" و "التوكيد" و "الوصف" و "الاستفهام". ومع هذا كله نجد هذه الأفعال جميعا مندرجة تحت عنوان "الأفعال العرفية"(٤٩٧).

وما من سبيل واضح يمكننا اتباعه لتعيين الشروط والمقاصد التي يجب تقديمها من أجل "الذكر" و "الوصف" وفقا لمحكات لها درجة دقة المحكات المستعملة لأفعال "الوعد". واذا قال بعضهم:

[٩٣] أعدك

[٩٤] أعتذر (٦٠٥:ص ١١٧)

فان في فعله من الشفافية ما فيه . وذلك لأن النطق هو الفعل بعينه هنا. ويطلق على هذا النوع من الأفعال اسم "أدائيات" وهي شائعة الاستعمال في المعاملات القانونية والبرلمانية :

[٩٥] بموجب هذا ، نؤجل الاجتماع

[٩٦] الان اعلنكما زوجين (٦٠٥:ص ١١٧)

غير أن الاتصال اليومي العادي أمر أكثر تنوعا وأقل شفافية بقدر كبير، فكثير من المقاصد المشتركة بين الناس لا يكاد يصرح بها أحد، وليس من المحتمل أن يبوح شخص ما بمثل الاتى :

[٩٧] بموجب هذا ، أحاول أن أجعلك تمتثل لخطتي.

[٩٨] بموجب هذا، أحاول ان أقنعك بتبني وجهة النظر الأكثر نفعا لي .(٦٠٥:ص ١١٧)

ومع ذلك تعد هذه المقاصد من أشيع المقاصد لدى المشاركين في المقال، ولذا فان نظرية أفعال الكلام تعتبر نظرية ناقصة الى حد ما في إطارها العادى وهي عاجزه عن تقدير التفاعل بين العرف والسياق الحالي حق قدره(٤٩٤).

٦:٩ قام بول غرايس (٢٢٢،٢٢٣) باعداد مدخل أعم، عرض فيه، طائفة من "مبادىء السلوك" التي يتبعها منتجو النص ، في العادة، في أثناء المحادثة. ومبادىء السلوك هذه هي محض استراتيجيات وتوصيات وليست "قواعد" كما يتصورها سيرل. وسنمثل فيما يلي لهذه المبادىء بالاقتباس من غرايس (٢٢٢).

٦:٩:١ ينص مبدأ التعاون على ما يلي "ليكن اسهامك في المحادثة، رهنا بما تقتضيه الغاية المقبولة او الاتجاهات المقبولة في تبادل الحديث الذي تشارك فيه". ويكون التعاون مطلوبا بوضوح في المواقف التي يحتاج فيها شخص ما الى العون او النصيحة. وفي الحوار التالي من رياض عصمت تمثيل للخروج على هذا المبدأ :

[٩٩] الوزير : اسمح لي يا سمو ..

الملك : نفذ ثم اعترض ..

الوزير : ولكن مستحيل آن ..

الملك : هيا .. أمامي ..

(يدفعه خارجا) (٦٨٢:ص ٤٠)

فهنا تجد مقاصد الوزير حائلا يقف من دونها وهو رفض الملك الموافقة على خطة "الاصغاء" الى ما يلتمس قوله، وبدلا من ذلك نجده يدفع الوزير دفعا في الاتجاه الذي يريده هو دون تريث.

٦:٩:٢ وينص مبدأ الكمية على ما يلي :

"اجعل نصيب اسهامك من الإعلامية بقدر ما هو مطلوب دون اية زيادة". وتشتمل الاعلامية في رأينا هنا على إكساب شخص ما معرفة جديدة او غير متوقعة عند اقتضاء الحاجة. وقد ينجم ضعف الاعلامية عن امتناع المشارك او خوفه او عجزه عن تقديم اسهام ذى اعلامية كافية ومن أمثلة ذلك المثال التالي من غادة السمان، وهو يمثل وضعا مرضيا تختل فيه الذاكرة اللغوية لأحد المشاركين بحيث لا يصدر عنه، في الأكثر ، سوى

[١٠٠]أ ص متى نرحل .. هل جئنا حقا من قبل كي نرحل ؟

ن لا أدرى

ص هل انتهى.

ن لا أدري

ص انتهى ماذا ؟

ن لا أدري

ص هل انتهى عيسى من تصليح السيارة؟

ن ...

ص لماذا لا تسأله ؟

ن ...

ص إذهب الى النافذه وناده ..

ن ...

ص لماذا لم تعد تذهب الى النافذه وتسأله.

ن ... (٦٦٦:ص ٨٦)

ومنها أيضا المثال التالي من فتحي رضوان، بين الشيطان (ابليس) وأعوانه الشياطين الذين يخشونه.

[١٠٠]ب الشيطان : ليس لدي وقت أضيعه.. اذا كان لدى أحدكم كلام فليقله .

(صمت ..)

ثم يبدأ أولهم فيقول

الأول : أنا .. (ثم يسكت)

الشيطان : أنا .. ثم ماذا ؟

الأول : أريد أن أقول.. (ثم يصمت)

الشيطان : قل

الأول : إننا ...

الشيطان : نعم .. إنكم ... (٦٥٤:ص ١٠٧)

وتتصف المقالات المماثلة للنموذج [١٠٠] بأنها ذات فعالية بطبيعتها اذا اعتبرت تمثيلا للاتصال مع مشارك يعاني من الاضطرابات العقلية.

٦:٩:٢ يهتم مبدأ النوعية بالصدق وينص على ما يلي :

"لا تقل شيئا تعتقد أنه خطأ، او شيئا لست على بينة كافيه منه".

وينطبق هذا المحك بدقة أكبر في النصوص العلمية (قارن. ٩:١٠) بالقياس الى المحادثة. ولكنه في الحالة الأخيرة ذاتها يعد التزاما اجتماعيا بوجه عام. ان الاستخفاف بالصدق قد يكون مبعثه محاولة الشخص التستر على أعماله او بعض موضوعات اهتمامه، ومن ذلك المثال التالي من نوادر جحا الكبرى :

[١٠١] طلب منه جاره أن يعيره حماره فقال إن الحمار في السوق وما كاد يتم جحا هذه العباره حتى بدأ الحمار يهتف بصوت منكر من داخل الاصطبل فقال جاره : يا شيخ هذا الحمار يملأ الدنيا نهيقا وأنت لا تعترف بوجوده فهز جحا رأسه وقال : ما أغربك من رجل، تصدق الحمار ولا تصدق هذه اللحية الشايبة (٧٢٠:ص ٢٢)

٦:٩:٤ اما مبدأ العلاقة فيمكننا اختصاره في جملة قصيره واحدة : "ليكن حديثك ذا صلة". ويمكن ان يشتمل وجود الصلة على أمرين على الأقل : أولهما أنواع المعرفة المتصلة بموضوع أساسى معين وثانيهما أنواع المعرفة النافعة لبلوغ هدف ما. وفي [٩٢]أ لا نلحظ اي انتفاع بأي من هذين الأمرين في حديث البرنس . وهنالك حالة أخرى، وهي الفقدان المتعمد للصلة من أجل تحويل مجرى مقال ما الى اتجاه غير خاضع لخطة، كما فى المثال التالى من محمد الماغوط :

[١٠٢] المهرج : (باكيا) اه منها. بسببها لا أنام الليل والنهار، كأن في قلبي فلفل وبهار.

المدرس : (محتجا) فلفلا ، فلفلا، إنها اسم. (٧٠٤:ص ٣٦)

فهنا انتهز المدرس الخطأ الاعرابي الذي ارتكبه المهرج وحول مجرى الحديث في اتجاهه، وهو أمر غير ذى صلة بإهداف المهرج، ولعل المدرس ان يكون قد اعتبر كلام المهرج أمرا غير ذى صلة بما يجب ان يتحدث عنه فعلا، فكال له الصاع صاعين. وعلى كل حال يجب ، يجب أن ياخذ المرء بالحسبان أن للمشاركين في المقال حقا في وثاقة الصلة كأن تكون عونا لهم في تقليص حالات سوء الفهم واللايقين الممكنة الوقوع ،وفي المثال التالي من مصطفى مشعل:

[١٠٢] فيشر : .. ان كارولينا الان جنه... جنة رائعة؟

بول : (مقاطعا وقد ازداد شكه) ولكن كارولينا في هذا الوقت كئيبة ممطرة.... تهطل عليها الأمطار وتحيلها الى شبه مستنقع . لقد قضيت جزءا كبيرا من طفولتى هناك .

فيشر : الحق معك .. يحدث هذا أحيانا. (٧١٠:ص ٧٣)

إن الشكل البديل "هذا" في تعليق فيشر "يحدث هذا أحيانا" يشير الى حال كارولينا وأنها كئيبة ممطرة.. ويضعف أن تحتمل دلالته على قضاء بول جزءا من طفولته هناك، ويعود ذلك جزئيا الى وثاقة الصلة بين حال كارولينا العارض وبين الموقف بوجه عام، حيث ان فيشر يسعى الى ملاطفة بول واستدراجه الى السفر الى مصحة ريفية وليس الى المكان الذي قضى فيه طفولته.

٥:٩:٦ يشتمل مبدأ "الهيئة" على عدة طرق لترتيب النصوص وتقديمها وقد أعيدت صيغة المبدأ وهي "كن واضحا" فاصبحت "لتكن بحيث تجعل السبيل ممهدة أمام ما تقصده من أقوالك" (محادثة شخصية بين بوغراند وغرايس) إن اعادة الصياغة هذه ترتد الى الوصف الأصلي الذي قدمه غرايس للمعنى القصدي (المذكور في ٦:٦) إضافة شرط الوضوح اليه (قارن، ٦:٢) ومن الممكن اثارة نفس الاعتراضات من مثل أن المقاصد غير قادرة على تخطى جميع الأعراف وأنه قد يكون من المناسب إخفاؤها

(أنظر الامثلة [٩٠]،[٩١]،[٩٧]،[٩٨]،[١٠١] أعلاه وكذلك المثالين [١٠٩]، [١٢٩] لاحقا).

٦:٩:٦ ويشتمل مبدأ الهيئة أيضا على أمر آخر وهو "تجنب الغموض في التعبير". وهنا يكمن العائق الاحتمالي للاتصال في مرحلة إسقاط المحتوى الذي تم اختياره وتنظيمه من قبل ، على تعبيرات السطح (قارن. ٢٢:٢) وليس في عملية الاختيار ذاتها. وفي المثال [٩٢] لاحظنا أن القصد الى نقل المعرفة وبلوغ الهدف (أي ان يدرك البرنس حقيقة عمل مشاركته في الحوار وهو الدكتور المختص في علوم اللغة العربية) كان يمنى بابطال مفعوله على نحو مستمر من جراء الغموض النسبي في التعبيرات. غير انه قد يكون لدى منتج النص دوافع معينة للغموض كمحاولة الظهور بمظهر أولي العلم، ومن هذا القبيل المثال التالي عن أحد النحاة المتقعرين في أقوالهم عندما اجتمع حوله عدد من الأشخاص .

(أنظر الامثلة [٩٠]،[٩١]،[٩٧]،[٩٨]،[١٠١] أعلاه وكذلك المثالين [١٠٩]، [١٢٩] لاحقا).

٦:٩:٦ ويشتمل مبدأ الهيئة أيضا على أمر آخر وهو "تجنب الغموض في التعبير". وهنا يكمن العائق الاحتمالي للاتصال في مرحلة إسقاط المحتوى الذي تم اختياره وتنظيمه من قبل ، على تعبيرات السطح (قارن. ٢٢:٢) وليس في عملية الاختيار ذاتها. وفي المثال [٩٢] لاحظنا أن القصد الى نقل المعرفة وبلوغ الهدف (أي ان يدرك البرنس حقيقة عمل مشاركته في الحوار وهو الدكتور المختص في علوم اللغة العربية) كان يمنى بابطال مفعوله على نحو مستمر من جراء الغموض النسبي في التعبيرات. غير انه قد يكون لدى منتج النص دوافع معينة للغموض كمحاولة الظهور بمظهر أولي العلم، ومن هذا القبيل المثال التالي عن أحد النحاة المتقعرين في أقوالهم عندما اجتمع حوله عدد من الأشخاص .

[١٠٤] ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي جنة، افرنقعوا عني. (٧٢٣:ج١٢:ص ٢٠٨)

[١٠٥]ب انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في النزاع الأخير .

(٦٦٤:ص ١٥٨)

٦:٩:٧ وفي مبدأ الهيئة عنصر ثالث هو : "تجنب الأبهام". وبالرغم من امكان اشتمال كثير من تعبيرات اللغات الطبيعية على معان مختلفة في الأحوال المختلفة، إلا أن الابهام لا يقع الا عندما يعجز المرء عن تحديد المعنى المقصود بالفعل (قارن، ٥:١). أما اذا كان المقصود عددا من المعاني فاننا نستعمل مصطلح "تعدد المعنى" أنذاك (قارن. ٥:١). ومن المعلوم ان معالجة تعدد المعنى عملية مضنية دون ريب، غير أن الابهام ينطوي على مصدر ازعاج وهو انفاق الجهد على مواد غير مقصوده ولا مفيده. وينتج عن ذلك ان يبادر المشاركون الى إجراء أعمال تصحيحية لرفع الابهام، وهي في العادة اعادة صياغة المحتوى في شكل اخراج لا لبس فيه وفي المثال التالي من غائب طعمه فرمان :

[١٠٦] أين أمك ؟
عند جدتي
ماذا تفعل ؟
مريضه
من المريضه ؟
أمي .. لا .. جدتي .

(٦٩٧:ص ٢٦٩)

نجد الابهام واقعا في المسند اليه المحذوف للمسند "مريضه" في السطر الرابع من النص ، ونعنى به الشكل البديل أي الضمير المستتر "هي" وقد أوضحت الاجابه في السطر الأخير بان المقصود به هو الجدة وليس الأم .

وفي الأحوال العادية، نجد دافعا لدى المشاركين في إزالة الابهام الواقع، على خير وجه ممكن عندهم . ان الالحاح على الابهام مدعاة لعرقلة الاتصال .

٦:٩:٨ وفي مبدأ الهيئة عنصر رابع وهو "أوجز" . واذا كان مبدأ الكمية يهتم بمقدار ما تقوله فعلا، فان الايجاز يهتم بمقدار ما تعتزم قوله (محادثة

شخصيه من غرايس الى دبوغراند) وفي المثال التالي من محمد الماغوط توضيح للخروج على الايجاز وفيه نجد بدويا وهو الممثل الثالث يعرض قضيته أمام المهرج :

[١٠٧] الممثل الثالث : مولاي ، كنت لسنوات خلت ، فتى عربيا ، غض الاهاب ، موفور الصحة لا أدخل من شباك او باب وعندي..

المهرج : وبعد؟

الممثل الثالث : وعندي مال وجواري ، ونوق تسرح في الوهاد والبراري ..

المهرج : وبعد، وبعد؟

الممثل الثالث : أناخ الدهر على بكلكله، فحرمني من مشربه وماكله، حتى صرت من الضعف والهزال، أرق والله من ثقوب المنخل والغربال .

المهرج : وبعد، وبعد، وبعد؟ (الجمهور يضحك)

(٧٠٤:ص ٢٨)

نجد البدوي او الممثل الثالث يسرف في الاسهاب، ولا عجب ان ينتهى الحوار على النحو التالي :

المهرج : اعطوه الف دينار واقطعوا رأسه لأنه ثرثار. (تصفيق) (٧٠٤:ص ٢٨)

٦:٩:٩ أما العنصر الأخيرمن مبدأ الهيئة فهو "كن مرتبا" اي "اعرض موادك بحسب الترتيب الذي يطلبه الآخرون" (محادثة شخصية بين غرايس وديبوغراند). ومن الأمثلة التوضيحية الجلية على ذلك استراتيجيات الترتيب الطبيعي في ذكر الحوادث والمواقف. ومن ذلك أن يكون الترتيب بحسب تعاقب الأزمنة التي تقع فيها الأشياء (قارن. ٧:١٨-٢). وقد أجرى ديبوغراند اختبارا حول نص الصاروخ وعندما عرضت على أفراد الاختبار الفقرة التالية منه :

[١٠٨]أ ارتفع الصاروخ أسرع فاسرع بعد ابتدائه الحركة ببطء (٦٠٥: ص١٢٢)

استرجع ٤٠٪ منهم الفقرة بحسب التعاقب الطبيعي للزمن :

[١٠٨]ب ارتفع الصاروخ ببطء ، ثم ازدادت سرعته. (٦٠٥:ص ١٢٢)

ويبدو ان تفضيل استراتيجيات الترتيب الطبيعي يعكس مدى التسهيل النسبي الذي توفره الاستراتيجيات للتخزين والمعالجة، اذ لا يستلزم الأمر ان يكد الذهن نفسه بحثا عن صيغة تنظيمية غير عرفية.

١٠:٩:٦ يخصص غرايس قدرا صالحا من اهتمامه بهذه المبادىء من اجل وصف تضمينات المحادثة، اي المعرفة المنقولة عندما "يضمن الناس او يوحون او يعنون، الخ" شيئا ما متميزا عما يقولون(٢٢٢). وما دام الناس ممتثلين لمبدأ التعاون ومبادىء الكمية والنوعية والعلاقة والهيئة فان بوسع المرء ان يحدد بسهولة، ما الذي يقصدون نقله عبر اسهاماتهم فى المحادثة. أما اذا قام المشارك بانتهاك صارخ او غير صارخ لمبدأ ما او يتجاوز لذلك المبدأ، فان تضمينات المحادثة تصبح محتملة الظهور انذاك(٢٢٢)، وقد يؤدى ذلك الى اتهام المشارك له بانه معتوه او منطو على نفسه او انه يرتكب بعض المحرمات وربما انتهى الى الأمر بقطع رأسه كما في المثال [١٠٧]. ويزودنا غرايس (٢٢٢) بطائفة من الأمثلة الاضافية غير أن الاستنتاج ينبغى ان يكون واضحا على كل حال وهو : ان المشاركين في المحادثة سوف يستنتجون المحتوى الضمنى لها ولا يتخلون عن افتراضهم بقصد المقال في أن يتمتع بالتقارن والاعلامية ووثاقة الصلة والتعاون .

١٠:٦ لا مشاحة في ان مبادىء غرايس تغطى مدى أوسع كثيرا مما تغطيه دراسة نماذج، افعال الكلام "الحسنة التحديد" عند اوستن و سيرل. ان اتباع منتجى النص للمبادىء لا يعنى انهم يلتزمون باداء أعمال خاصة في أحوال يقررها العرف، وانما يعنى محاولتهم تحقيق الاتصال بقدر أدنى من الخلل والجهود غير الضرورية. ويعد تطبيق المبادىء حالة من حالات التعلق الاجرائي : اي ان يجرى التصرف بمواد المقال الحالية بحسب اجراءات عامة (قارن، ٣:١٩). بيد ان من الممكن ان تؤدى مقاصد

المنتجين، كما لاحظنا، الى انتهاكهم للمبادىء اذا دعتهم الحاجة الى ذلك ويدل هذا العامل على أن محكات الاستقامة في نظرية أفعال الكلام لا تقدم وصفا كافيا لأحداث المقال .

١١:٦ ما تزال منطقة مجهولة المعالم قائمة بين مبادىء غرايس وبين أفعال الكلام عند سيرل . ويرى غرايس بان في وسع الناس متابعة الأهداف الضمنية من خلال تضمينات المحادثة اي بقولهم شيئا يتضمن اعتقادا او طلبا ما. غير ان هذه الفكرة ما تزال غامضة وعاجزة عن أن تعكس الاهمية الكاملة لأهداف المقال. وفي وسعنا استكشاف الارتباط بين الأحداث والنصوص على نحو أكثر اتصافا بالمباشرة والصبغة الاجرائية. وفي وسعنا ايضا الانطلاق من تعريف رايت(٥٩٧) للحدث بصفته عملا قصديا يغير موقفا ما على نحو لم يكن ليقع في ظروف أخرى (قارن. ٥:٢٥). وعندئذ يتم وصف الحدث المقالي بدلالة التغيرات التي يخلفها على الموقف وعلى مختلف حالات المشاركين، اي حالة المعرفة والحالة الاجتماعية، والحالة العاطفية، وهلم جرا. ومن بين جميع التغيرات الواقعة في مقال بعينه، نجد كل مشارك يركز على تلك الحالات التي يعتبرها وسيلة نافعة لخطته المؤدية الى هدفه. وهكذا تتم معالجة الحالات من خلال التعلق بالخطة (استيعاب الاحداث ضمن تتال مخطط له من الحالات) (قارن. ٣:٢٠؛ ٦:٢٠).

١٢:٦ يبدو الكائن البشري في النصوص البالية للمدرسة السلوكية (٥٥٦) في هيئة الية "تستجيب" باستمرار "لمنبهات" البيئة. وكذلك صيغت نظريات اللغة(٥١٠) والمعنى(٤٤٢) بحسب المصطلحين السابقين. ومن بين المقدرات البشرية الكثيرة التي تجاهلها هذا المدخل او "الغاها" مقدرة التخطيط: اي القدرة على تصور الحالات المستقبلية البديلة وعلى العمل في اتجاه حالة مرغوبة خاصة. وبالطبع لا يتوافر لدى المخططين من الناس العلم بكل شيء والقدرة على كل شيء، ولذا يجب على المرء أيضا ان يلاحظ أحوال البيئة والتفاعل معها. غير أن المنبهات التي يواجهها المرء، حتى في تلك الأحوال ذاتها، كثيرا ما يمكن تفهمها من خلال تأثيراتها على خططه .

الخطة. وتطابق هذه العتبة درجة الوعي بالحالات المستقبلية الممكنة التي يستلزمها الشروع في بناء خطة ما. واذا بدت الحالة المستقبلية المرغوبة وفي طواياها من الريب ما يكفي لتصور الاخفاق في بلوغها، فان المخطط يواجه مشكلة بالمعنى الوارد في(٣:١٧) انذاك. ولذا يعد التخطيط نوعا شاملا ومفصلا من أنواع حل المشكلات، يتم تطبيقه على دفع حالة المخطط ذاته في اتجاه هدف ما ضمن اطار الموقف الناشىء. وقد يبتدىء الخطة في الحالة الراهنة (لحظة اعداد الخطة) او في الحالة الابتدائية اذا كانت الخطة ستجري فيما بعد. ويمكننا عند غياب القرائن افتراض ان تكون حالة الهدف حالة مرغوبة حقا من وجهة نظر المخطط (٢١)، (١٩) .

٦:١٤ يتنوع مقدار التخطيط وشدته وفقا لعدد من العوامل:(ا) احتمال بلوغ الهدف او ضعف احتمال بلوغه و (ب) وجود اعراف اجتماعية ذات تكوين مستقر لبلوغ الهدف او غياب تلك الأعراف و (ج) التدخل الممكن الوقوع لاصحاب التخطيط المضاد (اى فاعلين اخرين تتضارب آهدافهم مع هدف الشخص) و(د) المدى المطلوب في التخطيط اي المدى القصير في مقابل المدى الطويل (عدد الخطوات اللازمة لتنفيذ الخطة). وتجرى معالجة المشكلات الانسانية الكثيرة التكرر من مثل الجوع بالاعتماد على خطط عرفية لا تتطلب من المرء سوى الدخول في دور (اطار من الأعمال والخواص النموذجية المتوقعة) يقع ضمن موقف حسن التحديد. وقد استعمل شانك وابلسون (٤٧٨) مصطلح "مدونة" للدلالة على هذه الخطط العرفية (٥:١٦). ويجد المرء في "مدونة المطعم" المشهورة عندهما أدوارا لكل من الزبون والنادل والطاهي وأمين الصندوق. ويستطيع كل من يقدر علىالدفع ان يحل مشكلة الجوع بمجرد دخوله في دور الزبون. دون حاجة منه الى تخطيط خاص بعدئذ، الا ما يكون من بعض الأعمال كاختيار طبق الطعام من بين البدائل المختلفة (ذلك ان اية وجبة ستفي بمتطلبات الهدف الأساسى).

٦:١٥يشير روبرت ويلنسكى(٥٧٥،٥٧٤) الى ان أغلبية المواقف البشرية تفتقر الى مدونات جيدة. ويرى في مقابل ذلك ان لدى الناس

استراتيجيات مؤثرة ومرنة يستعملونها لاسترجاع خطط الإخرين من خلال الأفعال التي يقومون بها. وبالرغم من ان دراسات ويلنسكى، شانها شان دراسات شانك وأبلسون، تهتم في معظمها باستقبال نصوص حول الأحداث ومعالجتها (أي أحداث عالم النص) الا أننا لا ننكر امكان كونها ذات صلة بقصدية انتاج النص أيضا. ان الحدث المقالى الذي يغير موقفا ما (١١:٦) يكون موجها وفقا لخطة كلما حاول منتج النص توجيه دفة الموقف صوب هدف معين. ومن الممكن ان نطلق مصطلح "ادارة الموقف " على هذا النشاط، في حين يسمى رد الفعل البسيط على الموقف من خلال وصف القرائن المتيسرة او روايتها رصدا للموقف (قارن. ٨:١ل).

١٦:٦ ما دام في وسعنا تعريف المقال على أنه تتابع حوادث او مواقف يقوم فيه مختلف المشاركين بعرض النصوص باعتبارها احداثا متتالية، فان بامكاننا اذن اعتبار الاتصال من خلال المقال واحدا من أمثلة التخطيط التفاعلى(٧٠). ومن الأمثلة على هذا ان الخطة التي يضعها المرء قد تستدعي منه إدخال المعتقدات في آذهان الآخرين لكى يكونوا عونا له على تحقيق هدفه. ان هذه الخطة تصبح اشكالية الطابع اذا كانت المعتقدات المذكورة مناقضة للقرائن المتيسرة، او لا تدعمها اية قرائن كائنة ما كانت. وسنتناول بالدرس حالة من هذا القبيل وهي حالة "راشيل"، العمة العانس، التي تشترك في الحوار مع رجل ترى فيه محب المستقبل او زوج المستقبل. والمشكلة التي تواجهها العمة هي امكان انجذابه بقدر أكبر الى ابنتي اخيها الجميلتين اذا هو أخذ القرائن المتيسرة بعين الاعتبار. ويتصف حلها لهذه المشكلة بانه حل مؤثر فعلا من (تشارلز ديكنز) (١٢٩).

[١٠٩] [١] قالت العمة الوامقة هامسة للسيد توبمان :

"أتقول ان ابنتى اخى حلوتان ؟"

[٢] أجاب بكويك اليقظ، بنظرة عاطفية "أجل، لو لم تكن عمتهما هنا "

[٣] اه، ياالك من شرير ولكن اصدقنى القول ، لو كانت ملامح وجهيهما أحسن قليلا ، قليلا، ألم تكن تعتقد آنذاك أنهما ستكونان فتاتين تستريح العين لرؤيتهما في ضوء الشموع ؟

[٤] وأجاب توبمان في غير اكتراث: "بلى، ستكونان كذلك"

[٥] "أيها اللغز، لا يخفي علي ما كنت تريد ان تقوله

[٦] وسالهاالسيد توبمان الذي لم يعزم على قول شيء البتة: وما هو؟

[٧] "كنت تريد ان تقول ان ايزابيل محدودبة القامة، ليس يخفي على ما جال بخاطرك، يا لدقة الملاحظة عند الرجال! أجل هي كذلك، ومن يشك في هذا الأمر؟ والحق انه لو تفاضلت صفات الفتيات في الدمامة لكان التحدب أكثرها اساءة،وأنا كثيرا ما قلت لها انها حين تتقدم بها السن قليلا ستبدو مرعبة مفزعة، اه، انك.انك للغز حقا.

[٨] ولم يكن السيد توبمان يعارض في كسب تلك المزايا بهذا الثمن الزهيد: فاصطنع العلم والفراسة وابتسم ابتسامة غامضة.

[٩] وقالت راشيل المعجبة: "يا لها من ابتسامة لاذعة، انني اعترف لك بتخوفي منك ".

[١٠] تتخوفين مني؟

[١١] "أه، لن تقوى على إخفاء شيء عني، انني أعرف مغزى هذه الابتسامة حق المعرفة".

[١٢] وسالها السيد توبمان الذي لم تكن لديه اية اثارة من علم بذلك الأمر: "ماذا؟"

[١٣] وردت العمة العاشقة، بصوت أكثر رقة :" تقصد ان تحدب ايزابيلا أهون من وقاحة إميلي، أجل انها لوقحة. ولعلك لا تقدر مبلغ التعاسة التي يسببها ذلك لي أحيانا. انني ابكي لذلك ساعات وساعات ما أطيب أخي، وأصفى نيته، انه لا يرى شيئا من هذا، ولولا ذلك لاعتصر الألم قلبه دون ريب. ليت الامر لا يعدو أن يكون أمرا ظاهريا (وهنا ارسلت العمة من صدرها زفرة عميقة وهزت رأسها معبرة بذلك عن يأسها).

(٦٠٥:ص ١٢٥،١٢٦)

١٧:٦ والحدث المقالي الأول [١-] في الحوار هو محض سؤال (ر.ف. ٨:١٠): فالعمة تبدو وكأنها تستفسر لا اكثر، عن كيفية رصد السيد توبمان للموقف، غير أن التنغيم "الهامس" يشي بانها تأمل الحصول على جواب يدخل الخيبة في نفسي الفتاتين لو أنهما سمعتاه وتدل إجابة السيد توبمان [٢-] على ميله المبدئي للتعاون وعلى تأييده لهدف العمة العام وهو الملاحقة الغرامية ، ولكنها إجابة تثير القلق على كل حال، وذلك

لإقرارها بانه يقارن بين الفتاتين وعمتهما، بل انه يوحي بوجود البينة على اعتبارهما "حلوتين". وفي الحال تورد العمة الفزعة بينة غير مواتية لهما: "الملامح غير الحسنة"، التي لو أتيح لها التحسن لما استراحت العين الى رؤيتها الا تحت الأضواء الباهتة (الشموع) [٣-]. ان انتقاد العمة يتنكر في هيئة دفاع ، او محاولة لتصغير مقدار العيب بدلا من لفت الانتباه اليه وهي حالة من حالات اخفاء الخطة . وهنا نجد استجابة السيد توبمان [٤-] تتصف بالتعاون الجزئي فحسب كذلك: فهو يظهر "لا مبالاة" تجاه الفتاتين ولكن اجابته تظل "موافقة" غير مقيدة. ولعله يشعر بالتزام ازاء القرينة الموضوعية على نحو يمكن ان يحرك قلوب السلوكيين البعيدة عن الانفعال في غير هذه الحال.

١٨:٦ سنقترح في (١٩:٨) استراتيجية للحدث المقالي لها تأثيرها في كيفية رصد المواقف . وينبغي وفقا لهذه الاستراتيجية ان يستبدل المرء بالرصد عند رفضه او استهجانه صيغة أخرى أقل حظا من التوسط، اي أكثر اعتمادا على البينات المتيسرة. غير أننا نواجه عكس هذا الأمر، في[٤-] فليس في إجابة السيد توبمان توسط كاف، وليس فيها من البعد عن البينات ما يكفي لارضاء العمة، ولذا نجدها تنفذ سلسلة من الأحداث المقالية الهادفة الى ان يستبدل السيد توبمان برصده المباشر صيغا أخرى أكثر توسطا في اتجاه الهدف. وأول خطوة اتخذتها العمة هي رفض [٤-] وكأنها لم تكن تعني ."ما كان يريد ان يقوله"، وفي الوقت نفسه تمارس العمة رصدا متملقا لقدراته المعرفية حين تسميه بالشخص الملغز [٥-] وهي تعزو اليه في واقع الأمر حدثا مقاليا مخططا، لم يكن لديه قصد لأدائه كما يتجلى من [٦-]. وبما انه لم يقو على التعاون بالقدر المرغوب فيه، فانها تصبح حرة في تزويد مادتها الخاصة للحدث المقالي البديل في [٧-]. ان الخطوات المتبعة في اعادة التقييم المصغرة للبينات هي ذات قيمة تعليمية حقا فهي تذكر في البدء بالفكرة الأساسية اي "تحبب ايزابيلا" ثم تنتقل على الفور الى مدح قدرات السيد توبمان بصفته "ملاحظا". يتوجب عليه الاستنتاج بان الدعوى لا مفر منها لكل من يزن البينات، اذ ان رفضها يؤدى الى الانتقاص من حدة ذهنه ونفاذ بصيرته. اما الخطوتان التاليتان اللتان اتخذتهما العمة فتمثلان اعادة توكيد (اجل هي كذلك، ومن يشك في هذا الأمر) في حال

وجود أدنى ميل للرفض لدى السيد توبمان. وهناك خطوة أخرى وهي رفع هذا العيب الى منزلة عامل أساسي في جعل الفتاة تبدو "دميمة". وتكمن الذروة في توكيد "ضرورة وقوع حالة مريبة ومفزعة بمرور الزمن" (حين تتقدم بها السن قليلا تعنى "قليلا" هنا قريبا). إن هذا التكتيك يحل مشكلة ان الفتاة ليس واضحا اتصافها باثارة الرعب الان. وتظهر اللمسة الأخيرة أيضا اعادة تملق للسيد توبمان في نفاذ بصيرته مما يضمن التعاون، وهو مثال للتكرر النافع في اعادة توكيد وجهة النظر(قارن. ٤:١٢).

١٩:٦ كما هو متوقع، لم يكن لدى السيد توبمان اعتراض على ان يبدو أكثر دهاء مما هو عليه بالفعل [٨-] بيد أنه لا يجد ما يضيفه الى ما يعزي اليه من رأي، ولذا نجده مضطرا الى اصطناع تعبيرات وجه تدل على أنه "عالم بالأمر". وقد أدى نجاح العمة في مرحلة التخطيط الأولى بالطبع الى ان تعيد مرة أخرى الخطوات التي احكمت تكوينها من قبل، وكذلك الزراية بابنة أخيها الثانية متبعة نفس التكتيك الذي احكمت تكوينه من قبل. وهنا ايضا تستند العمة الى دليل ضعيف الأهمية من تعبيرات الوجه (ابتسامة توبمان) لتعزو اليه رصدا منتميا الى خطة [١١-،١٢-] وإن لم يكن له اية مقاصد مناظرة مثلما كان عليه الحال من قبل أيضا [١٢-]. وفي هذه المرة تتخلى العمة عن تملقها لقدراته الذهنية. مفترضة بدون ريب، ان التوكيد الأول لها ما زال سارى المفعول، وفيما عدا ذلك نجد بناء الحدث المقالي يتخذ، خطوة تلو الأخرى [١٢-]، وضعا مماثلا لنظيره في [٧-] فالعمة تبدأ بوقاحة اميلي ثم تربطها ببراعة مع المادة السابقة من خلال مقارنة تحقيرية "بالتحدب" (كما تعيد عرضا فكرة تحدب ايزابيلا مرة أخرى). وتتابع العمة حديثها باعادة توكيد "الوقاحة" متظاهرة بالاتفاق مع رأي توبمان ولكي تجعل من هذه السمه غير الضارة احتماليا، أمرا مثيرا للحزن والأسى، تقوم برصد لاستجابتها هي وللاستجابة المحتمل وقوعها عند أخيها (والد اميلي) لو كان يرى الأمر. إن تعاسة العمة المؤدية الى بكائها ساعات وساعات وحزن "الأخ" يضخمان العيب بحيث ان الشخص "سليم النية" وحده هو الذي يعجز عن ملاحظته، اي الشخص الذي يعجز عن رؤية الشر. وهنا تساوي العمة بين اي ميل لرصد مختلف للموقف، وبين العمى (لا يرى) عن رؤية

الواقع، ثم تستأنف فعلها المتظاهر بالدفاع عن ابنتي أخيها لا الزراية بهما وذلك بتمنيها ان يكون الخطأ ظاهريا غير متأصل. غير أن الاسلوب المتبع اي التمني لا الترجي) يدل بعناية على أن تمنيها مخالف للواقع (قارن. ٤:٤٨). وكذلك يكون المقصد من "زفراتها" و "هز رأسها" هو اضفاء الواقعية على المسوغ باليأس . وتجدر هنا ملاحظة ان اللمسة النهائية هذه تدل في الوقت نفسه على لطف العمة واهتمامها بالاخرين ، بحيث لا يشك أحد في مقصدها بالزراية وتشويه سمعة من عداها.

٢٠:٦ يقدم المثال السابق نموذجا توضيحيا للكيفية التي ادارت العمة الموقف بها وهي تتظاهر بانها انما ترصد الموقف فحسب (قارن. ٨:١). وما من شك في ان الطبيعة المقنعة لهذا المقال الخرافي تعود الى قدرتنا المهيأة لربط نصوصه المكونة له مع خطوات الخطة وذلك من خلال التعلق بالخطة. اما وجود بعض الخلل في التقارن من مثل منح الابتسامة محتوى تفصيليا وافيا لم يكن مقصودا في الواقع، وكذلك انتهاك العمة الواضح لمبدأ النوعية (قارن. ٦:٩:٣) فانهما لا يؤديان الى فقدان النص للتقبلية ما دام الخلل والانتهاك يقعان في نطاق الأحداث القصدية التي تتجه الى هدف .

٢١:٦ سبق أن أدخلنا في (١:١٥ل) فكرة التقبلية باعتبارها اتجاها لدى مستقبلى النص في الاتصال. وعلى مستقبلي النص، بالمعنى الأكثر مباشرة للتقبلية، ان يقبلوا التشكيلة اللغوية على أنها نص متضام متقارن وقابل للاستغلال. وتشتمل التقبلية، شأنها شأن القصدية، على مدى اغضاء في الحالات الطفيفة من خلل وانقطاع كما يتبين في النماذج من[٨٥] الى [٩٠] (قارن. ٦:٢ل) والأمر منوط بامكان اعادة الاستمرارية بالاعتماد على الحل المعقول للمشكلات (قارن. ٣:١٤ل). واذا طابق المرء بين التقبلية وبين ما لمستقبل النص "من قدرة على استخلاص تعليمات الاجراء من خلال المنطوق" (٢٩٤) فلا بد عندئذ ان تتبين حقيقة تلك التعليمات بوضوح من النص وموقف وقوعه (٤٩١،٤٨٨،٥٦٠).

٢٢:٦ لقد برزت أهمية التقبلية شيئا فشيئا في أثناء البحث عن كيفية

التحقق من آن باستطاعة "علم قواعد" ما ان يقدم وصفا لجميع الجمل المشروعة في اللغة (قارن. ٢:٢٧) ولا بد من أن يكون بوسع المرء، في ظاهر الأمر، ان يعرض قوائم من الجمل على الرواة الناطقين باللغة من أبنائها، من أجل الحكم بانها "قواعدية"، او "غير قواعدية". ويتوجب على "علم القواعد بعدئذ ان يكون قادرا على توليد النوع الأول واستبعاد الثاني. ان هذا المطلب ابعد طموحا من اي مطلب في علوم قواعد المدرسة التقليدية، ذلك لأنه يجب ان يستبعد استبعادا صريحا اعدادا كبيرة من "الجمل"التي لا يواجه أحد مخاطر تكوينها باية حال(٤٤٦).

٢٢:٦ بل ان الأحكام التي تحظى بالاجماع عن الجمل، حتى في الأبحاث الأولى نفسها، قد اشتهرت بانها عزيزة المنال (٤٩٨). ويجد المرء في الأبحاث الأكثر جدة وشمولا توكيدا لتلك الصعوبة بما لا يترك مجالا للشك (٢٦٦، ٤٥٥، ٢١٧، ٣٩٠، ٥١٢). وقد أشار لامبك (٣٢٦) متهكما الى التباين القائم بين الاتجاهات : " ففي أحد الطرفين نجد من يطلقون على كل منطوق اسم جملة، اى على اية سلسلة من الكلمات يتفوه بها أحد الشعراء او المزارعين، وفي الطرف الاخر نجد من يعتبرون" اكل لحوم البشر "غير قواعدية وذلك لأن الأنسان لا ينتمي الى صنف اسماء الأغذية". وهنا يناقش لامبك رؤيتين متعارضتين في دراسة اللغة: (أ) الالحاح على اعتبار ان المعطيات القواعدية الواقعة بالفعل تنتمى بكليتها الى اللغة و (ب) الاعتقاد بان في وسع علم القواعد تعيين جميع الروابط الممكنة بمعزل عن الوقائع الفعلية . ومن أجل التوسط بين هذين الاتجاهين المتعارضين ، جرت العادة على التمييز بين القواعدية (أي ما يشترطه علم قواعد مجرد) والتقبلية (اي ما هو مقبول فعلا في الاتصال). بيد ان الارتباط بين هاتين الفكرتين ما يزال الى الان بعيدا عن الوضوح. ونحن سنفترض ان التمييز الحاسم انما يكمن في الواقع بين الأنظمة الافتراضية واجراءات التحسين كما أوضحنا في (٣:١٢). ومثلما ذكرنا من قبل، يمكن أن يطغى التحقيق ، فيما يظهر، على التنظيمات القائمة في الأنظمة الافتراضية عندما يتوافر الدافع المناسب. ويفصل هذا المبدأ بين اللغة والاتصال من جهة وبين موضوعات الدراسة في العلوم الطبيعية والرياضيات من جهة أخرى .

٦:٢٤ يغلب على الظن ان تكون نظريات اللغة غير قادرة على اغفال الترابط بين الوقائع الفعلية وبين النماذج النظرية. وسنحاول تقديم وصف لوسائل عدة من أجل ملء هذه الثغرة. ومن الطرق البسيطة المتكررة الاستعمال ما يلجأ اليه اللغويون من اختراع جملهم الخاصة واصدار الأحكام عليها. اي انهم يقومون بدور الرواة أنفسهم (أنظر النقد في ٤٨٢،٤،٤٥٥،٣٢٧). ومع ذلك فانه لمن المخاطرة كما يقول سيدني غرينباوم (٢١٧) "ان يعتمد اللغوي على استبطانه الخاص فيتخذه وسيلة للحصول على المعطيات : ان تعرضه الطويل الأمد لمجموعة من الأمثلة يمكن ان يدخل الاختلاط على أحكامه، وستصبح ردود فعله متحيزه، بلا شك بتأثير موقعه النظري العام، والفروض النوعية الخاصة التي يعتمد عليها في التنبؤ بالتقبلية". وقد لاحظت سبنسر (٥١٥) ان اللغويين كثيرا ما يصدرون أحكاما، على المعطيات نفسها، تكون أشد اختلافا مما هو عليه الحال عند غير اللغويين . ويؤكد سنو وميجر(٥١٣) ان بوسع اللغويين تطوير قدرة استثنائية خاصة لا يجدها المرء عند مستعملي اللغة العاديين، وقد دلت اختباراتهما على أن اللغويين يتفقون مع بعضهم بعضا بقدر اكبر كثيرا على دمغ الجمل بأنها غير قواعدية وفقا لمعايير النحو وحدها. غير ان خبرتنا الخاصة تدل على أنهم كانوا يؤلفون أيضا الأمثلة والامثلة المضادة المعقدة التي تؤدي في خاتمة المطاف الى قبولهم جملا يراها مستعملو اللغة اليومية العادية مفرطة في الشذوذ.

٦:٢٥ ومن الوسائل الأخرى في الربط بين التقبلية والقواعدية، الوسيلة التي اتبعها بوجه خاص وليام لابوف ورفاقه (٣٢٧،٣٢٨)، ودعوى لابوف هي ان بالامكان تفسير فروق الاستعمال في مختلف الفئات الاجتماعية بحسب قواعد متغيرة غير تامة الدقة ولا معصومة من الخطأ. وفي وسع منتجي النص، بالاعتماد على بعض العوامل الاجتماعية، أن يتخذوا خياراتهم من بين قواعد بديلة او مجموعات بديلة من القواعد. ويؤدي مدخل لابوف هذا الى ادخال التنوع في علم القواعد دون التأثير في التفرقة بين ما هو قواعدى وما هو غير قواعدى . ومن ثم يظل من الممكن الاتفاق بين مستعملي اللغة في جماعة معينة بشأن الجمل المشروعة والجمل غير المشروعة. وفي الحق ان هذا الاتفاق كما اشرنا في (٦:٢٣)

هو أمر عسير المنال دون ريب .

٦:٢٦ تبدو الوسيلة الثالثة وسيلة مبشرة وواعدة بقدر أكبر من الوسيلتين السابقتين وذلك أنها تعتبر انتاج النصوص (أو الجمل) واستقبالها عمليات ذات طابع احتمالي. وبناء عليها يصبح علم القواعد مجموعة من التعليمات "المختلطة" التي يقع حسن تكوين الجمل (اي امتثالها لعلم القواعد) بمقتضاها عند نقطة ما من مقياس متدرج(٣٩٠،٣٣٢). والاعتبار الحاسم حقا هو السياق الذي ترد فيه الجمل بالفعل. وانما يحكم الراوي، في العادة، على الجمل بأنها "قواعدية" اذا كان من السهل عليه تخيل سياقات ممكنة لتلك الجمل (٥١٢،٣٧٢،٥٢). وبذلك تصبح "القواعدية" محددا جزئيا للتقبلية، متفاعلا مع غيره من العوامل. ومن أمثلة ذلك ما تمت البرهنة عليه من تأثير ترتيب عرض الجمل في الأحكام التي يصدرها الناس (٢١٨). وتزداد سرعة تقبل الجمل اذا اثارت تعبيراتها صورا ذهنية، وربما كان هذا راجعا الى اسهام الصور في بناء السياقات (٢٤٥). وفى المقال المتصل يمكن ان تتأثر الجمل ببنى الجمل المجاورة لها(١٢٥) كما هو الحال في المركبات الاضمارية من مثل [٦٠] و [٦١] في (٤:٢٢). وفي مثل هذه الاعتبارات ما يشير الى أن فكرة التقبلية بالمعنى الضيق انما تكون فكرة نافعة حقا اذا هي طبقت على النصوص الواردة في مواقف وليس على الجمل المعزولة.

٦:٢٧ تتصف التناظرات القائمة بين القصدية والتقبلية بانها تناظرات بالغة التعقيد ، وذلك ان التوتر والالحاح الزمنى كثيرا ما يدفعان الناس الى انتاج منطوقات يحجمون عن تقبلها في الأحوال العادية، وفي المقابل، نجدهم يتقبلون من الاخرين منطوقات يحجمون كل الاحجام عن انتاجها هم أنفسهم(١٢٥). وقد دلت التجارب على أن الناس يمكن الا يكونوا على وعي باساليب كلامهم الخاص او كلام فئتهم الاجتماعية، وقد يتملكهم العجب لدى سماعهم لبعض التسجيلات الموثقة لنصوصهم(٤٣). وكذلك نجدهم يعودون ادراجهم، في حالات كثيرة، لاصلاح منطوقاتهم اذا اعتبروها غير مرضية، وإن لم يطرأ اي تغيير على معرفتهم باللغة أنذاك (٤٨٢). ومن الممكن أيضا ان يتحولوا من أسلوب

الى أخر في انتاج النصوص من أجل اسقاط بعض الأدوار الاجتماعية المرغوبة على مختلف المقامات، وذلك بحسب السمات الاجتماعية التي تتصف بها بعض الخيارات (١٧٠، ٥٤٦، ١٨٨). وتؤدي هذه الاعتبارات الى نتيجة، لا مندوحة عنها فيما يظهر، الا وهي مواجهة المشقة البالغة في وصف اللغة او تفسيرها اذا لم يعتمد المرء على النصوص الواردة في مقامات واقعية.

٦:٢٨ يمكننا ان ندرج تحت مصطلح التقبلية، بالمعنى الواسع له، القبول باعتباره رغبة نشطة للمشاركة في المقال ومشاطرة الهدف. وبذا يكون القبول حدثا قائما بذاته(١٣٥) وهو يتضمن الدخول في التفاعل المقالي، مع كل ما ينطوي عليه ذلك من نتائج. وفي العادة، يتم رفض القبول باستعمال اشارات صريحة من مثل :

[١١٠] انني مشغول جدا ولا أستطيع الدخول في نقاش الآن

[١١١] لا يهمني الحديث في هذا الموضوع (٦٠٥:ص ١٣٢)

وإلا فان المشاركة في المقال، عند غياب القرائن، سوف تعتبر متضمنة للقبول .

٦:٢٩ قد ينبع قبول أهداف الاخرين من عدة دوافع متنوعة (٥٧٤،٥٧٥). وفي النموذج [١٠٩] تبينا رغبة السيد توبمان في مشاطرة العمة هدفها الغرامي ، وإن لم يقو على دعمه بالقدر الذي توقعته العمة ورغبت فيه. إن الاتصال الناجح يقتضي بوضوح وجود قدرة التحري او الاستنتاج لأهداف الاخرين انطلاقا مما يقولونه(٢) . وبالمثل يتوجب على منتجي النص ان تتوافر لديهم القدرة على توقع استجابات المستقبلين من حيث دعمها او معارضتها للخطة، كأن يقوموا ببناء نموذج داخلي للمستقبلين ومعتقداتهم ومعرفتهم.

وفي المثال التالي من توفيق الحكيم يحاول صديق رفقي باشا الرجل المسن الذي عاد اليه الشباب بفضل حقنه كيميائية من أحد الأطباء وأصبح لا يعرفه أحد من أهله وأصدقائه بل زعمت الصحف انه توفي ودفن ، يحاول ان يبوح بسره لزوجة الطبيب التي أخذت تأنس اليه،

معتمدا في اقناعها على ما يعتقده من ثقتها به وعلى الوضوح والصراحة ولكنه لا يجد تجاوبا منها فقد كان زوجها قد أرسل الى إحدى المصحات النفسية منذ وقت قريب، وهي تسيء الظن بصديق أيضا.

[١١٢]

[١] لطفية : عجبا لك يا صديق ؟!.. ما جدوى ان تجهد خيالك هكذا لتصل الى هذه الخرافه!. ولماذا لا تريد أن تعتقد أن الذي شيعت جنازته عسكريا كان فعلا صديق رفقي باشا ؟!

[٢] صديق : لأن صديق رفقي باشا حي .. حي .. بلحمه وعظمه ودمه !..

[٣] لطفية : حي ؟ .. وأين هو إذن ؟..

[٤] صديق : أمامك !..

[٥] لطفية : "في رعده" ماذا تقول؟

[٦] صديق : أنا هو .. رفقي باشا..

[٧] لطفية : "في صيحة مكتومة مرتاعة الهي..الهي..

[٨] صديق: ثقي يا لطفيه انى لا اكذب .. أنا صديق رفقي باشا.

[٩] لطفية : "تنظر اليه في رعب" جن هو أيضا!..

[١٠] صديق: لا ترتاعي يا لطفيه.. اني معك في ان ما حدث عجيب .. لقد اكتشف حقنه تمحو الهرم وتعيد الشباب.. جربها في الأرانب فنجحت..ما من أحد يعرف ذلك سواه..وسواك الان..قلت لك منذ لحظة ان هنالك سرا. لا أستطيع ان أبوح لك به، ولكن ماأنذا لم استطع ان أخفيه عنك طويلا لأنه يضغط على صدرى .. ولم يبق لي في الحياة من يثق بى ويصغى الى غيرك انت هل ترتابين في كلامي يا لطفية ؟ تكلمي..تكلمي..تكلمي .. ولا تنظرى الى هكذا برعب .. أترتابين ؟

[١١] لطفية : "بصوت خافت مرتجف " لا ..

[١٢] صديق: سأثبت لك .. ساقص عليك الأمر بالتفصيل .. أجلسى هنا....... اقتربي مني..: يحاول الدنو منها"

[١٣] لطفية : "تتراجع عنه صائحة" لا .. لا تقترب منى ..

[١٤] صديق: لا تخافي منى يا لطفيه .. لا تخافي..

[١٥] لطفية : اذن فابق في مكانك ولا تتحرك .. "تتجه الى التلفون"

[١٦] صديق: ماذا تفعلين ؟

[١٧] لطفية : استدعى طبيب المصحة على عجل.. انك متعب يا صديق..الجوالمحيط بنا

أثر في أعصابك المرهقة!..

[١٨] صديق: انى لست مريضا بعقلي! لا تطلبي الطبيب! "يهم بمنعها عن التلفون"

[١٩] لطفية : "صارخة" لا تقترب مني.. لا تقترب مني .. مكانك.. بعيدا!.. سأصرخ في طلب النجدة .. سأصرخ!

[٢٠] صديق: "يجلس " لا تصرخي!..اهدئي يا لطفية.. جلست في مكاني .. لا ترعبي مني ولا تخافي .. انى كنت أمزح.

[٢١] لطفية : كان مزاحا منك !

[٢٢] صديق: طبعا ..

[٢٣] لطفية : "تتنفس الصعداء" اه قل لي هذا يا صديق .. لقد كاد دمي يهرب من الرعب .. ومن الفجيعة عليك ..

(٦٣٩:ص ٦٩٧)

٦: ٣٠ لقد انتهت خطة "صديق" وهي جعل لطفية توافق على أنه هو نفسه "صديق رفقي باشا" الى الاخفاق الذريع، وهو قد اعتمد على نموذج غير واقعي لها في نفسه (نسميه النموذج أ) فقد اعتقد انه رجل عادي تماما في نظرها وأنها تثق به كل الثقة، ومن ثم سيؤدي لجوءه الى الصراحة والبساطة الى حل المشكلة، غير أنها كانت تراه مضطربا. وكذلك كان بالفعل. (نسمى نموذجه في نفسها النموذج ب) مما جعلها تسقط شخصية زوجها المريض النفس عليه في موضع متأخر من النص .

وكان الرصد الذي قدمه صديق في الفقرات السابقة للنص، ومحاولته التمهيد لخطته، رصدا غير مثمر كما يتبين في [١-] حيث تكشف لطفيه في شيء من التلطيف عن طبيعة النموذج(ب) ، ولكننا نجده عندئذ يستند استنادا تاما الى النموذج(أ) في [٢-] وكذلك في [٤-]، [٦-] فيفاجئها بقوله: ان "صديق باشا حي وانه هو الشخص الماثل أمامها بلحمه ودمه، وبذلك يكون قد خرج عن الرصد الى التوسط الصريح، وهنا يكتسب نموذجه الداخلي عندها اي النموذج(ب) بعدا جديدا فيتحرك من مستوى الاضطراب النفسي في اتجاه مستوى الجنون كما يتبين من [٣-] ، [٥-] ، [٧-]. وهو يواصل الالتجاء الى النموذج (أ) في [٨-] وعندئذ ينتقل اتهامه بالجنون الى مرحلة اليقين؛ اذ تتهمه في [٩-] بأنه صار مجنونا مثل زوجها، وهنا ينتقل صديق الى خطة جديدة هي الدفاع عن زوجها مصرا في الوقت نفسه على النموذج (ب) الذي أصبح عديم المعنى

تماما. ويوضح الاضطراب في ظاهر النص في [١٠-] تهافت دفاعه، ويتمثل الاضطراب والضعف في عدم التفسير: "ما حدث عجيب"، وفي التضارب :"لا استطيع ان ابوح" و "لم استطع ان اخفيه"، وفي اعترافه بالعزلة الخانقة "لم يبق لي فيالحياة من يثق بي" واعلانه عن عدم جدارته بالتصديق في المستوى العملي "هل ترتابين في كلامى ؟". وهي تلتجيء الى الكذب في [١١-] مداراة له ولكنه لا يكتفي بذلك بل يطالبها بالاقتراب ، وهنا يؤدي استحالة جمع النموذجين أ،ب الى تفجر الموقف وانهيار قدرتها على الاحتمال فتتجه صوب التلفون وعندما يطلب منها تفسيرا [١٦-] يوضح ردها في [١٧-] ان خطته قد انتهت الى الفشل التام. فيتراجع عنها معلنا ان الأمر كله لم يكن سوى مزاح !.

٦: ٣١ نلاحظ في النص [١١٢] تهافت الخطة التي وضعها صديق، اذ أنه لا يستطيع تزويد "لطفية" بالاجوبة المقنعة عندما يستدعى الأمر ذلك وفي الحقيقة ، لقد اعتمد صديق في البدء على معالجة الموقف كمدونة ، الامر الذي جعل من الصعب عليه اعادة التخطيط عندما فاجأته اسئلة لطفية التي بدأت النص . ويبدأ منتج النص في [١-] بكلمة "عجبا" وتكون استجابة المستقبل في [٢-]. منطلقا للخطة المدونة في [٤-] ويحاول "صديق" الاستمرار في الخطة في [٦-] ولكنه يفشل في ذلك [٧-،٩-] مما يفقد "لطفية" توازنها تماما وبالتالي تتميز منطوقاتها بفقدان التضام والكثير من التقارن

[١١٣] لطفيه: "صارخة" لا تقترب مني .. لا تقترب مني.. قف مكانك .. بعيدا!..

سامرخ في طلب النجده ... سامرخ :. (٦٣٩:ص ٦٩٧)

إن هذه المنطوقات المضطربه نتاج عدم القدرة على التوافق بين قصدية صاحب الخطة صديق، والتقبلية لدى المشارك في الحوار اي لطفيه، وقد، ادى التطرف في عدم التقبلية والالحاح على القصدية الى الانفجار في التضام والتقارن على النحو المذكور في [١١٣] .

٢٢:٦ اذا رفض المشاركون قبول الخطة التي أعدها أحدهم، وانتهكوا بذلك مبدأ التعاون، فان النصية تتعرض للاضرار عندئذ، وينتج عن ذلك ان يكون في وسع المشارك غير المتعاون إعاقة المقال برفضه القبول كان لا يقوم باسترجاع التقارن او المحافظة عليه. ولعدم التعاون صور مختلفة فقد يكون في هيئة شرود ذهن المشارك. او يتخذ شكلا متعمدا واعيا من احد المشاركين . والمثال التالي من توفيق الحكيم يوضح الشكل الاول والحوار يدور بين درية (الزوجة) وفكري (الزوج الكاتب) وهي تعاني من السهر على ولدها:

[١١٤]أ درية : "من الداخل" لكل شيء آخر. لم أعد احتمل ..لا استطيع المقاومة لا أستطيع ..

فكري : "وهو غارق في ورقه" ماذا تقولين ؟!

دريه : طبعا لم تسمع شيئا كما هي العادة .. غارق في هذا الورق ..أرجوك ..ارجوك .. التفت الي لحظة ..ارفع رأسك قليلا.. آنظر الي .. انظر الي ..

فكري : "بدون ان يرفع رأسه" انظر اليك؟ لماذا ؟

دريه : "في شيء من التوسل " لترى وجهي ... لاني ساموت.

فكري : " شارد الفكر " متى ؟

دريه : متى ؟! انك لا تعقل الان ما تقول ؟

فكري : ماذا قلت ؟.

دريه : لا تشرد ارجوك .. اصغ الى كلامي ... لقد وعد الطبيب بان يرسل الينا الليلة ممرضة تعاونني ولكنها لم تحضر حتى الان ..ارأيت كربي .. ارأيت بلوتى ؟ انها لم تحضر .. لم تحضر ..

فكري : لم تحضر ؟

دريه : نعم..كما ترى .. لم تحضر حتى هذه اللحظة ..

فكري : من هي ؟

دريه : الممرضه

فكري : اي ممرضه ؟

دريه : أأنت معي بعقلك ؟.. يا لمصيبتى بك .. يا لكارثتى بمثلك .. فيم تفكر

فكري : " بغير انتباه " في الفصل الثالث .   (٦٣٩:ص ٥٧٠-٥٧١)

ومن النوع الثاني المثال التالي من الجاحظ :

[١١٤]ب قال له خالد : من أين اقص أثرك ؟ قال : من صلب أبي قال: من أين خرجت ؟ قال: من بطن أمي. قال : فعلام أنت؟ قال: على الأرض. قال : ففيم انت ؟ قال: في ثيابي. قال: ما سنك ؟ قال: عظم. قال : أتعقل لا عقلت ؟ قال : اي والله وأتقيد. قال: ابن كم أنت ؟ قال: ابن رجل واحد. قال : كم اتى عليك من الدهر؟ قال: لو اتى على شيء لقتلني. قال: ما تزيدني مسألتك الا غمى.

(٦٣٩:ج٢:ص ١٤٧-١٤٨)

٦:٢٣ كنا في الفصل الخامس قد استعملنا فكرة الموضوعة الأساسية لوصف مفاهيم عالم النص التي تتصف بالقدر الأكبر من كثافة الربط مع المفاهيم الأخرى (ر.ف. ٥:٢٨). وما لم تتم استثارة مفاهيم الموضوعات الأساسية فان معالجة عالم النص تصبح متعذرة الأداء وذلك لفقدان مراكز التحكم التي تكشف عن الأفكار الأساسية. وهكذا تعاق درية [١١٤]أ عن بلوغ هدفها لأن فكري لم يستوعب المفاهيم التي تريد ان تستند اليها في حديثها معه، وكذلك الحال في [١١٤]ب ينتهك المشارك الثاني (المسئول) مبدأ وثاقة الصلة مما يضطر المشارك الأول الى اعادة المسالة ذاتها غير مرة وكأنها جديدة طريفة، ولا غرابة في ان يتخلى عن القضية كلها " في خاتمة المطاف في قوله "ما تزيدنى مسألتك الا غمى ".

٦:٢٤ يتبين لنا من أمثلة هذا الفصل مدى أهمية الدور الذي يقوم به السياق الاتصالى بالقياس الى كل من القصدية والتقبلية. وفي الحق ان الموضوع اكبر كثيرا مما تنطوي عليه مقارنة الجمل بعلم قواعد شامل الغايات. ولا مندوحة للمرء عن أن يأخذ في الحسبان بعض العوامل من مثل :(أ) مقدار المعرفة التي يتم نقلها او مشاطرتها بين المشاركين و (ب) كيفية محاولة المشاركين رصد الموقف او ادارته و (ج) كيفية ارتباط النصوص التي يتألف منها المقال بعضها مع بعض . وسوف نخصص الفصول الثلاثة التالية لكل واحد من هذه العوامل الثلاثة بالترتيب

الفصل السابع

الاعلامية

٧: ١ نستعمل مصطلح الاعلامية، كما ذكرنا في (١: ١٧ل)، للدلالة على مدى ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقع. وفي العادة، تطبق هذه الفكرة على المحتوى، وان يكن من الممكن توافر الاعلامية في وقائع أى نظام من أنظمة اللغة. وانما يعود التوكيد على المحتوى الى الدور المهيمن الذي يقوم به التقارن (كما صورناه في الفصل ٥) في النصية، في حين تبدو الأنظمة اللغوية من مثل الفونيمات او النحو أنظمة ثانوية او مساعدة. ولذا، فهي أقل وقوعا منه في بؤرة الاهتمام المباشر. ويمكننا ان نعرف "الاهتمام" هنا بانه انفاق لموارد المعالجة يحد من الطاقة المبذوله للمهمات الأخرى في الوقت نفسه (٢٠٢). ولذا، وبناء على ذلك، يؤدي تركيز الاهتمام على تقارن المفاهيم والعلاقات الى حرمان الأنظمة الأخرى من البروز الا اذا تمت معالجتها بطرق بالغة الخروج على المألوف. ومن أمثلة ذلك ما تشتمل عليه بعض النزعات في الشعر العربي المعاصر (مجلة البعكوكة المصرية، مثلا) من تشكيلات غريبة لأصوات لا تؤلف كلمات معروفة، كما نجد أمثلة على ذلك في الطرائف التي رواها القدماء تندرا بالنحاة وتقعرهم في المقال كما في المثال التالي من البيان والتبيين:

[١١٥] فقال له الطبيب : خذ خرفقا وسلقلقا وجرفقا

فسأل [النحوي] : ويلك، أي شيء هذا؟

قال [الطبيب] : وأي شيء ما قلت ؟ (٦٢٩: ج٢: ص ٢٧٠)

وما دام من غير المستطاع فرض التقارن، فان الاهتمام يغدو حرا في الانكباب على الأصوات في ذاتها، وفي تكوينه فرضيات غير موثوقة حول المعاني الممكنة ومن الممكن كذلك التركيز على النحو من خلال تتاليات بالغة الخروج على المألوف، كما في الآية الكريمة

[١١٦] "وجعلوا لله شركاء الجن" (١٩٣:سورة٦:آية-١٠٠)

إن محتوى [١١٦] يعد مباشرا (لمزيد من التفصيل انظر (٦:٧)).

٢:٧ اعد كلود شانون ووارن ويفر (٥٠٤) نظرية في الاعلام تقوم في معظمها على فكرة الاحتمال الاحصائي. وكلما زاد عدد البدائل الممكنة في لحظة ما، ارتفعت القيمة الاعلامية لاستعمال واحد منها. وأكثر الطرق ضبطا لتحديد البدائل الممكنة الظهور عندها، هي اجراء مسح للتتاليات المتيسرة في اللغة، وحساب عدد جميع الوقائع لأزواج العناصر من مثل س يليها ص. واذا اخذنا عندئذ جميع الحالات التي ترد فيها س متلوة بالعناصر الاخرى فاننا سنحصل على "احتمال الانتقال" من س الى ص (اي احتمال الانتقال من "الحالة س" الى "الحالة ص"). ويطلق على التتالي المكون وفقا لهذه الانتقالات من مفرده الى أخرى مصطلح سلسلة ماركوف.

٣:٧ من الأمور المتفق عليها تعذر انطباق نموذج الاحتمال الاحصائي المذكور، كما هو، على الاتصال من خلال اللغة الطبيعية. اذ لا نزاع في استحالة اجراء عد لجميع التتاليات في لغة كالعربية. بل ليس لهذا الاجراء أهمية بالغة، وذلك ان وقوع معظم العناصر يعتمد على عوامل أخرى غير وقوع العنصر الذي يسبق كلا منها مباشرة. وقد رأينا في (٤:٧ل) مثلا ان التبعيات القواعدية كثيرا ما تمتد الى تعبيرات غير متجاورة الموضع. زد على ذلك، ان المدخل الاحصائي يهمل معظم جوانب المعنى والغاية للنصوص في المقال.

٤:٧ وبالرغم من هذه التحفظات، لا تقوى النماذج والنظريات الواقعية للنصوص على الاستغناء التام عن فكرة الاحتمال. وما أكثر ما استعنا نحن بافكار من مثل "التوقعات" و "الفرضيات" و "حالات غياب النص" و "الأفضليات" و "التنبؤات" بصفتها ضوابط ذات شأن لما يقع في النص. ومن امثلة ذلك ان "شبكات الانتقال" التي استعملناها لعرض النحو في (٤:٥ل) وعلاقات المفاهيم في (٥:٢٩ل) تقوم على مبدأ ان بعض الروابط أقوى احتمالا من بعضها الاخر، وهي لذلك جديرة بالاستعمال

ضمن ترتيب معين. وبالمثل، يقتضي استعمال الخطط في المقال ان يحافظ واضع الخطة على نموذج للمواقف الحالية والمستقبلية وان يضع تصميمه للاحتمالات وفقا لذلك (قارن ٨:١).

٥:٧ لعل الخطوة الحاسمة حقا تكمن في استبدال فكرة الاحتمال السياقي بفكرة الاحتمال الاحصائي، ولا يكون الاعتبار الحاسم آنذاك هو عدد مرات وقوع الأشياء معا في تكرار مطلق، بل هو معرفة اي أصناف الوقائع أكبر احتمالا او أضعف احتمالا في الوقوع بتأثير تجمعات منهجية من العوامل الحالية. ومن الممكن تماما، وفي الظروف الملائمة، ان يحمل المرء على احتمال كبير بوقوع تشكيلة نادرة احصائيا من تعبيرات السطح، التي تستند اليها المفاهيم او خطوات الخطة. ولعلنا نكون في شاطىء الأمان، على الأقل، اذا استنتجنا ان الاحتمالات السياقية تختلف شدة وضعفا بالنسبة لعناصر النص المختلفة (٢٨١،٥٠٢،٥٢٢).

اما مسألة كيفية تفاعل مختلف الأنظمة اللغوية لتعيين هذه الاحتمالات، فهي مسألة أقل وضوحا ومباشرة، ولما تستكشف معالمها استكشافا حسنا.

٦:٧ وأحد اسباب ذلك هو امكان تباين شدة الاحتمال من نظام الى اخر. فقد يتكون تتال ما من عناصر محتملة نحويا (ومن ثم تكون ضعيفة الاعلامية في التضام) ومن عناصر ضعيقة الاحتمال من حيث المفاهيم (ومن ثم تكون مرتفعة الاعلامية في التقارن) (٢٦٧). من أمثلة ذلك التتالي:

[١١٧] سالت عليه شعاب الحي حين دعا

أنصاره بوجوه كالدنانير (٦٠٨:ص ٦٩١)

فهو تتال تقليدي، بقدر ما، من حيث التضام، ولكنه فريد حقا من حيث التقارن، خلافا لعبارة عادية لها شكل اخراج مماثل :

[١١٧]أ سالت عليه عيون الأهل حين قضى

خياته بدموع مثلما المطر

وفي المقابل يعد تتال من مثل :

[١١٦] " وجعلوا لله شركاء الجن "

عاديا في التقارن، غير عادي في تضامه خلافا للترتيب المألوف للعبارة:

[١١٦]أ وجعلوا الجن شركاء لله

ان عادية الأسلوب تساعد المرء على المعالجة السهلة في حين يؤدي الخروج على المألوف الى جعل المعالجة تصبح تحديا مثيرا.

٧:٧ يبدو من غير المحتمل ان يتمكن المرء (أو يتوجب عليه) من تعيين قيم رقمية بالغة الدقة لكل واقعة في جميع المستويات والأمر الأكثر قبولا في الذهن هو افتراض وجود مدى من الاحتمالات العامة، اي من قياسات أعلى او أدنى ضمن مقياس تقريبي. وسنكتفي مؤقتا بمدى ذي ثلاث مراتب اعلامية، لكل منها من السعة ما يجعل مستعملي اللغات البشرية قادرين على التفرقة بينها في أثناء الاتصال الفعلي. واذا اختيرت كل واقعة من بين قائمة مختلطة من الخيارات فان بالامكان عندئذ تقسيم المدى الى (أ) درجة عليا (ب) درجة دنيا (ج) منطقة تبدو خارج القائمة.

٨:٧ تؤدي الواقعة التابعة لخيار واقع في منطقة الاحتمال العليا (أي يعدها الادراك من أشد الوقائع المرشحة احتمالا)، الى نقل اعلامية من الدرجة الأولى. ونجد مثالا متطرفا على ذلك في نص "تمهل" المكتوب على اشارة المرور. فهو قابل للتنبؤ تماما في كل من التضام والتقارن والتخطيط ويتصف موقف الوقوع بالوضوح التام في العادة، بل ان الإشارة نفسها هي ايضا ذات شكل ولون فريدين يتميزان من مسافة بعيدة. وهنا تستثار درجة التبنؤ القصوى من أجل ابقاء اهتمام السائقين مهيئا لأحوال السير الحالية (قارن. ١:٢٠).

٩:٧ تتصف الوقائع من الدرجة الأولى بانها وقائع مبتذلة، اي انها تكون مستوعبة في نظام او مقام ما استيعابا كاملا يجعل حظها من الاهتمام

(بالمعنى الوارد في ٧:١) ضئيلا. وفي اللغة العربية، نجد ما يسمى بالكلمات الوظيفية (كالأدوات، وحروف الجر، وحروف العطف) وهي جميعا تشير الى علاقات وليس الى محتوى نجدها في العادة مبتذلة الى حد يجعل وقوعها، وإن كان متكررا في نص مفرد، امرا هينا لا يكاد يلمحه أحد. وتتصف المواقع التي تظهر فيها الكلمات الوظيفية ضمن تتال معين بانها مواقع واضحة المعالم بوجه عام. ولهذه الاعتبارات تأثيراتها المهمة على المعالجة النشطة. وكثيرا ما تنطق الكلمات الوظيفية بقدر من عدم التميز يجعل من العسير تبينها بمعزل عن السياق(٥٩٥). ويرى كلارك وكلارك (٩٢) ان اختيار الكلمات الوظيفية في أثناء انتاج النص انما يتم من بعد الكلمات الحاملة للمحتوى (كلمات المحتوى). وقد يتجاوز الناس الكلمات الوظيفية في أثناء استقبال النص ويقومون بربط كلمات المحتوى معا في اطار تحليل نحوي مختلط، بل كثيرا ما يجري الاستغناء عن الكلمات الوظيفية في أنواع النصوص التي تتطلب قدرا كبيرا من الاقتصاد من مثل: البرقيات او اشارات المرور. وكذلك لوحظ في الاصابة بمرض الافازيا (فقدان القدرة اللغوية نتيجة خلل في الدماغ) امكان حذف الكلمات الوظيفية في أثناء التكلم(٢١٢).

٧:١٠ ومن جهة أخرى، تتصف كلمات المحتوى بانها أكثر اعلامية بوجه عام. وأحد أسباب ذلك هو توافر مجموعة أوسع كثيرا يتم الاختيار من بين عناصرها بالقياس الى الكلمات الوظيفية (قارن "الاحتمال الاحصائي" المذكور في ٧:٨). ثم ان كلمات المحتوى تستثير مواد معرفية أوسع مدى وأكثر تنوعا (قارن، ٥:٨) وفي وسعها أيضا استخلاص صور ذهنية او انفعالات بارزة باكثر مما تقوى على فعله الكلمات الوظيفية. بيد أن في وسع منتج النص ان يتدخل وذلك باجراء تغييراو عكس للأدوارالطبيعية لهذين النوعين من الكلمات. ومن أمثلة ذلك ان تكون الكلمات الوظيفية عادية، ولكنها ترد مع ذلك في مواقع بعيدة كل البعد عن المألوف . يقول المتنبي :

[١١٨] أمضى عزيمته فسوف له قد
واستقرب الأقصى فثم له هنا (٧٠٥:ص ١٥١)

ويقول صلاح عبد الصبور:

[١١٩] لو اننا، وآه من قسوة لو

يافتنتي إذا افتتحنا بالمنى كلامنا

لكننا ـ

وآه من قسوتها "لكننا" (٦٧٨:ص ٩)

ان استعمال كلمات وظيفية مثل سوف وقد وثم وهنا ولو ولكن يصنع بؤرة اهتمام يمكن منحها محتوى خاصا. ومن أمثلة ذلك استعمال سوف بمعنى "زمن مستقبل" وقد بمعنى "زمن ماض".

وليس من قبيل المصادفة ان تستعمل كلمات المحتوى في العادة لايضاح دور الكلمات الوظيفية في مثل هذه الحالات.

١١:٧ يجد المرء الإعلامية من الدرجة الأولى ماثلة في اي نص كائنا ما كان، وسواء أتم التوصل الى درجات أعلى ام لم يتم. ان اي واقعة، مهما كان حظها من الابتذال هي بديل لحالة عدم وجود تلك الواقعة. وفضلا عن ذلك، لا بد أن تتصف كل واقعة بمطابقتها او مخالفتها للواقعة السابقة لها في النظام نفسه (انظر (٥٦١) الذي يبين ان تطابق الوقائع القواعدية هو أكثر من اختلافها). وتعد التقابلات البسيطة بين الواقعة / اللاواقعة والتطابق / الاختلاف امورا مبتذلة في ذاتها وان كان بوسعنا ايجاد تركيز خاص من خلال الخروج على نمط متكرر. ويبدو ان كثيرا من الناس يؤمنون باغلوطة المقامر، اي بتوقع الخروج الوشيك من اطار مسلسلة تقوم على واقعة بعينها(٢٠٥).

١٢:٧ يمكن ان تكون الاجراءات المطبقة على وقائع الدرجة الأولى في الاتصال "حالات لغياب النص" (اي عمليات او اختيارات يعتمدها المرء عند غياب اية أدلة مخالفة). كما يمكن ان تكون تلك الإجراءات تفضيلات (أي عمليات او اختيارات يفضلها المرء اليا على بدائلها المنافسة)(قارن ١٨:٢). وتؤدي هذه الإجراءات الى تصغير عبء المعالجة، بحيث يحتفظ بالانتباه موفورا للتصدي للوقائع ذات الدرجات العليا. أما عند تجاوز حالات غياب النص او التفضيلات اي عندما تكون الوقائع دون منطقة

الاحتمال العليا، فالنتيجة هي وجود اعلامية من الدرجة الثانية. وقد يكون وجود بعض الوقائع من الدرجة الثانية على الأقل معيارا طبيعيا للاتصال بوساطة النصوص ، وذلك للعسر الذي يصادفه المرء في تكوين النصوص ذات الدرجة الأولى وحدها فضلا عن خلوها البالغ من اثارة الامتاع والاهتمام. وربما قام المرء من حين الى آخر برفع منزلة وقائع الدرجة الاولى وخفض منزلة وقائع الدرجة الثالثة للمحافظة على هذا الترتيب المتوسط كما سنرى بعد قليل (قارن. ٧:١٣\ل).

١٣:٧ يعثر المرء على اعلامية من الدرجة الثالثة في الوقائع التي تبدو لاول وهلة خارجة بعض الشيء على قائمة الخيارات المحتملة. وهذه الوقائع قليلة الحدوث نسبيا وتتطلب قدرا كبيرا من الاهتمام وموارد المعالجة، غير انها تكون في المقابل اكثر امتاعا. وتنقسم وقائع الدرجة الثالثة الى قسمين في العادة هما: الانقطاعات، وفيها تبدو تشكيلة ما خالية من المادة؛ والمفارقات، وفيها تبدو الانماط المعروضة من النص غير مواكبة لأنماط المعرفة المختزنة. ويستلزم الأمر قيام مستقبلي النص بالبحث في الدافعية وهي حالة خاصة من حالات حل المشكلات من أجل اكتشاف ما تشير اليه تلك الوقائع، وسبب اختيارها واستيعابها المجدد في اطار الاستمرار الذي يؤلف الاتصال (قارن. ٣:١٤). وفي الحق ان البحث الناجح سيقدم البرهان على ان الواقعة المعينة تكون ضمن مدى الخيارات بالرغم من كل شيء، وان يكن التوصل اليها غير ميسور بدون اللجوء الى التوسط ومن ثم يكون البحث قد أدى الى خفض منزلة وقائع الدرجة الثالثة وجعلها من الدرجة الثانية. وربما كان خفض المنزلة متعدد الاتجاهات: فاذا رجع مستقبلو النص أدراجهم للعثور على الدافعية في الوقائع السابقة، فان عملهم يسمى أنذاك خفض منزلة خلفيا، اما اذا انتظروا استقبال وقائع لاحقة فان عملهم يسمى خفض منزلة أماميا، وأما اذا خرجوا على نطاق المقال او النص الحالي، فان عملهم يسمى خفض منزلة خارجيا. ومن الممكن اجراء تفرقة مماثلة في حالات رفع المنزلة أيضا .

١٤:٧ يمكن ان تتجاوز مثل هذه المعالجة نطاق اتصال النصوص وتنطبق على رد الفعل البشري للعالم بوجه عام. ونحن بصفتنا اناسا عاديين

ستغمرنا الدهشة عند تلقينا صكا بريديا بمبلغ كبير من المال. وقد يكر بنا الفكر راجعا عسى ان نكون قد اشترينا تذكرة يانصيب او ما اليها (خفض المنزلة الخلفي). وربما انتظرنا لعل اشعارا لاحقا يصل الينا فيوضح جلية الأمر (خفض المنزلة الأمامي) ومن الممكن ايضا ان نفترض حدوث خطأ وان المال كان مقصودا به شخص اخر او غاية أخرى (خفض المنزلة الخارجي). اما اذا لم يتمكن اي من هذه الأساليب من خفض منزلة الحادث، فاننا سنقف عاجزين عن تفهمه. وفي الحق، ان الخلو من المعنى (أو اللغو) انما ينتج عن فقدان الاستمرار بين الواقعة وما عداها من معرفة وخبرة لدينا، وهو امر يعسر الاغضاء عنه على كل حال (قارن. ٥:٢).

١٥:٧ تتوقف درجة الارباك الفعلي التي تتصف بها احدى وقائع الدرجة الثالثة على شدة الربط المتعلقة بها (قارن. ٥:٥) فالواقعة التي تخالف المعرفة التعيينية أكثر ارباكا من الواقعة التي تخالف المعرفة النمطية، وانتهاك هذه هو بدوره اكثر ارباكا من انتهاك المعرفة العرضية، وفي الفقرة التالية :

[١٢٠] كانوا قد نظفت معاطفهم، وغسلت اوجههم ولمعت، ويا للعجب، احذيتهم، فهم كانوا، كما تعلم، بدون اقدام (٧٦:٢٢٤)

يقوم التأثير على المعرفة التعيينية، الا وهي ضرورة انتعال الحذاء في القدمين، وهنا يستمد العرض دافعيته من قصد وصف صغار المحار بما يوصف به اطفال البشر في أيام العطل. ولو كان اولئك اطفالا من البشر حقا، لما كان حالهم غريبا الى هذا الحد، وذلك لأن نسبة المعاطف والوجوه والأحذية الى بنى البشر تعد معرفة عرضية محضة.

١٦:٧ عند مواجهة المرء لجزء من نص كالتالي:

[١٢١] البحر ماء (٦٠٥:ص ١٤٥)

يشعر بالارتباك، فالمعرفة التعينية لمادة البحر تبدو كأنها بلا غاية، فالبحر لا يكون بحرا ان لم يتكون من الماء. غير أن مواصلة قراءة النص تؤدي الى رفع منزلة هذه الواقعة التي هي من الدرجة الأولى وذلك حين يتبين ان البحر هو في واقع الأمر محلول من الأملاح والغازات. ولقد كان في وسع منتج النص ان يصوغه على النحو التالي :

[١٢١] أليس البحر ماء، بل هو في واقع الأمر محلول من الأملاح والغازات.

هنا، يجد مستقبلو النص انفسهم ازاء واقعة من الدرجة الثالثة يتم تكاملها بسهولة من خلال خفض المنزلة الامامي. وفي كلتا الحالتين تؤدي افتتاحية النص الى خلق حالة اعلامية غير ذات استقرار لا يستريح اليها مستقبلو النص في الأغلب. ان الخروج المنتظم من مثل هذه الحالة يعد بينة جلية على كيفية قيام الاتصال بتمثيل الاستبعاد والاسترجاع المستمرين للتوازن (قارن. ٢:١٥).

١٧:٧ ولا بد من قيام ميل للمعالجة يمنع مستعملي النص من استخراج البدائل البالغة الغرابة في قراءات نص ما او قبول مثل تلك البدائل. ففي المثال :

[١٢٢] ما أجمل السماء

يمكن تقديم قراءات بديلة مختلفة عن التعبير الجلي الواضح بالتعجب من جمال السماء:

أ) ما أجمل السماء، اي ما هو أجمل جزء من السماء ؟

ب) ما أجمل السماء، اي لست اجعل السماء جميله

بيد ان كلا من هذين البديلين هو بديل من الدرجة الثالثة، فلا يميل احد الى ادخاله في الحسبان باي حال. وفي الجانب الأخر من مقياس الاعلامية، نجد ان القراءة الأولى للنص :

[١٥] نحن عرب والانجليز انجليز

تعني قراءة من الدرجة الأولى في الإعلامية، الا اذا اعتبرنا ان الضمير "نحن" يشير الى انجليز من أصل عربي، مثلا.

٧:١٨ يعد الاحتمال السياقي، حتى في مقياسنا المتواضع ذي القيم الثلاث، مزيجا معقدا من العوامل. وفي الحق ان بوسعنا تمييز متتالية من التوقعات البشرية المتزايدة التخصص والمنطبقة بدرجات مختلفة في اثناء الاتصال(٢٧).

٧:١٨:١ يؤلف النموذج الاجتماعي الشائع للموقف البشري وبنيته ما نطلق عليه في العادة اسم العالم الواقعي. وتعتبر القضايا التي تعتقد صحتها في ذلك العالم (اي مضاهاة تنظيمها بتنظيمه عند بلوغ عتبة ما) من بين الحقائق(١٣٢). ان الحقائق التي يميل شخص ما او مجموعة ما الى اعتبارها قابلة للتطبيق عموما على حادث او موقف واقعيين او قابلين للاسترجاع هي ما يؤلف معتقدات ذلك الشخص او تلك المجموعة من الناس. ومن ثم يكون العالم الواقعي هو المصدر المفضل للمعتقدات التي يقوم عليها الاتصال بالنصوص. وبالطبع يمكننا انتاج كثير من النصوص التي لا تعتبر حقيقية من هذه الجهة واستقبال تلك النصوص ايضا، غير أننا نجد لدينا ميلا الى اتخاذ العالم "الواقعي" نقطة توجه في انطلاقنا. ففي بعض "الحقائق" من التأصل والرسوخ ما يجعلها تقوم بدور "حالات غياب النص " لأي عالم نص قابل للعرض: فالأسباب لها مسببات والشيء لا يمكن ان يكون صحيحا وخاطئا معا، او موجودا وغير موجود في اللحظة نفسها وفي الظروف ذاتها ،وللأشياء هويتها وكتلتها ووزنها وهلم جرا. ويستلزم انتهاك اي من هذه الحقائق في عالم النص وجود اشارات صريحة لا يتطرق اليها الخطأ بل ان الحالة الأقل تطرفا، حيث انتعل الحذاء فيها بدون قدمين، يستخلص من كارول تعليقا بان هذا كان أمرا غريبا في النموذج [١٢٠]. والواقع ان انتاجا واستقبالا لنص طويل يتعطل في عالمه مبدأ "السبب" و "المسبب" يمكن ان يتبين انه غير متحقق عمليا في اللغة .

٧:١٨:٢ يبدو ان البشر يطبقون استراتيجيات متسقة فيما يقوم به وعيهم من ادراك وتنظيم للعالم الواقعي، خشية ان يستبد التعقد بالأمر. ولا

يخبر الناس العالم في هيئة قذائف من المنبهات الفردية، وانما يكاملون احساساتهم ضمن نموذج للعالم من خلال "فعل انتباه بارع جدا" (٣٨٢). ان اية معرفة مكتسبة تتخذ باستمرار جسرا لاضافة المزيد من المعرفة. وقد وضحنا في (١٦:٥) مثلا استعمال الأنماط الكلية من مثل الأطر والمخططات والخطط والمدونات من أجل المزاوجة والتكامل والضبط لكميات كبيرة من المادة الحالية. وفضلا عن ذلك تتوافر بعض البينات على وجود استراتيجيات ترتيب طبيعي في الإدراك الواعي للعالم والتحدث عنه (واقعيا كان ام متخيلا)، فقد تبين وجود ميل لدى الناس في الانتقال من أعلى الى أسفل عندما طلب اليهم رصد مشهد بصري ما (٩١،١٢٨) (قارن ١:٨). وعندما قدموا وصفا لمساكنهم الخاصة، كانوا يذرعون تلك المساكن باذهانهم ذاكرين كل حجرة من الحجرات فيها وفقا لترتيب دخولهم فيها او رؤيتهم لها. وكثيرا ما كانوا يضعون الحجرات الكبيرة في تعبيراتهم بحيث تشغل مواقع المسندات اليها في الجمل، في حين كانت الحجرات الصغيرة ترد ضمن مواقع المسندات (الاخبار) (٣٥٥). أما الأشياء المنقولة فكان ذكرها في هيئة مسندات اليها اكثر تكرارا من ذكر غيرها في المشهد ذاته (٤١٢) وتبين كذلك ان تركيز الاهتمام على الفاعل في مقابل الكيان المتأثر ضمن حادث ما كان اكثر ارتباطا بتفضيل شكل اخراج الجمل المبنية للمعلوم في مقابل الجمل المبينة للمجهول (٤٠٤). أما تتاليات الحوادث فكانت تروى في العادة وفقا للترتيب الذي وقعت فيه (٩٣،٢٢٠) وما هذه الميول جميعا سوى تفضيلات (قارن، ١٢:٧) ومن الممكن ادخال التعديلات عليها في السياقات الملائمة، وخصوصا اذا رافقت العرض اشارات بهذا الصدد .

٢:١٨:٧ والمصدر الثاني للتوقعات التنظيم الخاص للغة التي يراد استعمالها في النص . وفي لغة من مثل اللغة العربية يتصف كثير من قواعد تجميع الأشكال بانها قواعد اعتباطية، اي ان تنظيم الحوادث والمواقف لا ينعكس على نحو مباشر في تنظيم اللغة (قارن، ٢:١٨:٧). وتدفع هذه القواعد المتكلمين الى اعتبار بعض التكتلات الصوتية اشياء غير قابلة للنطق وذلك لخلو اللغة منها ومن أمثلة ذلك ان المتكلمين بالعربية لا يحاولون النطق بتكتلات من مثل "الخ" و "صلعم" و "رضه" كما هي

مكتوبة، وانما يميزون فيها على الفور اختصارات لأشكال أطول ذات أنماط صوتية أكثر ملاءمة. ويمكننا بالاعتماد على القاعدة نفسها استنتاج ان التتاليات المفرطة في سوء الترتيب مما يستعمل اللغويون لتوكيد اهمية البنى اللغوية كالمثال التالي من الجاحظ :

[١٢٣] وقال نفيس لغلام لي : الناس ويلك انت حياء كلهم أقل (٦٢٩:ج٤:ص ٢٦)

لاتكاد تروى او يقبل بها أحد فيما خلا الدراسات اللغوية. واذا عرضت مثل هذه التشكيلات الغريبة من صوت او نحو، فانها ستبدو وقائع من الدرجة الثالثة غير قابلة لخفض المنزلة لدى معظم مستقبليها. اما اذا اقتصر استعمال الصوت والنحو على وظائفهما في تنظيم المحتوى (قارن. ٩:٧) فان انكار تنظيمها الخاص يبدو عندئذ أمرا عابثا ما لم يتم اكتشاف وظيفة جديدة لها (قارن المثالين [١١٨] و [١١٩] .

٤:١٨:٧ وللتوقعات مصدر ثالث يستند الى أساليب ترتيب التتاليات بحسب اعلامية العناصر او مجموعات العناصر. ونذكر هنا باننا قد ألقينا نظرة عاجلة في الفصل ٤ على المنظور الوظيفي للجملة (قارن.٤:٥١-٥٢) والتنغيم (قارن. ٤:٥٤-٥٨) بصفتهما وسيلتين للإشارة الى ما يعد جديدا او مهما او غير متوقع ضمن التراكيب او المجموعات النغمية. وكان مما لاحظناه ان العناصر ذات الأعلامية المرتفعة تنزع الى الظهور عند نهاية التركيب والى الحظوة بطبقة صوت مرتفعة. وفي المقابل تميل العناصر ذات الإعلامية المنخفضة الى الظهور عند بدايات التراكيب والى ان تكون لها طبقة صوت منخفضة، او الى التعرض للاختزال من خلال الأشكال البديلة (قارن. ٤:٢١-٣١) او الحذف من خلال الاضمار (قارن. ٤:٣٢-٣٧). ولهذه الأساليب فضل في تحقيق التوازن بين نزعتين متعارضتين : الحفاظ على نقطة توجه واضحة من جهة، والمحافظة على درجة مرتفعة من الإعلامية من جهة أخرى (قارن. ٢:١٥) .

٥:١٨:٧ قد يستنتج بعضهم ان المصدر الأول للتوقعات حول "العالم الواقعي" وما له من "حقائق" يمكن ان يكون مستقلا تمام الاستقلال عن اللغة، في حين ان المصدر الثاني (المواضعات الشكلية) والثالث (الاشارة الاعلامية) يختلفان من لغة الى أخرى. ان هذه القضية قضية خلافية على كل حال. فما من شك في تنوع المواضعات الشكلية بين مختلف اللغات، غير أن الاتفاق ضئيل للغاية حول الزام هذا التنوع لمستعملي اللغات بتنظيم العالم في طرق مختلفة كما يزعم وورف (٥٦٧). وبالمثل، اذا كان كل من معنى التعبيرات والمعنى المقالي للنصوص وثيق الصلة باكتساب المعرفة واستعمالها، فانهما سيتأثران، دون ريب بعوامل اجتماعية وثقافية وهي احدى الأفكار المدروسة في علم الدلالة العرقي(٩٧). ومن ثم يمكننا القول بوجود تفاعل مهم بين مصادر التوقعات الثلاثة المذكورة انفا. غير ان لكل منها تاثيرات متميزة تناظر مبادئه التنظيمية الخاصة. وقد يتمكن المرء احيانا، من عزل المصادر بعضها عن بعض بوساطة أمثلة تم تكوينها خصيصا لهذه الغاية، ولكن الناس لا يجدون في العادة دافعا للقيام بذلك.

٦:١٨:٧ والمصدر الرابع للتوقعات هونوع النص، وسنقيم الحجة فيما بعد (قارن. ٩:١ل) على ان أنواع النصوص هي أطر كلية تضبط مدى الخيارات المحتملة الاستعمال. ان مثل تلك الأنماط النادرة في الصوت والنحو، كما أشرنا في [١١٦] و [١١٥] تحظى بالقبول في النصوص الشعرية، التي يجري فيها تعديل قواعد التعبيرات تعديلا متميزا ويتم فيها خفض المنزلة أيضا في كثير من الأحيان (قارن ٩:٩) وفي النوع الفرعي منها المسمى "قصائد السخف" يغضي المستقبل عن وجود حذاء أنيق نظيف، دون قدمين [١٢٠]، في حين ينتهي الأمر الى الإرباك عند انشاء تقرير علمي على النحو التالي:

[١٢٠]أ تدرس هذه الأطروحة المعطيات المجموعة في معهد مدونات للبحث الأوقيانوغرافي بشان نظافة الأحذية لدى الرخويات عديمة الأطراف من جنس الاستريديا. (٦٠٥:ص ١٤٩)

إن نوع "النص العلمي" (قارن. ٩:١٠) يعارض تعطيل "الحقائق" الأساسية لتنظيم العالم كان تكون الأشياء (الأقدام مثلا) حاضرة غائبة معا (قارن. ٧:١٨:١). ومن ثم فليس من الممكن استغلال نموذج من مثل [١٢٠] أ في اطار المعتقدات العلمية.

٧:١٨:٧ والمصدر الخامس والأخير للتوقعات هو السياق المباشر الذي يرد النص ويستغل فيه(١٥٢) واذا كان بوسع التحقيق، كما ندعي، ان يتغلب على التنظيم العرفي للنظم الافتراضية، فان من الممكن ان يجري هذا المصدر عندئذ تعديلات على التوقعات المستنده الى المصادر السابقة الأخرى. وقد استعملت فكرة الأسلوب لتعكس الفرض القائل بان ميولا خاصة للاختيار تتجلى في نص مفرد او في مجموعة من النصوص (قارن. ٧:٢)، وبذلك يتمكن مستقبلو النصوص من توقع ان تكون بعض أنواع الوقائع ذات حظ أكبر من السيادة والتكرار بالقياس الى غيرها من الوقائع. وتمتاز النصوص الشعرية والأدبية (قارن. ٩:٨ل) بانتزاع اهتمام خاص باساليبها مما يفرض على المنتجين اتفاق قدر ملحوظ من الانتباه والعناية على اجراءات الاختيار. غير أنه من الممكن احداث زيادة في الاعلامية أحيانا، عند خروج المرء على أسلوبه الثابت الخاص (٤٥٢،٤٥٤)، وان كان الاكثار والتشدد في اتباع هذا الاتجاه يمكن ان يدخل من الارباك في اذهان المستقبلين ما يجعلهم عاجزين عن استغلال النص (ومن ذلك الصعوبة التي يجدها كثير من القراء في رواية يوليسيز لجيمس جويس)، وليس ثمة أنماط ثابتة لتكوين خلفية يمكن أن يتم فيها استيعاب الوقائع المفاجئة بالاعتماد على خفض المنزلة.

٧:١٩ ينبغى أن يكون نظام التوقعات الذي قدمناه، بالرغم من أنه ليس نظاما محكما، قد ازاح الستار عن العلة في جدب الرؤية التي تمثلها فكرة الاحتمال الاحصائي (قارن. ٧:٢) للاعلامية. وما من شك في أن الارتباط بين القيمة الاعلامية وبين اي تكرار مطلق للوقائع ليس ارتباطا مباشرا؛ فمن الممكن رفع منزلة التاثيرات الفعلية للواقعة ضمن سياقها وخفض منزلتها أيضا، وذلك بالاعتماد على مقامات يتم تخطيطها تخطيطا ملائما. ولذا يمكننا القول بان التكرار يكون نافعا عند معالجته لعدد كبير جدا من النصوص ولكنه ليس كافيا ولا موثوقا به على اي حال .

٧:٢٠ يعود ما في حساب التكرارات من جاذبية الى ما يتصف به من ايجاز وبساطة. ومن جهة أخرى، يعد اكتشاف توقعات مستعملي النص من المهمات المختلطة والمعقدة (قارن. ٩:٢٤ل) ولا يصرح الناس فعلا بما يتوقعون الا في مناسبات معينة فحسب. ولذا نجد أنفسنا ملزمين بالعمل في الاتجاه المعاكس في معظم الأحوال. وفي وسعنا، بعد تبين الأساليب اللغوية النافعة في الدلالة على التوقعات، ان نقتفي اثارها ضمن قرائن النص. ويقدم لنا النفي توضيحا جليا بهذا الصدد، وهو لا يرد في العادة الا حيث يقوم دافع للاعتقاد بصحة شيء ما عند غياب النفي (٢٠٤،٤١٢،٥٥٥)، وما علينا سوى تعيين حالات النفي وتحليلها من أجل تبين طبيعة أنواع المحتوى المفترضة قبلا (قارن. ٧:٢٨). وتشتمل الاشارات الأخرى على وسائل التضام التي عددناها في (٧:١٨:٤).

٧:٢١ سنقدم توضيحا لهذا المدخل بالاعتماد على النموذج [٣]

[٣][١] يعد "ويلي ب" البالغ من العمر عشرين عاما واحدا من كبار المدمنين لمشاهدة التلفزيون .

[٢] وهو لا يحب الأخبار والمشاهد الكلامية وانما يحب مباريات كرة القدم، ويستبد به الهياج عند رؤية دعايات الأطعمة، وفي بعض الأحيان يندفع مسرعا صوب الجهاز وهو يلوح بقبضته نحوه .

[٣] وفي ذلك يقول أحد الأصدقاء

[٤] انه كالطفل الصغير.

[٥] ان "ويلي ب" هذا هو غوريلا يزن ٤٥٠ باوندا ويقيم في حديقة حيوانات أطلانطا

[٦] وفي شهر كانون الأول الماضي، انتهت الى سمع احد باعة التلفزيون في تنيسى أخبار "ويلي ب" وما يحس به من وحدة ووحشة في حديقة الحيوانات، فرق له وأهداه جهاز تلفزيون .

سنجعل غايتنا هنا فرز فيض التوقعات بحسب ما يمكننا استخلاصه من النص المذكور اعلاه.

٢٢:٧ من العوامل المهمة هنا عامل التعريف، وهو يمثل منزلة كيانات عالم النص التي يمكن التعرف بها والتوصل اليها واسترجاعها. ومن العلامات العرفية لهذه المنزلة في نصوص اللغة العربية، لام التعريف، في حين يحتفظ بعلامة التنكير (التنوين) للكيانات التي بدىء باستثارتها توا. وفي واقع الأمر، يتصف التمييز بين التعريف والتنكير بتعقد أبلغ كثيرا مما ذكرنا، فبعض الكيانات تعد معرفة لعلم كل شخص بها من مثل الشمس والقمر، وقد تكون بعض الكيانات نكرة لأنها عناصر غير مخصصة ضمن صنف من الأصناف، وإن كانت معروفة تمام المعرفة او مذكورة منذ وقت قريب. وفي المقال المذكور أعلاه، نجد لفظة "واحدا" [١] نكرة باعتبارها كيانا مذكورا لاول مرة. ومن جهة أخرى نجد لفظة "جهاز" [٦] نكرة بالرغم من الذكر السابق ل "الجهاز" المعرف في [٢].

٢٢:٧ تشير هذه الاستعمالات الى ان التعريف والتنكير قد تتم معالجتهما بقدر أكبر من الكفاية من خلال التوصل الاجرائي. واذا وقع كيان ما ضمن ذاكرة التخزين النشط كما أوضحنا في (٤:٢)، فان المعرفة النمطية او التعيينية للكيان تكون سهلة البلوغ. وقد يكون التوصل اليها واقعا بالفعل من خلال توسيع الاستثارة (قارن. ٥:١٢) ومن ثم يمكننا ان نتوقع ان يكون "لمدمن التلفزيون" المذكور في [١] "جهاز" مما يضفي التعريف عليه اي "الجهاز" في[٢]. وأما "غوريلا" وان كانت قد ذكرت لأول مرة الا أنها ليست عنصرا عرضيا وذلك لوجود غوريلا وحيد في الحديقة؛ ولذا كان بوسع الكاتب ان يستعمل كلمة "الغوريلا" المعرفة. وأما "جهاز تلفزيون" فلا يقوم تنكيره الا باعتبار ان جزء النص الذي يبتدىء عند "في شهر كانون الأول" يمثل انطلاقة جديدة في النص كما لو كان بداية الجملة الافتتاحية لذلك النص. وفي وسعنا، بالمثل، ان نعود بفكرنا الى وصف "ويلى ب" في الفقرة الأولى ونعتبر "جهاز التلفزيون " هنا في النهاية. ولعل استعمال التنكير يعود الى منظور التتالي الواقعي للحوادث (قارن. ٧:١٨:٢). اذ ان "الاعطاء" قد سبق "الاندفاع" وبذا يكون قد وقع في وقت لم يكن فيه "الجهاز"

معرفا.

٧:٢٤ وفضلا عن التعريف ، يمكننا الاستفادة من تتالي الجمل والتراكيب (قارن ٤:١٥ل). وبالطبع، لا يسبق الجملة الافتتاحية في [١] اية مادة تستند اليها. ويشير وضع "ويلى ب" في موقع المسند اليه (نائب الفاعل) الى أنه سيكون شخصية الموضوعة الأساسية ويقوم هذا الكيان بشغل موقع المسند اليه في تراكيب أخرى أيضا، أربعة منها في [٢] ، وواحد في [٤]. أما المواد الجديدة او التي لم تقرر بعد فتشغل مواقع المسندات في الجمل الست جميعا، وهي مواد تنتظم فيما بينها بوساطة الوصليات (قارن ٤:٢٤ل). وقد ساعدت "وانما" على تمهيد سبيل الانتقال بين المتعارضين وهما "لا يحب" و "يحب" (وصل النقيض)(قارن ٤:٤٥).

٧:٢٥ ومما دعم التقارن في النص استعمال بعض المواد المتوقعة في فقرتين مختلفتين، وبذلك توافر للانتاج والاستقبال تدعيم جزئي على الأقل من خلال توسيع الاستثارة، فنحن نتوقع ان يكون لمدمن التلفزيون رغباته ونفوره، وان يهتاج لبعض البرامج [٢]، ثم ان السلوك المتطرف ازاء "دعايات الأطعمة" أكثر توافقا "مع" طفل صغير " منه مع شخص بالغ في العشرين من عمره [١]. وفور تبيننا ان "ويلى ب" هو غوريلا في [٥] نتوقع ان نستمع شيئا عن الكيفية التي وجد الجهاز بها طريقه الى الحديقة [٦]. إن كانون الأول شهر ملائم لتقديم هدايا عيد الميلاد، وخصوصا ما كان منها يروج لاعمال البيع. وكذلك يتوقع المرء قيام "حياة عزلة" للفرد الوحيد في مجموعة ما .

٧:٢٦ ازاء هذه الخلفية من التضام والتقارن المنظمين تنظيما حسنا يجد منتج النص ان بامكانه عرض مفاجاة ذات شان : إن "ويلى ب" ليس الكائن البشري الذي اقترحته الفقرة الأولى بجميع مكوناتها. والواقع ان تعبير "ويلى ب" نفسه اشارة حاملة لهذا الاقتراح. ففي أمريكا على الأقل، يغلب ان يدل وجود الأسماء الأخيرة على أشخاص وليس على حيوانات؛ ثم ان مصطلحات "مدمن" و"المشاهد" و "قبضه" و "طفل" تشير جميعا الى منزلة بشرية مع اختلاف حظ كل منها في الدلالة. وتعد المقارنة الصريحة بين "ويلى ب" والطفل الصغير لمسة بارزه البراعة

لمقاصد منتج النص. وكذلك يساعد التمييز الذوقي عند "ويلى ب" للبرامج [٢] على افتراض ان يكون بوسعه ادراك محتواها، كما يقتضي اطلاعه على "المشاهد الكلامية" ان يكون فاهما للغة بالطبع. وقد اجتنب الكاتب بمهارة استعمال اية اشارة تشي بمنزلة "الغوريلا" مثل "مخلب" (بدلا من قبضه)، مع ان الاشارات الى العالم لم تتغير. وكذلك يعد استعمال "في العشرين من عمره" استعمالا بارعا، فهي سن كبيرة عند الغوريلا ولكنها معقولة تماما لدى الكائنات البشرية.

٢٧:٧ تفاجئنا الفقرة التالية بسلسلة من التعبيرات يقوض محتواها الاعتقاد الذي بقي متناميا حتى ذلك الحين: "غوريلا يزن ٤٥٠ باوندا ويقيم في حديقة حيوان اطلانطا [٥] والنتيجة المباشرة لذلك هي واقعة ذات اعلامية من الدرجة الثالثة، يتبعها خفض منزلة خلفي (قارن، ٧:١٢). ففي وسع المستقبل ان يعود ادراجه ليجد ان المادة السابقة قد اقتصرت معالجتها على الحالات النمطية لا التعيينية للمعرفة بالكائنات البشرية، وان تكن حالات لا نمطية بالقياس الى الغوريلا . وكذلك تم تمهيد السبيل لخفض المنزلة الامامي بوساطة المادة المصرح بها في الجملة النهائية[٦]. ان الاعمال والمواقف اللانمطية للغوريلا يتجلى امرها في ان عاملا بشريا قد سببها واتاح وقوعها. وهكذا تؤدي حالات خفض المنزلة هذه الى التخلص من الارباك.

٢٨:٧ وقد ادى استعمال منتج النص لتوقعات المستقبلين استعمالا خاصا الى حدوث زيادة ملحوظة في امتاع النص (قارن، ٧:١٢). ولقد كان بوسعه ان يضع الفقرة الثانية قبل الأولى، غير ان فعالية النص كانت ستصبح بذلك أدنى كثيرا (قارن ١:٢٣). وما من شك في ان هذا الأسلوب شائع الاستعمال عند رجال الصحافة، حيث يستلزم الأمر المحافظة على الاهتمام، وان تكن المواقف والحالات المراد تصويرها غير بالغة الأهمية في ذاتها. وفضلا عما سبق، نجد لدى منتج النص دافعية خاصة لاستعمال هذا الأسلوب. ان الموقف في عالم النص السابق يعكس اعتقاد الناس ان بالامكان شفاء عزلة الحيوانات بالاعتماد على التكنولوجيا المستعملة لشفاء عزلة البشر انفسهم. وفي موازاة هذا الاتجاه، نجد في التصوير البارز للغوريلا، المدمنة لمشاهدة التلفزيون الى حد الاندفاع للهجوم على

الجهاز في أثناء عرض اعلانات قصيرة غير ذات شأن (دعايات الأطعمة) - نجد في ذلك اسقاطا للسلوك الطفولي الغريب لدى كثير من مشاهدي التلفزيون من بنى البشر. ويستفيد منتج النص من دفعه ايانا الى الخلط بين الغوريلا والكائن البشري في البرهنة على صحة قياسه والاشارة الى ان تصرفات مشاهدي التلفزيون من بنى البشر هي دون مستوى قدرات البشر وذكائهم؛ اي أنهم سواء والحيوانات التي لا تقوى على فهم ما يدور فيه. وكذلك يستفيد من دفعه ايانا الى استرجاع تلك الرسالة وبنائها بالاعتماد على كثير من الأدلة في جعل دعواه مقنعة بوجه خاص (ر.ف ١:١٦:٧:٢ ٤:٨:٢٠).

٢٩:٧ ان الاستعمال اليومي للاعلامية، كما ذكرنا في البدء، ينطبق أكثر ما ينطبق على المحتوى (قارن ٧:١). وسنتناول الان بالدرس فكرة ذات نفع لعدة أنظمة لغوية تعمل في وضع تفاعل منسق. وستكون العينة التي نختارها هي القصيدة المذكورة في[٦]

[٦] لو سكنت

١ـ ....لو سكنت، كما قلت ، صوتي
٢ـ لكنت اهتديت
٣ـ للطريق، ومعراجها واكتسيت
٤ـ حلة السالكين
٥ـ يشربون الشموس وأبعادها
٦ـ ولكنت ارتويت
٧ـ لو سكنت ، كما قلت ، صوتي
٨ـ وكنت العراقة
٩ـ ومناراتها القزحية
١٠ـ بين ايامنا الورقية
١١ـ وثلوج المسافة ،
١٢ـ ولكنت اهتديت ......

٢٠:٧ ان شكل النص المطبوع على الصفحة يثير توقعا بان نوع النص هو من الشعر، حتى قبل المضي في قراءة النص. فالعنوان الغريب، وشكل الكلمات أحيانا وتوزيع الكلمات في الأسطر والانتظام النسبي في قوافي الأسطر، كل ذلك يسهم في خلق هذا التوقع، كما يؤدي المضي في قراءة النص الى توكيد هذا التوقع لنوع النص.

ومن جهة أخرى، يتضح أيضا ان هذا الشعر مختلف عن الشعر العمودي الذي يتخذ الاطار العام لكلمات النص فيه شكلا مستطيلا متساوي أطوال الأسطر ومتماثلا حول محور، وحيث القوافي (الروى) متطابقة في العادة. او هي أكثر انتظاما على الأقل. ويلاحظ في هذه القصيدة ان للعنوان نفس القافية الغالبة في الفقرة الأولى (تى، او التاء المكسورة)، وهي أيضا ظاهرة في بدء الفقرتين ومنتهاهما، ويؤدي تكررها في الأسطر الثلاثة الأولى من الفقرة الأولى الى توقعنا مثل ذلك في الفقرة الأخيرة، الا أننا نجد في المقابل قافية مختلفة هي الحركة (الفتحة القصيرة) والهاء الساكنه.

ومن حيث التفعيلة. نجد ان القصيدة بتمامها تنتظمها تفعيلة "فاعلن" بتشكلاتها المختلفة، فهي بذلك تنتمى الى أحد الأبحر الصافية (كما ترى نازك الملائكة) (٧١٤) وهو البحر المتدارك (الخبب)، والتشكلات التي تأخذها التفعيلة اثنتان هما: فاعلن ب، وفعلن ب، ويلاحظ ايضا وجود حركة طويلة أحيانا (ـ) في أواخر الأسطر يشدها الوزن نحو السطر التالي.

٢١:٧ نلمح انتظاما في القوافي في الأسطر ١،٢،٣ من الفقرة الأولى، ثم خروجا على الانتظام في ٤،٥ وعودة للانتظام في ٦،٧ وخروجا عليه في ٨،٩،١٠،١١ وعوده اليه في ١٢ ونجد انتظاما خاصا في ٨،٩،١٠،١١ اي بين ٨،١١ وكذلك بين ٩،١٠.

والقافية الأساسية هي تاء مكسورة (مسبوقة (بسكون وفتحه) وترد في معظم الحالات ضمن أفعال ماضية لها نفس الفاعل ولها نفس التقطيع ب وبالرغم من تطابق القافيتين في العنوان والسطر الأخير من القصيدة (القافية الأساسية) الا ان الارتباط بين الفعلين في الحالين هو ارتباط ضدي، اذ أن "الاهتداء" يقترن بالحركة والسعي، في حين يقترن "السكن" بالاستقرار والهدوء، بل ان "اهتديت" في النهاية، بالرغم من مماثلتها لنظيرتها "اهتديت" في الفقرة الأولى، تخالفها في ان توقع

استمرار النص في النهائية، بالرغم من مماثلتها لنظيرتها اهتديت في الفقرة الأولى، تخالفها في ان توقع استمرار النص في النهائية منهما غير متحقق، ويعود هذا كله الى التخطيط المسبق الدقيق من قبل الشاعر.

٧:٢٢ نجد في نحو هذه القصيدة وقواعدها خروجا على المألوف. فالعنوان يمثل جملة شرطية بلا جواب (لو سكنت ....)، والسطر ٧ هو أيضا جملة شرطية بلا جواب . وكذلك نجد تكملة للفعل والفاعل "اهتديت" في السطر الثاني، بخلاف "اهتديت" في السطر الثاني عشر، حيث نجد (....) فحسب. ونلاحظ أيضا اعادة استعمال السطر الأول، اي (لو سكنت، كما قلت، صوتي) في السطر السابع من أجل تدعيم الفكرة الأساسية (الشرط) بالرغم من انه يؤدي الى اضعاف التضام في بنية القصيدة بوجه عام.

٧:٢٣ يمكننا اعتبار القصيدة منقسمة الى شطرين من حيث الشكل برغم ان الشطرين يؤلفان معا جواب فعل الشرط "لو سكنت" في عنوان القصيدة. ويتضح هذا الانشطار في الشكل في وفرة الأفعال ضمن الفقرة الأولى ووفرة الأسماء ضمن الفقرة الثانية، وقد ساعدت اعادة كلمات السطر (١) في السطر (٧) على تحقيق الفصل بين الفقرتين .

٧:٢٤ نلاحظ في الشطر الأول من القصيدة عدم قيام انتظام في شكل اخراج النص الشعرى، بحيث ان البنى القواعدية لا تحدها نهايات الأسطر، كما هو معهود في الشعر العمودي، وفيه يعتبر مثل هذا الخروج، في علم العروض العربي الكلاسيكي، عيبا من عيوب القافية وهو المسمى "بالتضمين" .

فالسطر (٢) هو جواب الشرط الوارد في السطر (١)، ثم ان السطر (٢) يتصل اتصالا وثيقا من حيث القواعد بالسطر (٣)، أما "اكتسيت" في نهاية السطر (٣) فمفعولها يقع في بداية السطر (٤). وكذلك تختلف طبيعة الأفعال في الجمل الفعلية بعضها عن بعض في الشطر الأول المذكور. أما في الشطر الثاني فنجد مماثلة كبيرة حيث تتوالى العبارات (المتماثلة) الخالية من الأفعال وتشغل حيزا كبيرا من ذلك القطاع من النص، وهي : "مناراتها القزحية" و " أيامنا الورقية" و "ثلوج المسافة".

٣٥:٧ نلاحظ في النص وجود فاعلين بمعنى ما أساسيين مختلفين يتمثلان في ضميرين هما المتكلم (ت) وضمير المخاطب (ت). وقد استعمل اولهما للوقائع المتحققة: "قلت" في السطرين (٧،١)، في حين استعمل ثانيهما للممكنات المشروطة: "اهتديت" في السطر (١)، "سكنت" في السطر (٢)، "اكتسيت" في السطر (٣)، "كنت ارتويت" في (٦)،"سكنت" في (٧)، "كنت" في (٨)، "كنت اهتديت" في (١٢). ويؤدى اول الفاعلين دور الموقت لاستهلال أمواج حركة الفاعل الثاني وخمود تلك الحركة .

٣٦:٧ تمتاز الأسطر في الفقرة الأولى من النص بانها متماثلة البنية تقريبا من حيث الطول، مع اعتبار ثنائية التقسيم؛ فالأسطر (٥،٣،١) متقاربة الطول، والأسطر (٦،٤،٢) متماثلة الطول، في حين نجد ان السطر (٧) يشق الاتصال النغمي بين السطرين (٨،٦). ويصبح ترتيب التماثل في الطول مختلفا في الفقرة الثانية حيث يتقارب السطران (١١،٨)، وكذلك السطران (١٠،٩). ويعود بنا السطر (١٢) الى السطرين (٦،٢) معا، بحسب الطول والمعنى والبنية.

٣٧:٧ يدل الاختيار المعجمي في الفقرتين على تخطيط مسبق. ففي حين تحتوي الفقرة الأولى على ستة أفعال هي: سكنت(١)، قلت (١)، كنت اهتديت(٢)، اكتسيت(٣)، يشربون(٥)، كنت ارتويت (٦)، تحتوى الفقرة الثانية على فعل واحد فقط: كنت اهتديت (في نهاية السطر (١٢)، وبذلك يحقق التخطيط المسبق غرضه بابراز الحركة في الفقرة الأولى والسكون في الثانية . وكذلك يتحقق ابراز الذاتية في الفقرة الأولى (الأفعال المقترنة مع ضمير المخاطب) وعالم ما يقع خارج الذات في الفقرة الثانية (الأسماء المخصصة. ويلاحظ أيضا تحقق التغاير بين الفقرتين من خلال المكونات اللفظية المتضاده. شموس (٥) ثلوج (١١)؛ طريق (٢) منارات (٩)؛ معراج(٣) منارات (٩)؛ سالكين (٤) ورقية (١٠).

٣٨:٧ يقدم منتج النص في العنوان "لو سكنت" اطارا للنص غير ان المسكن او المنزل هو اطار غير عادي. فالنزيل المحتمل للمسكن لا يجد نفسه مطمئنا ليأكل ويشرب ويلبس كما يتوقع المرء من أمور مادية ملموسة من كلمة "سكن"، وانما يجد نفسه ازاء شيء، مناقض تماما وهو الصوت

الذي يمثل الحركة، وهي الجانب الآخر من قطعة النقد (السكن). ويعزز ذلك كلمة "السالكين" وعبارة "يشربون الشموس"..... الخ. اما الفقرة الثانية، فتشتمل على اعادة تثبيت للإطار، ولكنه تثبيت بمضامين من خارج اطار "السكن"، وهي "العرافه" "والمنارات" "والثلوج" و "الورقية".

٧:٣٩ ان مفهوم "الصوت" في النص يختلف عن مفهومه المألوف وذلك انه يؤدي الى الحركة في اتجاهات معينة. كما انه يحقق رضى واكتفاء ذاتيين: فهو حامل لرسالة او هو قوة دافعة الى الأمام.

ولاستحالة تطابق الصوت بمفهومه هنا مع مفهومه في العالم الواقعي، نلجأ الى البحث في داخل القصيدة نفسها عن وسيلة لخفض منزلة القطاع الأول من النص، ونجد ذلك في العبارات التي تتلوه والتي تعطيه المعنى المذكور أعلاه، ومسوغات ذلك المعنى.

٧:٤٠ ان التعبير الأول "لو سكنت"، وان كانت التاء توحي لأول وهلة بمخاطبة امرأة كما يفعل الشعراء الغزليون، سرعان ما يتخذ أبعادا مختلفة بالعبارات التالية: صوتي، اهتديت للطريق ومعراجها..... وهي مصطلحات وجد وصوفية نتوقعها من معلوماتنا السابقة عند ادونيس واشعاره، ويمكننا ان نفترض انه يوجه رسالة روحية الى نفوس اثيره لديه (أبناء امته) يستحثها بقوله:

[١٢٤] ان اتباع سبيلي بكل ما تقتضيه من وجد وكد سوف ينقذكم من الرتابة ويجعل منكم شموس عرفان ومحبة.

ويتضح هذا المقصد بعد خفض المنزلة الخارجي المذكور أعلاه مما يلي: (١) المطالبة بسكنى صوت الشاعر (٢) تمثيل المجاهدات المترتبة على ذلك (٣) الالحاح على المطالبة بالسكنى (٤) النتيجة المتوقعة في نهاية القصيدة.

٧:٤١ يتسم العنوان بارتفاع الاعلامية لفقدان مفعول به للفعل "سكنت"، وجواب الشرط كذلك. ويزيد من ارتفاعها الأسطر الفارغة التي تلى العنوان مباشرة. ويتبع هذا محاولة لخفض الاعلامية بتكرار عبارة "لو سكنت"

ووجود مفعول به وهو " صوتي" ولكن خفض الاعلامية في مستوى التضام، يقابله رفع الاعلاميه في مستوى التقارن، فالسكن يكون عادة في البيوت لا الأصوات، وكذلك ما يحدث للاعلامية في جواب الشرط المبتدىء بعبارة "لكنت اهتديت" التي تدل في العادة على الاستقرار غير انها هنا تدفعنا بما يتبعها الى الحركة حتى نهاية السطر (٦) حيث نتوقع انتهاء النص مع الارتواء، وهو اجابة ذات درجة أولى من الاعلامية للشرط "لو سكنت".

ويتعزز هذا التوقع بالأسطر الفارغة التالية للارتواء. ولكن يفاجئنا تكرار الشرط غير المادى (المخالف للارتواء) في السطر السابع، فتعود الاعلامية الى الارتفاع، ويزداد هذا بالأسطر الفارغة التالية، بل ان منزلة جواب الشرط نفسه المتمثل في ارتويت ترتفع أيضا في الأسطر (٨ ـ ١١)، وفي السطر (١٢) نتوقع قراءة اسم بعد "كنت" بحسب العبارات السابقة ولا سيما "كنت العرافه". ولكننا نجدها متلوه بفعل، فنعود ادراجنا الى السطر (٢)، أي أننا لا نسكن ولا نستقر، بل نتوقع ديمومة الاهتداء في كل ان .

٤٢:٧ أشرنا في (٢٨:٧) الى انه في وسع الاستعمال البارع لتسلسل التوقعات ان يسهم في تدعيم مقاصد منتجي النص. فقد انجلى بعض ما بدا بشريا في نص الغوريلا عن شيء غير بشري، أما في نص "لو سكنت" فقد انجلى ما بدا لأول وهله ماديا ملموسا عن تجريدات فكرية وروحية عامة، وكذلك ما بدا انه حوار مع امرأة عن رسالة عامة الى الأمة. وفي كلا النصين استعملت المفارقات لغرض تبين المحاكاه (قارن ١٧:٥) مما يجعل الموقف البشري يتسع لمثل تلك التبصرات. ويتصف نص الغوريلا بانه تقرير اخباري، وبذلك يتوجب فيه الالتزام بما في العالم الواقعى من تنظيم (قارن ١:١٨:٧). أما نص "لو سكنت" فينتسب الى النوع الأدبي، وبذلك يكون حرا في تقديم عالم بديل مختلف اختلافا جوهريا (قارن ٨:٩). ونلاحظ هنا أيضا ان مستقبلي النص يتملكهم الاقناع من خلال اسلوب الحجاج الذي قدموه واعادوا بناءه هم أنفسهم (قارن ٢٨:٧، ٨: ٢٠).

٤٣:٧ نأمل ان تكون مناقشتنا للاعلامية في هذا الفصل قد أثارت على

الأقل بعض القضايا الجديرة بالاهتمام في دراسة النصوص. وقد دافعنا عن ان الاعلامية، وهي مدى الجدة او عدم التوقع في المواد المعروضة، تمارس بعض الضوابط المهمة على انتخاب خيارات النص وترتيبها. والنموذج العادى للاعلامية هو الدرجة المتوسطة التي نسميها بالدرجة الثانية. اما الوقائع من الدرجة الأولى فيمكن ان تحظى برفع المنزلة، واما الوقائع من الدرجة الثالثة، فقد تحظى بخفض منزلتها. وأشرنا الى ان في وسع منتجي النص خلق تسلسل مخطط للتوقعات من أجل الحفاظ على الاهتمام او الوفاء بالمقاصد. كما سعينا الى توضيح دعوانا باستعمال نصين مختلفين. وننهي حديثنا بالقول بان ضوابط الاعلامية هذه ينبغي ان تكون عاملا بالغ الأهمية لدى تحديد استعمال خيارات خاصة في جميع أنواع السياقات ولدى منح الدافعية لهذا الاستعمال.

الفصل الثامن

الموقفيه

١:٨ يمثل مصطلح الموقفية تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف لواقعة ما سواء أكان موقفا حاضرا أم قابلا للاسترجاع (قارن. ١:١٩). ونادرا ما تتحقق تاثيرات مقام سياقى معين بدون حدوث التوسط: اي مدى تغذية المرء، بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي الحالي (قارن. ١:٩). وتتم تغذية النموذج بالقرائن المتيسرة جنبا الى جنب مع توقعاتنا ومعرفتنا السابقة بشان كيفية تنظيم "العالم الواقعي" (قارن ١:١٨:٧). وحين تكون الوظيفة السائدة للنص هي تقديم وصف لنموذج الموقف، دون التوسط، فان هذا يعنى اجراء ما يسمى برصد الموقف. أما اذا كانت الوظيفة السائدة هي توجيه الموقف على نحو موات لأهداف منتج النص فان هذا يعد اجراء ما يسمى بادارة الموقف. وفي الحق ان الحد الفاصل بين الرصد والأدارة بعيد كل البعد عن الوضوح والتميز، ومن الممكن ان يتغير بتغير وجهة نظر كل من المشاركين. وما من شك في أن الناس يفضلون تمويه ما يفعلونه من ادارة، ويحاولون اظهارها بمظهر الرصد، مما يورث انطباعا بان الأمور تسير على النحو المرغوب فى اطار المجرى الطبيعي للأحداث. ومن أمثلة ذلك، ان العمة العانس قد أدارت الموقف مع معشوقها في النموذج [١٠٩](١٦:٦) وهي تتظاهر بانها انما ترصد موقف ابنتي أخيها. ولو تبين في هذه الحالة، او سواها، ان الرصد كان في واقع الأمر عملا شديد التوسط ومخالفا للقرائن المتيسرة لانتهت خطط المشاركين الراصدين الى الأخفاق. وبالرغم من حالات التستر على الخطة في مثل الحالة المذكورة،(١٧:٦) فان التمييز بين الرصد والادارة، من منظور السيادات، يعد أمرا نافعا حقا.

٢:٨ يمكننا ان ندرج ضمن تشكيلات الرصد الواضحة "الوصف المحض" بالمعنى الوارد في اختبارات اوسغود (٤١٢) المشهورة وقد طلب فيها الى بعضهم تقديم وصف لما بين ايديهم من أشياء وحوادث معروضة. وهنا أيضا كانت النصوص اكثر من "محض استجابات" ل "منبهات" المشهد. وأحد أسباب ذلك هو وجود معتقدات ثابتة لدى الناس بشان ما

هو جدير بالملاحظة، أي بانفاق موارد معالجة في تسجيل شيء حاضر والتعرف على هويته. وكثيرا ما تتأثر طرق التعبير عن المادة الملاحظة في النصوص باستراتيجيات الترتيب الطبيعي، كالمنصوص عليها في (٢:١٨:٧). ويقترح ارفنغ غوفمان (٢٠٧) فرز المواقف وتوزيعها في مسالك مختلفة بعضها للأشياء او الحوادث الجديرة بالانتباه وأخرى لغير الجديرة به. ومن أمثلة ذلك، اعتبار بعض الايماءات من متكلم ما ايماءات ذات معنى كالاشارة الى شيء او الدلالة على اتجاه في حين لا تعد بعض الايماءات الأخرى ذات معنى من مثل حك المتكلم جلده بظفره. بيد ان في وسع بعض الحوادث او الأشياء الضعيفة الاحتمال (وبالتالي ذات الاعلامية المرتفعة) ان تتغلب على استراتيجيات الترتيب الطبيعي والقواعد العرفية لتوزيع الانتباه.

٨:٢ يؤلف التكرار المفرط احد الانواع الاساسية للوقائع الضعيفة الاحتمال. كما يتضح من المدخل الاحصائي لنظرية المعلومات (قارن ٢:٧). واذا كرر شخص حاضر شيئا ما باكثر من المالوف، فمن المحتمل ان يؤدي ذلك الى الرصد، ومن الأمثلة على التكرار النموذج التالي من محفوظ عبد العال غانم:

[١٢٥] الخفير:هو مكذا دائما نائم، ودائما يشخر، لا يفيق ابدا من النوم الا عندما يستعد لنوم جديد. (٦٨٥:ص ١٧)

وقد تصحب الرصد، في بعض الحالات، محاولة لتعليل التكرار غير الطبيعي للحوادث او الأشياء او لأبراز نتائج هذا التكرار مما يؤدي الى خفض منزلته، كما في المثال التالي من طه حسين:

[١٢٦] لا أطيل عليك فأمي ثائرة اذا اصبحت، ثائرة اذا أضحت، ثائرة اذا أقبل المساء، ثائرة اذا جنها الليل، ثائرة حتى امتلأ البيت حزنا وسخطا وبكاء. (٦٣٧:ص ٦٤)

وربما استعمل التكرار نفسه لتسويغ ظاهرة ما كما فى النموذج التالى من سعيد تقي الدين :

[١٢٦]أ أم ظريف - قهوة ؟!! خمسة عشر شهرا بدون ان تدفع أجار الغرفة، والان تطلب قهوة؟! والقهوة سعرها بالجو.

وجيه - ما هذا بعذر، القهوة سعرها بالجو،الطحين سعره بالجو الثياب سعرها بالجو،الشعب طائر فى الجو، الوزارة والحكومة بالجو. كلنا بالجو.

ام ظريف - وفنجان القهوة بالجو (٦٢٤:ص ٣٥-٣٦)

ومن الممكن الاستفادة من الرصد ايضا في الدلالة على نقص في الاستمرارية يراد خفض منزلته. كما هو الحال عندما تبدو أفعال الناس غير مسوغة، كما في المثال التالي:

[١٢٧] - ماذا تفعل هكذا فى الظلمة ؟

- أحاول أن أكتب

- أو هكذا يكتب الناس ؟ (٧٢٧:ص ١١٣)

فهنا نجد عملا غير معلوم الدافعية وهو الكتابة في الظلام، مما يثير التساؤل، وتكون الاجابة محاولة لخفض منزلة العمل، ولكنها تستثير رصدا اخر يتمثل في التساؤل بشان الكيفية التي تتم بها الكتابة .

ومن الأمثلة على الحوادث والأشياء التي تستدعي الرصد، الحوادث والأشياء البارزه (اي التي تمثل هذا الطرف او ذاك في تدريج ما)، وقد ينتج عن ذلك خفض منزلة البروز وتحويله الى نموذج متوقع كما يتبين من المثال التالي للدكتور جمال الدين الرمادي :

[١٢٨] تيمورلنك: لماذا تلبس عمامه كالبرج، وأكماما كالخرج؟

(يضحك تيمورلنك)

القاضي : هذا لباس طائفتنا

تيمورلنك: وما طائفتك ؟

ويرى فيلمور (١٧٥) ان البروز يؤثر على شكل اخراج سطح النص، وهنا يجري تخصيص الأشياء البارزة بسهولة لمواقع المسند اليه او المفعول المباشر في جمل اللغة الانجليزية وذلك من أجل وضعها في منظور بارز.

٨:٤ نلاحظ ان بين رصد الموقف على النحو الذي شاهدناه في النماذج السابقة، وبين حل المشكلات كما عولج في (١٧:٣) نوعا من القرابة، ذلك ان منتج النص يلحظ حادثا او شيئا غير متوقع، ويجعل منه موضوعة اساسية لنصه . ولهذا الأمر ناتجان: فاما ان يترك الشيء كما شوهد، أنظر المثال [١٢٥] او تكتشف وسيلة ما لخفض منزلته بحيث لا يبدو معها انتهاكا للتوقعات بالرغم من كل شيء أنظر ([١٢٦] و [١٢٧] و [١٢٨]). وفي ظاهر الأمر، يبدو الناتج الأخير وحده حلا فعليا للمشكلة وذلك لتحقيقه تكامل الواقعة. بيد ان في محض التعليق الذي يقدمه المشاركون على الوقائع غير المتوقعة، اعادة توكيد منهم لمعاييرهم الخاصة، وطلبهم لتوكيدات مماثلة من الاخرين. ومن ثم نجد التوقعات تحظى بالصحة في نفس اللحظة التي تبدو مخفقة فيها لدى مواجهة موقف واقعي.ان مثل هذه العملية تنتسب الى وسائل التفاوض بشان نموذج يحظى بالقبول الاجتماعي، ومعايير ذلك النموذج للواقع (قارن٧:١٨:١). وهكذا يصبح رصد الموقف أمرا قوى الاحتمال كلما قامت عند مختلف المشاركين وجهات نظر متعارضة حول ما يحدث من أمور، ففي المثال التالي من نجيب محفوظ:

[١٢٩] فصرخ الشيخ محمود :

- ذلك الداعر !
- قال العجوز باشفاق لأول مرة :
- كان خادما في البيت الكبير قبل ان تولد .
- داعر ماجن سافل !
- الحق انه اجتهد فصار من المريدين.
- تقطع بانه قواد او منحرف .

- لم يقصد الاساءة صدقني !

- ذلك الوحش الذي يتلذذ بتمزيق الأعراض ؟!

- كان يؤمن بان الطريقة حب خالص فتابع الحب في جميع أحواله !

- ذلك الداعر !

- كان الحب همه الأول والأخير. وامن بان فى قلب كل انسان بذرة

حب الهية مهما يكن من - مساراتها فهي تتجه في النهاية

الى الحبيب الأوحد ! (٧٠٧:ص ٥٠)

من الواضح ان تصرفات احد الشيوخ تواجه نموذجين متعارضين تماما، أحدهما صورة البوهيمي المنحل والاخر صورة الصوفى الباحث عن الذات الالهية. وفي المثال التالي لفتحي رضوان نجد وجهتي نظر متعارضتين احداهما لدى الكهنة الذين يقدسون رئيس الوزراء "زهمو" ويعتبرونه الها من الالهة، والأخرى لدى زهمو نفسه الذي يحاول تحطيم التماثيل المقامة له في المعبد واقناع الكهنة بانه انسان لا علاقة له بالألوهية :

[١٢٩]أ الراهب الثالث : انه زهمو .. زهمو نفسه

الراهب الأول : (يخر على الأرض في حركة تعبد وخوف معا)

لك المجد والتقديس .. لك العلو والخلود.

زهمو (ينظراليه في اشفاق): أيها الأخ... أيها

الراهب قم... قم ... فانا حاكم هذه الدولة ولي خصوم

يلعنوني، ويرجمونني كل يوم بأحط الألفاظ ... لست الها

ولا نصف اله ولا شيئا يشبه الاله.

الراهب الثالث : (يركع ويضع يديه فوق صدره) انه هو...لقد تحققت

المعجزه. (٦٥٣:ص ١٢،١٤)

ان الرهبان يفسرون اقوال زهمو وتصرفاته حسب النموذج الذي كونوه له، خلافا لما يقوله ويفعله من منظوره الخاص. ومن الممكن ان يؤدى التعارض في تصور الموقف الى اتهام احد المشاركين المشارك الاخر بالسخف او الجنون ويمثل هذا احدى الاليات التي تتبع للدفاع عما لدى

المجتمع من توقعات .

٨:٥ يعد الخروج على قرائن الموقف، أمرا مسموحا به في بعض أنواع النصوص، ولا سيما نصوص الروايات التمثيلية. وتحظى الروايات التمثيلية. وهي صنف فرعي من النصوص الأدبية بامتياز خاص بها، ونعنى بذلك عرض تنظيمات بديلة للحوادث والأشياء (قارن. ٨:٩) ويؤدى اسلوب العرض الحر للروايات الى وضع مستقبلي النص في مواقف كثيرا ما يقتضي رصدها درجة عالية جدا من التوسط (بالمعنى الوارد في ٨:١). وفي العادة تقدم نصوص الروايات التمثيلية بيانا تفسيريا مبكرا من أجل تعيين طبيعة التوسط المطلوب ومداه. ولعل النموذج التالى لشكسبير ان يكون أشهر الأمثلة على ذلك وهو مقدمته لمسرحية هنري الخامس :

[١٣٠] تخيل ان هذه الجدران

تحصر بين جنباتها اثنتين من الممالك العاتية

اللتين فرق المحيط الضيق المخوف

بين حدودهما الشاهقة المتصاقبة

فارأب بفكرك ما تراه في أعمالنا من خلل

واجعل من الرجل الواحد الف جزء

واصنع قوى خياليه

واذا تحدثنا عن الخيل، فاجعل فكرك

يريك اثار حوافرها منقوشة على أديم الأرض

فافكارك انت هي التي تجمل ملوكنا

وتجتاز بهم الأمكنة، وتعبر الأزمنة

وتجمع الحقب

في ساعة رمل ! (٦٠٥:ص ١٦٧)

وبالرغم من ان النصوص الدرامية هي نوع فرعي خاص، نجدها تقدم لنا أمثلة توضيحية كاشفة، تبين امكان وقوع التفاوض الذي يمارسه المشاركون في التفاعل الاجتماعي حول قرائن الموقف(٢٠٧).

٨:٦ من الممكن اجراء تبسيط لرصد الموقف وذلك باستعمال الأشكال البديلة، وليس باستعمال الأسماء الدالة على مفاهيم الحوادث والأشياء الحاضرة. ويقترح هاليدي وحسن (٢٤٢) استعمال مصطلح الاشارةالخارجة لهذا الاستعمال (قياسا على مصطلحي الاشارة السابقة، والاشارة اللاحقة،(قارن. ٤:٢٢ل). وليست الاشارة الخارجة اشتراكا دلاليا بالمعنى الدقيق (٤:٢١) وذلك لخلو النص من أية تعبيرات غير الأشكال البديلة. وقد يدافع بعضهم عن وجود تعبير مناظر في التخزين النشط غير منطوق به. ولكن هذه الدعوى خلافية دون ريب .

٨:٧ تنتسب ضمائر المتكلم والمخاطب بطبيعتها الى الاشارة الخارجة، وهي تبرز منتج النص ومستقبله وتشير في بعض الأحيان الى علاقتهما الاجتماعية، ففي المثال التالي من رياض عصمت :

[١٣١] الوزير : (يا ملك الزمان) افهم قصدي ومبتغاي،اني اتدخل لصالحك، فانا اخشى عليكم من الاحتكاك بالسفلة والرعاع، فترون ما تعافه نفسكم الكريمة من رديء الخصال، او تلحق بسموكم اساءة لا تليق بمقامكم العظيم.

الملك : قبل قليل كنت تقسم وتؤكد ان كل الأحوال بخير، وأنه لا فقر هناك ولا نعمه.

(٦٨٢:ص ٢٣،٢٤)

نلاحظ استعمال الوزير في خطابه للملك، خصوصا عند الحديث عن أبعد الطبقات الاجتماعية عنه، لضمير جمع المخاطب "كم" في " عليكم ونفسكم وسموكم ومقامكم".

ومن الممكن ان تدل الاشارة الخارجة على مشاركين اخرين، فضلا عن المنتج والمستقبل، ومن ذلك استعمال ضمائر الغيبه او الكلمات الاشارية من مثل "هذا" و"ذلك"، كما في المثال التالي من محمد الماغوط:

[١٣٢] المهرج : "وهو يشعل سيجاره": هذه.. مسطره.. مسطرة فقط

صقر : أعطني من هذه التي تزيل الهموم (٧٠٤:ص ٨٧)

والمثال التالي من عثمان حلمي :

[١٣٢]أ داوود (يخاطب تيمورلنك ويشير الى سفير اسبانيا "كستيل") هذا هو سفير صديقنا الملك هنري الثالث كستيل

تيمورلنك: ليتقدم قريبا منا لنراه جيدا (٦٤٢:ص ٥٢)

والمثال التالي من القران الكريم :

[١٣٢]ب جهنم يصلونها فبئس المهاد. هذا فليذوقوه حميم وغساق. واخر من شكله ازواج. هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالو النار. (٦٩٢:سورة٣٨:أية٥٦-٥٩)

ويلاحظ في هذه الأمثلة استعمال الأشكال البديلة الاشارية البسيطة من مثل ضمائر الغيبة المسترة او الظاهره، المفردة او المجموعة، بعد استعمال الكلمات الاشارية من مثل هذا، هذه، ٠٠٠٠ أما الاتجاه المعاكس، ونعني به سبق الاشكال البديلة البسيطة للكلمات الاشارية فيبدو غريبا مسرفا في الغرابة وللكلمات الاشارية فائدة اخرى وذلك في استعمالها للاشارة الى موقف لتمامه او الى مجموعة من الحوادث باسرها، كما في المثال التالي من القران الكريم:

[١٣٢] ان هذا لهو الفوز العظيم (٦٩٣:سورة٣٧:أية٦٠)

فهنا تدل الكلمة الاشارية "هذا" على طائفة من المواقف المحببة في الجنه والمواقف البغيضة المقابلة لها في النار.

٨:٨ كنا في (٨:١) قد اقترحنا استعمال مصطلح ادارة الموقف للدلالة على استعمال النصوص في المقال من أجل توجيه دفة الموقف صوب اهداف المشاركين. ولاحظنا كذلك ان الحد الفاصل بين الرصد والادارة هو حد غير واضح المعالم، وان أفضل طريقة لوصفه انما تكون بوساطة

السيادات. وأشرنا أيضا الى ان الرصد يجرى فى العادة عند اخفاق الموقف فى مجاراة التوقعات،مما يجعل الهدف الأول لمنتج النص هو حل مشكلة الفجوات المفارقات او هو اعادة توكيد توقعات المرء على الاقل (٨:٤) وتشتمل الادارة على اهداف عليا من الطراز الذي شهدناه في المحادثة بين العمة العانس والسيد توبمان• (قارن ٦. :١٦ل) ومن امثلة ذلك ان الاهداف تمهد السبيل لقيام قدر كبير من التوسط عند وجود ارصاد متباينة كل التباين للحادث، او الموقف نفسه كما هو الحال في الخلاف بين معاوية بن ابى سفيان وعلى بن ابي طالب حول مقتل عثمان كما يرويه العقد الفريد

[١٢٤] وكتب معاوية الى على:اما بعد، فانك قتلت ناصرك، واستنصرت واترك، فايم الله لارمينك بشهاب تزكيه الريح ولا يطفئه الماء. (٦٧٧:ج٤:ص ٣٢٤)

[١٣٥] فاجابه على: أما بعد، فوالله ما قتل ابن عمك غيرك وانى ارجو ان الحقك به على مثل ذنبه واعظم من خطيئته. (٦٧٧:ج٤:ص ٣٢٤)

من الواضح ان كلا الطرفين لا يمكن ان يكون على حق هنا، وان هدفيهما جليان تماما مما يجعل الادارة تهيمن على الرصد بوضوح.

والمثال التالي من القران الكريم اكثر حسما بهذا الشان :

[١٣٦] هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فان كان لكم كيد فكيدون. ويل يومئذ للمكذبين . (٦٩٣:سورة٧٧:اية٣٨-٤٠)

ان وصف الموقف هنا يجري من منظور احادى هو منظور العقاب، الذي يطغى فيه التهديد بالعنف على كل تصور اخر للموقف .

٨:٩ تدفعنا مثل هذه النماذج الى الاستنتاج بان في وسع المرء استكشاف ادارة الموقف استكشافا نافعا فى اطار نظرية الخطة (قارن. ٦:١١ل). ويقتصر تطوير الخطط ذات التكوين الثابت، والتي تدعى المدونات

أحيانا، على المواقف التي يتطلب الأمر ادارتها على نحو آلي في مجتمع معلوم (قارن. ٦:٤١ل). أما في غيرها من المواقف، فان على المشاركين ان يتكيفوا مع طائفة من العوامل المتغيرة وان يموّنوا أهدافهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا. وفي وسعهم ان يستعرضوا نصوص المشاركين الاخرين من أجل التعرف على أهداف هؤلاء(٣). وفي وسعهم كذلك الاكتفاء باهداف "حالات الغياب" بافتراض ان سيكون عند أغلب الاخرين نفس ما لهم من أهداف. وإذا كانت الموارد أضيق من ان تفي باهداف كل مشارك ومشارك، فمن الممكن ان يتوقع المرء حدوث الصراع آنذاك (٥٧٤) وكما يتضح من المثالين [١٣٥]،[١٢٤] تؤدي الأهداف المتضاربة الى صراعات حول كيفية رصد الموقف او الحادث ذاته .

٨: ١٠ ما دام الكثير من الأهداف يتعذر الحصول عليه من خلال اعمال فاعل واحد فحسب، فلا بد إذن من ان تشتمل ادارة الموقف على "التفاوض على الهدف" : ونعني بذلك طرق الحصول على رضى الاخرين وتعاونهم. وقد ناقش شانك وابلسون (٤٧٨) طائفة من "خزائن الخطط" التي تحتوي على خطط كثيرة الاستعمال في حالات التفاوض على الهدف. وقد تكتفي بتوجيه محض طلب للاخرين بان يقوموا بعمل ما او ان يقدموا لك شيئا ما. وقد تقوم باثارة موضوع متكرر (تعني الاثارة الحدث المقالي الذي يذكر ما سبقت المعرفة به، وذلك خلافا للاعلام بشيء جديد (قارن ٤:٤٥) ويعنى الموضوع المتكرر ذلك الموضوع الذي يتكرر في أجزاء مختلفة من المقال) من مثل الصداقة الدائمة او الولع بشيء تود الحصول عليه. وقد تقوم باعلام الناس بالمسوغ (٨:١) لضرورة تعاونهم معك (او استثارة ذلك المسوغ اذا كان معروفا لديهم من قبل). وربما قمت بالمساومة وذلك بان تعدهم بصنيع تكافئهم به، او باعطائهم شيئا يودون الحصول عليه. أما اذا فشلت هذه الأحداث المقالية جميعا (١١:٦) ففي وسعك عندئذ توجيه التهديد اليهم او اكراههم او سرقة ما تريده منهم. واذا تحرك صاحب الخطة نزولا باطراد في هذه القائمة صوب الأفعال المتطرفة، ففي وسعنا عندئذ اطلاق مصطلح تصعيد خزانة الخطط على هذه العمليات، ومن الممكن ايضا ان يقع هذا التصعيد في اطار خزانة خطة وحيدة فحسب. ان في وسعك طرح الطلب او الموضوعه المكررة المستثارة، او المسوغ الاعلامي بقدر أكثر تفصيلا.

وفي وسعك اجراء مساومة بان تعرض مكافات اكثر او اشياء ذات قيمة أكبر. وكذلك يمكنك ممارسة التهديد المطرد باجراء افعال اكثر عنفا، او زيادة حدة الاكراه باستعمال اسلحة اكثر دمارا وفتكا.

٨:١١ تشتمل خزانة الخطط، مثلهامثل سائرالاجراءات على عملية مقايضة. فمن واجب المخطط تحقيق توازن بين الجودة (السهولة والجهد الادنى) والفعالية (أكبر الفرص للنجاح) بحيث يكون ملائما للموقف وادوار المشاركين ايضا (قارن ١:٢٢). وفي حين يتصف الطلب والاستثارة والاعلام بالسهولة وأنها لا تقتضي اي انفاق خلا الانفاق على موارد المعالجة اللازمة لانتاج النص ، نجد ان المساومة في المقابل تلزم المرء بانفاق الموارد المادية غير انها تقدم حوافز اكبر في كثير من الحالات (وان كان من المحتمل ان تسبب الاساءة الى أقرب اصدقائك عند التلميح بانهم لن يهبوا للمساعدة دون جزاء ولا شكران)، ومن جهة أخرى نجد ان التهديد والاكراه والسرقة تلزم المرء بانفاق جهود جسمانية غير انها تعرقل استمرار التفاوض ، وعيبها الفعلي هو انها تجعل الهدف غير مستقر(٥٧٤) ويعود هذا الى ان الناس كثيرا ما يسعون الى الانتقام او الى استعادة ممتلكاتهم. ويجد المرء عند كثير من المجتمعات اجراءات عرفية تستعمل لعرقلة اللجوء الى خزائن الخطط المتطرفة من اكراه وسرقة. وفي حين يتصف التهديد بانه اسهل في تنفيذه واخفائه الا انه بالغ الاشكالية في مقابل ذلك(٧). وفور الامتناع عن الامتثال لا يجد القائم بالتهديد طائلا في تنفيذ وعيده، ويبقى الهدف، في العادة، بعيدا عن التحقيق مثلما كان. واذا لم يؤمن الذين هددتهم بمصداقيتك في تنفيذ التهديد، فلا غناء عندئذ في قدرتك أو عجزك ان هدفك سيكون مستعصيا على التحقيق.

٨:١٢ واذن يكون تصعيد خزانة الخطط استجابة طبيعية للفشل المستمر أحيانا وكذلك لتعدد المستقبلين وتنوعهم أحيانا أخرى، غير ان من الضروري ابقاءه ضمن حدود معينة. وقد اقترح ويلنسكي (٥٧٤) نمذجة فهم الحاسب الألكتروني للقصص بحسب المعرفة المتصلة بالتصعيد. وفى الايات التالية من سورة التغابن:

[١٣٧] فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا، والله بما تعملون خبير. يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم. والذين كفروا وكذبوا باياتنا اؤلئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير. (٦٩٣:سورة٦٤:آية٩،١٠)

نجد تصعيدا في الخطة يمر صعدا من محض الطلب الى المساومة الى التهديد. ان معرفتنا بالخطط والأهداف تكفي لتحديد ضمائر الغيبة (الظاهرة والمستترة).

وفي النموذج التالي، من سورة الحج، نجد تصعيدالخطة ينتقل من الطلب المحض الى التهديد دون المرور بالمساومة:

[١٣٨] يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. (٦٩٣:سورة٢٢:آية١،٢)

٨:١٣ سنحاول الأن تقديم وصف لادارة الموقف في اطار التصعيد والتفاوض اللذين خطط لهما. وسنسعى بالاعتماد على محادثة ذات أهداف مخططة الى استخلاص بعض الاستراتيجيات المعقولة لأدارة الموقف، ونحن لا نزعم بان هذه الاستراتيجيات صالحة للعمل في جميع الحالات او انها تغطي جميع الأحداث المقالية التي يتصورها الذهن. ان تنفيذ اية استراتيجية منها يمكن ان يحدث في مدى من النصوص الممكنة بل في أعمال غير لفظية كذلك. وتعد ملاءمة الاستراتيجيات للموقف الواقعي مثالا من أمثلة التعلق الاجرائي كما عرفناه في (١٩:٣).

٨:١٤ سيكون نصنا التوضيحي هو المشهد المشهور في مغامرات توم سوير (٥٤٤) عندما طلب الى توم دهان سياج في يوم سبت. اي في الوقت الذي يرغب فيه كل الرغبة في التنزه وقضاء وقت الفراغ في المتعة والاسترخاء. ومن المعلوم انه ليس ولدا مجدا، وقد زاد الطين بله أنه سيتعرض لمتاعب اضافية وعنت شديد اذ يرى غيره من الأولاد يمرون

في الشارع بقرب السياج متجهين لممارسة هواياتهم من رياضة وغيرها وهنا نبدأ باللحظة التي شرع توم فيها بالدهان.وقد مر به ولد مجاور وهو"بن":

[١٢٩] [١-] بعد ان حدق بن هنيهة قال :

[٢-] اوه ! عمل شاق .. اليس كذلك ؟

[٣-] ولم يجب توم

[٤-] بل اخذ يتامل اللمسة الأخيرة من فرشاته بعين الفنان.. ثم أجرى فرشاته بلمسة اخرى، وتامل النتيجة كذلك.

[٥-] وتقدم "بن" حتى وقف الى جواره

[٦-] وكان لعاب توم يتحلب شوقا لتفاحة "بن"

[٧-] غير أنه واصل العمل.

[٨-] وقال "بن" :

[٩-] مرحبا يا صديق .

[١٠-] الا مناص من العمل ؟

[١١-] واستدار توم فجاة وقال :

[١٢-] عفوا هذا أنت يا "بن" ، انني لم أرك !

[١٣-] اصغ الى..انني ذاهب للسباحة ..

[١٤-] الا تود لو انك تمكنت من ذلك؟

[١٥-] لعلك تفضل العمل بالطبع،أليس كذلك؟ بلى، بالطبع تفضل العمل.

[١٦-] تامل توم الولد قليلا ثم قال :

[١٧-] ماذا تعني بقولك العمل ؟

[١٨-] عفوا، اليس ذلك عملا ؟

[١٩-] واستانف توم الدهان،

[٢٠-] واجاب في غير اكتراث

[٢١-] أجل، قد يكون عملا او غير ذلك،

[٢٢-] كل ما أعرفه هو

[٢٣-] انه يلائم توم سوير.

[٢٤-] أوه .. لعلك لا تعني محبتك لهذا العمل .

[٢٥-] واستمرت الفرشاة في حركتها . ،

[٢٦-] محبتي له

[٢٧-] انني لا أرى سببا مانعا لها.

[٢٨-] وهل تسنح الفرصة لفتى مثلى بدهان سياج في كل يوم؟

[٢٩-] وأدخلت هذه العبارة تغييرا جذريا في الموقف [٣٠-] فتوقف بن عند سماعها عن قضم تفاحته .

[٣١-] وأخذ توم يحرك فرشاته برشاقة جيئة وذهوبا، ويتراجع الى الوراء لتامل النتيجة،ثم يضيف لمسة هنا وأخرى هناك، ويتفحص النتيجة كرة ثانية.

[٣٢-] وكان بن يرقب كل حركة يراها ويزداد شغفا وتعلقا واستغراقا.

[٣٣-] وسرعان ما قال :

[٣٤-] توم، دعني اجرب الدهان قليلا.

[٣٥-] فكر توم في ذلك

[٣٦-] وكاد يوافق بن،

[٣٧-] ولكنه تراجع وقال :

[٣٨-] لا.. لا .. اعتقد ان ذلك غير ممكن يا بن

[٣٩-] فالعمة بولى تولى هذا السياج اهتماما خاصا لمواجهته الشارع كما تعلم، ولو انه كان السياج الخلفيّ لهان الأمر علي وعليها.

[٤٠-] أجل، انها تولى هذا السياج اهتماما خاصا

[٤١-] لا مندوحة عن دهانه ببالغ الحرص والعناية

[٤٢-] وما أظن ان ولدا من بين الف ولد بل من بين الفي ولد يقدر على القيام بهذا العمل على النحو الصحيح.

[٤٣-] أحقا هو كذلك ؟

[٤٤-] اصغ الى يا توم

[٤٥-] دعنى أحاول،

[٤٦-] ولو قليلا

[٤٧-] لم أكن لاعارض طلبك لو كنت مكانك يا توم.

[٤٨-] يا أخي، انني اود تحقيق طلبك

[٤٩-] غير ان العمة بولي.

[٥٠-] لقد اراد جيم دهان السياج ولكنها رفضت ذلك

[٥١-] واراد سيد دهان السياج ايضا ولكنها لم تاذن لسيد به.

[٥٢-] الا ترى مبلغ الحرج الذي اعاني منه الان؟

[٥٣-] فلو حاولت انت دهان هذا السياج ووقع خطا ما.

[٥٤-] لا ...، محال..ساحرص كل الحرص على ان تجري الأمور على ما يرام.

[٥٥-] دعني أحاول يا توم.

[٥٦-] وساعطيك قلب تفاحتي .

[٥٧-] اه، اذن .

[٥٨-] لا، يا بن، لا

[٥٩-] انني خائف

[٦٠-] ساعطيك التفاحة كلها

[٦١-] عندئذ ناوله توم الفرشاه وهو يتظاهر بالاحجام ، وان كان ما يظهر، خلاف ما يبطن . (٦٠٥:ص ١٧٢،١٧٣)

٨:١٥ يتصف الموقف هنا بانه اكثر احكاما بلا نزاع من نظائره في النماذج التي درسناها حتى الان ؛ وخلافا للمحادثة التى دارت بين السيد توبمان والعمة (في ٦:١٦ل) لا يقوم لدى المشاركين فى هذا المشهد ميل سابق للتعاون. ومن أجل تحقيق توم لهدفه الخاص في الاسترخاء بدلا من العمل، يتوجب عليه ادارة الموقف بحيث يشرع "بن" في اعداد هدف مصطنع الاستثارة، وهو الرغبة في الدهان. وفي حين كان قصارى المتوقع من السيد توبمان هو قبول بعض المعتقدات، يتوجب على "بن" بذل جهود بدنية كبيرة لا يبذلها بمحض ارادته واختياره في العادة. ولذا يستلزم الأمر ان يكون التفاوض المناظر بالغ الأحكام وحسن التخطيط.

٨:١٦ ان الخطوة الأولى التي تتخذ لاستهلال موقف تفاعلى هي ملاحظة كل مشارك من المشاركين للاخر، وذلك بالمعنى الوارد في (٨:٢). وفي النموذج السابق نجد "بن" يحدق هنيهة الى توم [١] قبل بدء المحادثة.ويوضح النص الاستهلالى [٢] احدى الاستراتيجيات الشائعة:

الاستراتيجية١ :

استعمل رصدا ما للموقف من أجل البدء بالمقال .

ومن الأمثلة البالغة الشيوع في هذا الشان الاستهلال بملاحظة عن حالة الطقس، وهي ملاحظة ضعيفة الاعلامية، ففي وسع أغلب الناس ان يروا

بانفسهم حالة الطقس، الا ان من المستبعد وقوع تضارب فى الاراء (قارن ٨: ٤). ومن الممكن رفع منزلة الرصد في مثل هذه الحالات بافتراض ان تعقب الملاحظة واقعة أوفر حظا من الاعلامية، وفي المثال التالي من اسماعيل فهد اسماعيل يبدأ الشرطي حديثه للمتهم الذي يجلس معه في سيارة الجيب بحديث الشرطي عن بعض الظواهر المألوفة في السوق:

[١٤٠] الشرطي : "الازدحام شديد في هذه الشوارع"

المتهم : "...."

الشرطي : "سنصل مبنى المديرية بعد دقائق"

المتهم : "...."

الشرطي : "انت صامت !"

المتهم : "...."

الشرطي : بانزعاج : "انت أخرس ؟!"

المتهم بدهشة : "نعم؟!"

الشرطي : "لماذا أنت صامت ؟"

المتهم : " وماذا أقول ؟"

الشرطي : "يبدو عليك الخوف، انت تخشى مواجهةالكلب" (٦١١:ص ١٤)

نرى في هذا النموذج كيف بدأ الحوار بالحديث عن أمور مبتذلة غير ذات اشكالية، مثل ازدحام المارة فى السوق، وقرب مبنى المديرية، وانتهى بالموضوع الاساسي الذي يفكر فيه كلا المشاركين في الحوار وهو الكلب البوليسي الذي سيعرض عليه المتهم .

٨: ١٧ يغلب على نص الرصد الاستهلالي الذي قدمه"بن" توسط كبير نابع من نظريته الخاصة عن العمل (قارن ٨: ١)، قارن ذلك بالصيغة التالية:

[١٣٩-٢]أ " لا بد من ان تدهن هذا السياج، اليس كذلك ؟"

ان الرصد المتصف بالتوسط بكون اشكالي الطابع اذا لم يشاطر المستقبلون وجهة نظر منتج النص (قارن ٦: ١٨)، ولهم عندئذ عدد من الخيارات.

الاستراتيجية ٢ :

اذا كان رصد شخص اخر مخالفا لوجهة نظرك الخاصة فلا تاخذ به، وفي وسعك:(أ)ان ترفضه علىالفور او (ب) ان تضعه موضع التساؤل او (ج): ان تهمله او (د) ان تستبدل به رصدك الخاص .

وقد يعتمد انتخاب احد الخيارات من أ الى د اعتمادا جزئيا على طبيعة السيادة الاجتماعية بين المشاركين وعلى معدل التصعيد الذي تستدعيه خطتك. ولعل المشارك ذا السيادة العالية وغير الراغب في التصعيد ان يلجا الى أسلوب الرفض الفوري (أ) وفي المثال التالي لتوفيق الحكيم :

[١٤١] السكرتير: يقول بعضهم ان هناك اشاعة سرت في الديوان عما ستتجه اليه الحركة... ويلتمسون عرض مخاوفهم ...

الوزير : ما هذا الهراء ؟! أعند الوزير متسع من الوقت لسماع الاشاعات وتبديد المخاوف؟ .. قل لهؤلاء الموظفين ان يتركوا هذه الخرافات والوساوس وينصرفوا الى أعمالهم

السكرتير: أمر معالي الوزير ! "يخرج" (٦٣٩:ص ٥٩٨)

نجد الوزير يرفض على الفور النظر في التماس عرض مخاوف موظفي الديوان معتمدا على مركزه بالطبع .

بيد ان عدد المواقف التي ينصح فيها باستعمال الرفض الفورى ليس كبيرا، وأكثر ما يشيع استعماله منها هو بين الجماعات الوثيقة الصلة حيث لا يتوقع المشاركون اساءة جديه لهم، ومن أمثلة ذلك :

[١٤٢] هراء، غير معقول

[١٤٣] مستحيل، غير ممكن

[١٤٤] ماذا دهاك؟ هل جننت ؟ (٦٠٥:ص ١٧٤)

أما في الجماعات الأخرى فان التفاوض الأكثر التواء يتم التعبير عنه باستعمال خيار التساؤل. ومن أمثلة ذلك ؟

[١٤٥] هل أنت متاكد ؟

[١٤٦] وما سبب هذا الاعتقاد ؟

[١٤٧] أليس للأمر تفسير اخر ؟ (٦٠٥:ص ١٧٥)

٨:١٨ يقتضي هدف توم تعاونا قائما على الرضى من قبل"بن"، ولذا يتعذر عليه احتواء خيار الرفض (أ) من الاستراتيجية ٢ في خطته. وبدلا من ذلك يختار توم البدائل الثلاثة المتبقية وهي: التساؤل بشان الرصد [١٧] واهمال الرصد [٣] والاستبدال اخيرا [٢٦-٢٨-]. ولخيار الاهمال تناسب خاص مع مرحلة استهلال المحادثة، وذلك لان بوسع المرء الادعاء دائما بانه لم يلاحظ المشاركين الاخرين، وبذا يتمكن من تفادى اتهامه بالسلوك غير المهذب . وبناء عليه يعتبر امتناع توم عن الاجابة في [٢] تحقيقا منه للاستراتيجية٢ (ج). وكذلك ينسجم هذا الخيار مع الموضوع المتكرر الذي يستثيره عدة مرات فيما بعد : ان الدهان نشاط عسير وفيه مهارة، وهو يتظاهر بالاستغراق البالغ [٤] وان انتباهه غير متاح للمحادثة (ر.ف ٧:١). ان هذه الحالة تستهدف رفع منزلة النشاط ونقله من الطابع الممل المبتذل الى منزلة النشاط النادر القيم بالفعل.

ومن أجل البت بشان الوقت الذي يجرى فيه رفع المنزلة، تستعمل الاستراتيجية العامة التالية :

الاستراتيجية ٣:

اذا اردت ان تشجع التصعيد لخزانة الخطط، فارفع منزلة الشيء او الحادث الذي يطلب منك تقديمه او القيام به .

ولهذه الاستراتيجية دور ناجح وبارز في المثال الذي نحن بصدده على الأقل .

٨:١٩حين تحقق "بن" من ان رصده لم يحظ بالملاحظة، ذهب ليقف الى جوار توم [٥-] وذلك ليجعل تلك الملاحظة امرا اكثر احتمالا، وما يلاحظ، فى واقع الأمر، هو التفاحة التى معه، مما جعل توم ينشىء هدفا فرعيا وهو "احصل على التفاحة" [٦-] ويعنى هذا الهدف الفرعي تحسين الفرص لتوكيد ذاته في مجرى التفاعل . ويلجا "بن" الى استعمال

استراتيجية أخرى وهي :

الاستراتيجية ٤:

اذا لم يحظ رصدك بالقبول. فاستبدل به صيغة أقل توسطا.

وتستند هذه الاستراتيجية الى افتراض ان يغلب على المشاركين الميل الى الاتفاق عندما يجارى النص القرائن المتوافرة بقدر كبير. ولذا نجد "بن" يكرر التحية [٩-] ، فلعلها لا تكون قد لوحظت، وبعدئذ يستبدل برصده السابق [٢-] صيغة أقل توسطا [١٠-] وهنا يرغب توم في ملاحظة "بن" [١١-] دون قبوله للرصد الأقل توسطا فهو انما يريد صيغة توسط تتصف باتجاهها صوب خطته الخاصة ويتابع توم موضوعه المتكرر الذى رفعت منزلته وذلك بزعمه انه لم يكن "يلاحظ"، ومن الممكن تعليل ذلك باعتقاد انه كان مستغرقا في أعمال الدهان [١٢-].

٢٠:٨ أما بعد مضي المحادثة في سبيلها، فان "بن" يقوم برصد خطته وموقفه [١٣-] وفي الملاحظة التالية [١٤-] ما يدل على اتباع الاستراتيجية التالية (ر.ف ٨:٩).

الاستراتيجية ٥:

اسقط مالك من رغبات واهداف على المشاركين الاخرين، الا اذا اشارت القرائن الى خلاف ذلك .

وعندما اطمان "بن" الى رأيه الخاص، افترض ، مجانبا للصواب، ان تكون لدى توم وجهة نظر تعتبر ذات حظ ضئيل من الاحتمال [١٥-] ونراه يجيب عن المسالة التي طرحها بنفسه (أليس كذلك ؟ بلى بالطبع تفضل.) مما يؤكد سخفه وحماقته. وهنا ينتقل توم الى خيار التساؤل (ب) في الاستراتيجية ٢[١٧-] ويطبقه مصحوبا باستراتيجية أخرى هي:

الاستراتيجية ٦:

اذا لم يتحقق الانسجام بين ارصاد المشاركين فاتجه الى مناقشة معنى مفاهيم الموضوعة الاساسية ذات الصلة.

وفي المثال : يقوم "العمل" بدور مفهوم الموضوعة التي يراد التفاوض بشانها، اي العمل باعتباره وصفا "مقترحا" لنشاط توم الحالى [١٨].

وليس في وسع توم القيام بالرفض الفوري لهذا المفهوم من الاستراتيجية ٢أ لأن هذا سيعرض مصداقيته للمخاطر، ولذا نجده يترك مسالة تطبيق المفهوم مفتوحة تماما، باستعماله كلمة "قد" للتعبير عن الامكانات المختلفة [٢١].

ومن الاستراتيجيات الملائمة لمثل هذا التكتيك :

الاستراتيجية ٧:

اذا لم يحظ رصدك المتجه الى خطة بالتصديق ، فلا تطور ذلك الرصد، ولكن لا تلزم نفسك باستعمال الرصد المضاد .

ان أحدا لن يقوى على مناقضة رصدك، ما دام توكيد هذا الرصد غير معطى للاخرين. ويبدو ان اقناع مستقبلي النص يكون أكثر سهولة،اذا قاموا هم أنفسهم بتزويد المحتوى او استنتاجه (ر.ف ١:١٦،٧:٢٨،٤٢).

وقد استانف توم قبلا عمله في الدهان [١٩] وكانه لا يقوى على مفارقته واحتمال الحرمان منه لحظة واحده! وهو يقتصر على توكيد ان هذا النشاط "ملائم له"، وذلك كل ما يهمه معرفته من الأمر [٢،٣]. ان استعماله لاسمه الكامل بدلا من الشكل البديل (الياء) يمكن اعتباره دليلا على ان الدهان لائق لدوره الاجتماعي بوجه عام .

٨:٢١ حان الان دور "بن" في تطبيق خيار التساؤل من الاستراتيجية ٢، وذلك لأن فكرة "محبة" توم للعمل [٢٤] لا تنسجم مع الاستراتيجية ٥، ولا مع المعرفة العامة حول ميول توم. ان استجابة توم [٢٦-٢٧] تتبع صيغة معدلة للاستراتيجية ٧:

الاستراتيجية ٨:

اذا امكن ان يتعرض رصدك للرفض، فلا تطوره مباشرة، بل اطلب من الاخرين تقديم مسوغات لاعتباره أمرا غير معقول.

وهكذا نجد توم يعلن عجزه عن العثور على مسوغ مانع لها اي "محبته"[٢٧-] وهو يمضي في سبيله لرفع منزلة مهمته بوصفه اياها بانها لا تتيسر الا في مناسبات نادرة [٢٨-] ان اختيار توم للتعبيرات يدعم رفع المنزلة وذلك عندما يشير الى ان تلك المهمة "فرصة" للاستمتاع وليست عملا اليا مملا.

٨:٢٢ وفي وسعنا التحقق من ان ارصاد توم، خلافا لنظائرها عند بن، قد اتسمت جميعا بسيادة الادارة (ر.ف ٨:١). فقد نجح توم في وضع الموقف في ضوء جديد [٢٩] وهو يتظاهر في الوقت نفسه بانه لم يكن يفعل شيئا خلا الرصد للقرائن المتيسرة. وكانت نتيجة هذا كله هي وفاق الاهداف(٥٧٤) اذ اتفق كلا المشاركين على قيام "بن" بالدهان. ومن قبل كان "بن" قد ركز اهتمامه بشدة على حركات توم [٣١-٣٢] مما جعله ينسى موضوع أكل التفاحة [٣٠] (قارن. تعريف "الاهتمام" في ٧:١). أما حركات توم المعقدة والبارعة [٣١] فكان القصد منها اعادة الاثارة لموضوع رفع المنزلة (ر.ف ٨:١٨) بالاعتماد على محاكاة الفنانين [٤-].

٨:٢٣ يدفع"بن" الى الأمام بهدفه الحديث الاعداد بالاعتماد على الطلب [٢٤-]. وقد كان في وسع توم هنا ان يسلمه الفرشاة وبذلك يحقق هدفه الأساسي، غير ان ذلك سيؤدي الى الغاء هدفه الفرعي وهو الحصول على التفاحة الذي أعده في وقت مبكر من المشهد (ر.ف. ٨:١٩). ولذا نراه يتبع الاستراتيجية ٢ من أجل تدعيم التصعيد، ومن الممكن اعتماد الاستراتيجية الخاصة التالية لذلك :

الاستراتيجية ٩:

اذا كنت راغبا في بعض الأشياء او الصنائع من الاخرين، فارفض طلباتهم، وموضوعاتهم المكررة المثاره ومسوغاتهم الاعلامية، الى حين بلوغ التصعيد في خزانه الخطط مرحلة المساومة.

ويستلزم الأمر تطبيق هذه الاستراتيجية بعناية بالغة، وذلك لتفادي وقوع ناتجين غير مرغوب فيهما وهما:أ) ان يتخلى الاخرون عن أهدافهم على الفور وب) ان يتجاوز التصعيد مرحلة المساومة ويصل الى حد العنف .

ان من الضروري تقييم المرء لدرجة التحمل عند الاخرين والمدى الذي يرغبون ضمنه في متابعة اهدافهم، ومن الممكن ان يستعمل المرء الاستراتيجية المناظرة التالية:

الاستراتيجية ١٠:

امنع وقوع التخلي عن الهدف او التصعيد المتطرف، وذلك بتبنى عدم الحسم في الرفض.

وقد دل توم على عدم الحسم هذا بما قدمه من ايماءات او تعبيرات وملامح [-٣٥، -٣٦، -٦١] او منطوقات [٣٨-، ٣٩-، ٤٨-، ٥٢-، ٥٣-، ٥٧-، ٥٨-، ٥٩-].

٨: ٢٤ يلجأ توم في تزويد الدافعية لرفضه الأولي لطلب "بن" الى اثارة الموضوعات والاعلام لمسوغات حيث كان لمسوغ الأول لديه هو اهتمام العمة بولي البالغ بظهور سياج على امتداد الشارع أمام منزلها [٣٩-].

ان هذا التكتيك الذي سيعاد استعماله مرة أخرى (ر.ف ٨: ٢٦) يبدو ممثلا للاستراتيجية التالية:

الاستراتيجية ١١:

اذا اردت رفع منزلة مساهمتك وتوجيه التصعيد في اتجاه صفقة جيدة، فعليك باجراء اعلام او اثارة لوجهات نظر الاخرين ممن يكونون غير حاضرين ولا تتعارض وجهات نظرهم مع وجهة نظرك، كيلا تبدو تصرفاتك داله على الجشع او غير مسوغة.

وتدعم وجهة نظر العمة، التي يدعيها توم، الموضوعة التي أصبحت واضحة تماما وهي البراعة والمقدرة الفنية اللازمتان لدهان السياج(٨: ١٨).ومن أجل تحقيق المزيد من التأثير، يتابع توم حديثه معتمدا على التكرر [٤٠-](ر.ف. ٤: ١٢ل) واعادة الصياغة [٤١-] (ر.ف. ٤: ١٨) للمادة التي عرضها من قبل.

ويبلغ توم الأوج عند مقارنته نفسه (ولد واحد) بالف او بالفين من الأولاد الأقل كفاءة [٤٢-] وتشير هاتان النسبتان العدويتان الى جسامة الأبعاد التي تقتضيها الصفقة.

٨: ٢٥ لو أن توم قدم ادعاء مماثلا لماورد في [٤٢-] في وقت مبكر من المحادثة، لمواجهة "بن" بالرفض القاطع دون ريب. غير ان التطوير الدائب للموضوعة المصعده، ادى الى ان يقتصر رد فعله على التشكك اللحظي فحسب [٤٣-، ٤٤-]، ثم يعود الى طلبة المقرون بقيود جزئية

[٤٥-، ٤٦-] . ومن الممكن اتباع الاستراتيجية التالية في مثل هذه الحالة:

الاستراتيجية ١٢ :

اذا اردت تدعيم التعاون، فاعمد الى خفض منزلة الانفاق من الزمن والموارد التي يتوجب على الاخرين منحها من أجل تطوير هدفك .

٨: ٢٦ يمكن ان يجمع الحدث المقالي [٤٧-] التالي الذي قام به "بن" بين موضوع مستثار" (ان بن وتوم صديقان قديمان) و "مسوغ اعلامي" (ان يكون توم كريما فيفعل ما يفعله الاخرون في ظروف مماثلة). ويسير توم على هذا النهج باتخاذه دور المغيث التواق لازالة العوائق القائمة في سبيل تحقيق هدف "بن". وبالرغم من ميل توم لاسداء المعونة لبن نجده يرتد الى موضوعه ذي المنزلة المرتفعة، ويحقق ذلك هذه المره بمقارنة نفسه مع شخصين معروفين (جيم وسيد) بدلا من الاف المجهولين وفي ذلك المزيد من تحقيق الاستراتيجية (ر.ف.٨: ٢٤) . وهنا يستعمل التكرر ايضا من أجل التعزيز، مع تعبير توم عن خبرة جيم وسيد بالفاظ متطابقة او متقاربة [٥٠-، ٥١-] ويساق بن الى افتراض ان الدهان سيرفع منزلته بالقياس الى منزلتي جيم وسيد. ومن هنا ينطلق توم مرة أخرى الى رفع منزلة موضوعه بالاشارة الى احتمال "وقوع خطا ما" اذا قام ولد أقل موهبة بمحاولة دهان السياج [٥٢-].

٨: ٢٧ لقد صمم توم احداثه المقالية جميعا، بالطبع، من أجل دفع "بن" الى مساومته حول التفاحة. وقد بقي "بن" بعض الوقت بدون انفعال، فاعاد طلبه بقدر من العناية مماثل لما عند توم [٥٤-، ٥٥-]. وأخيرا عرض له ان يقدم صفقة [٥٦-] وان لم يكن قلب التفاحة هو الهدف الذى يسعى اليه توم وبناء على ذلك نجد توم يرتد الى استعمال الاستراتيجية ١٠، ويظهر تردده بالموافقة في البدء [٥٧-] ثم رفضه بعدئذ [٥٨-]. وعندما استانف الموضوع المتكرر الذي رفع منزلته، وأصبح مبتذلا [٥٩-] قاطعه بن (الذي سئم مما سمع بالطبع) وعرض عليه صفقة مصعدة هي التفاحة الكاملة [٦٠-] ولما حقق توم هدفه الاساسي وهدفه الفرعي كليهما أبدى موافقته أخيرا، دون ان ينسى التظاهر بالضيق من

خلال تعبيرات الوجه وملامحه [٦١-] وبذلك استطاع المحافظة على موضوعه حتى اللحظة الأخيرة. ولعل الابتهاج البالغ عند توم سيوقظ "بن" في اية لحظة وينبهه الى مدى احكام الخطة المدبره وتصميمها. وقد أدى الانطباع القوى المؤثر الذي خلفه نجاح خطة توم، الى ان يثبتها ويجعل منها مدونة يمارسها على كل من يمر به من الأولاد ممارسة دائبة، ولو لم تنتبه مادة الدهان لانتهى الأمر الى افلاس جميع اولاد القرية!

٢٨:٨ خصصنا هذا الفصل لوصف بعض الطرق المهمة المتبعة لتحقيق الترابط بين النصوص والأحداث المتتالية ولتطبيق تلك الطرق ايضا. وتتصف هذه الترابطات بانها بعيدة عن ان تكون محض انعكاسات للقرائن التي يدركها الوعي في الموقف وحده. وبدلا من ذلك نجد للتوسط تاثيرا كبيرا على محتوى النص ، مما يبعده، في العادة، عن القرائن بحسب ما للمنتج من وجهات نظر ومعتقدات وخطط وأهداف. ومن الممكن الا تعتمد تقبلية النص على صحة "اشارته" الى "العالم الواقعي" بل على "مصداقيته" و "وثاقة صلته" بوجهة نظر المشاركين نحو الموقف. وكذلك تبنينا وجهة النظر القائلة بامكان اعتبار الأحداث المقالية تحققات للاستراتيجيات عامة في الرصد والادارة لجميع أنواع مواقف الاتصال والتفاعل بين الناس.

الفصل التاسع

النصوصية

١:٩ كنا قد ادخلنا مصطلح النصوصية في (١:١ ٢١ل) لتندرج تحته الطرق التي يعتمد فيها انتاج نص ما واستقباله على معرفة المشاركين بغيره من النصوص. ويمكننا تطبيق هذه المعرفة من خلال معالجة تعتمد على التوسط (اي مدى تغذية نموذج الموقف الاتصالي عند شخص ما باهداف ذلك الشخص ومعتقداته الحالية) (قارن ٨:١): وكلما اتسعت الشقة بين استعمال النص الحالي واستعمال النصوص التي واجهها المرء من قبل وزادت نشاطات المعالجة ازداد حجم التوسط. ومن الامثلة التي تساق لتوضيح التوسط الواسع، تطوير "انواع النصوص" واستعمالاتها، وهي اصناف من النصوص يتوقع المرء اشتمالها على بعض السمات التي تخدم اغراضا معينة. ويكون التوسط اقل كثيرا عند اقتباس المرء من نصوص مشهورة معينة واحالته اليها، من مثل الخطب المشهورة او المؤلفات الادبية الذائعة الصيت. بل ان التوسط يصبح ضئيلا للغاية في بعض النشاطات من مثل الرد على نصوص اخرى او نقضها او روايتها او تلخيصها او تقييمها، على النحو الذي نجده في المحادثة بوجه خاص.

٢:٩ تنطوي مسألة انواع النصوص على تحد بالغ لدراسة النماذج اللغوية اي تصنيف العينات اللغوية وتكوينها النظامي، وفي اللغويات القديمة، اقيمت دراسات انماط للاصوات والاشكال لهذه اللغة او تلك (قارن ٢:١٩). ومنذ وقت قريب، انصرف الاهتمام في اللغويات الى دراسة انماط الجمل. وهناك مدخل آخر يعتمد على انشاء دراسات انماط تعتمد على مقارنة النشاطات بين اللغات ذات التكوين المتماثل(٤٥٨). بيد ان جميع دراسات الانماط هذه مخصصة للانظمة الافتراضية، وهي ما تشتمل عليه اللغات من امكانات مجردة، في حين ينبغي ان تهتم دراسات أنماط النصوص بالانظمة الواقعية التي فرغ فيها من اتخاذ القرارات والخيارات قبلا (قارن. ١٢:٣). وتكمن الصعوبة الكبرى لهذا المجال الجديد في ان كثيرا من الأمثلة المتحققة لا تتجلى فيها السمات الدقيقة او الوافية لنمط مثالى معين. ومن الممكن ان تؤدي مقتضيات سياق الحوادث الى ادخال تعديلات على المطالب او التوقعات ذات الصلة بنص ما، وربما

طغت تلك المقتضيات عليها طغيانا واضحا (قارن. ٧:١٨:٧). واذا كان المنظور اوسع من ذلك فان الفروق بين الانماط المثالية للغة والوقائع الفعلية تصبح بالطبع بارزة في جميع الاحوال. ومن امثلة ذلك ان قضايا علم الاصوات العام ما زالت غير محلولة من خلال تكوين دراسات انماط الفونيمات. وفي الحق أن لأية مجموعة معينة من اللغات اشكالا خاصة من الانماط المشتركة بينها(٥٠٩).

٣:٩ عقدت في عام ١٩٧٢، ندوة في جامعة بيلفلد بالمانيا لدراسة انواع النصوص (٢٣٥). غير ان المحاولات التي بذلت لتطبيق مناهج اللغويات التقليدية او تحويلها لمواجهة الحاجات الخاصة لدراسة انماط النصوص قد باءت بالفشل. ففي وسعنا ان نعد نسب الأسماء والافعال وغيرهما، وان نقيس طول الجمل وتعقيدها (٢٨٩، ٢٢٠)، دون ان نقدم بذلك تعريفا للنمط ومن اللازم معرفة كيفية نشوء هذه السمات واسبابه. إن التحليل اللغوي الاحصائي من هذا القبيل ينطوي على اهمال لوظائف النصوص في الاتصال، وفي متابعة الاهداف البشرية. ويستلزم الامر، فيما نظن ، ان نقيم ارتباطا بين هذه العوامل من جهة، وبين النسب اللغوية من جهة اخرى(٤٨٧).

٤:٦ يقدم سيغفريد ج. شميدت (٤٨٧) تصورا لقيام امكانين اساسيين لدراسة انواع النصوص. ففي وسع المرء ان يبدأ بالانواع التقليدية للنصوص باعتبارها اشياء خاضعة للملاحظة، ثم يحاول ان يعيد تكوينها بالاعتماد على نظرية في النصوص تتمتع بالاتساق. وفي وسعه ان يبتدىء بنظرية في النصوص تعين انواعا نظرية منها لمقارنتها مع النماذج التجريبية. ويبدو لنا ان من المتعذر، لأي علم للنصوص بصفتها نشاطات بشرية، ان يتخلى عن انواع النص التقليدية التي يستعملها الناس وسائل استكشاف في اجراءات الانتاج والاستقبال. واذا تبين ان دراسة الانماط التي تكونها تتصف بالاختلاط وعدم التميز فان ذلك لا يعدو ان يكون انعكاسا للوضع القائم في الاتصال الفعلي فحسب.

٥:٩ يستلزم الأمر اقامة ارتباط بين دراسات انماط النصوص. وبين دراسات انماط المواقف والاحداث المقالية. وما لم يتم تقدير الملاءمة بين نوع

تحديد وسائل التمسك بمعايير النصية ومداه. ومن امثلة ذلك ان مطالب التضام والتقارن لا تكون ذات درجة عالية من الالتزام في المحادثة (قارن. ٦:٢ل). في حين يحتفظ بها بقدر اكبر من الشمول في النصوص العلمية(٢٧٤). اما في النصوص الشعرية، فيمكن اجراء اعادة تنظيم للتضام وفقا لاصول غير عرفية (قارن. ٩:٩). ان من شأن عرض هذه الانماط المختلفة في مقامات غير ملائمة ان يلحق قدرا من التلف او الاختلال بالاتصال.

٩:٦ يمكننا تعريف بعض انواع النص المقررة تقليديا تعريفا يقوم على اسس وظيفية، اي بحسب اسهامات النصوص في التفاعل البشري. ويمكننا في الاقل ان تعين بعض السيادات، وان لم يتضمن ذلك الحصول على تصنيف فئوي دقيق لجميع الأمثلة التي يتصورها الذهن. وبذا تكون النصوص الوصفية تلك النصوص التي تستغل لاثراء الفراغات المعرفيةالتي تتالف مراكز التحكم فيها من اشياء او مواقف. وكثيرا ما يجد المرء هنا تكررا لعلاقات تصورية من مثل الخواص والحالات والامثلة والتخصيصات، وفي سطح النص تنعكس هذه الظاهرة في هيئة كثافة مناظرة في المخصصات، ويعد الاطار اشيع الانماط الكلية المطبقة في هذه الحالة (قارن. ٥:١٦؛٧:٢٨). واما النصوص القصصية فهي النصوص التي تستغل لتنظيم الاحداث، والحوادث في تركيب تتابعي معين. وهنا نجد تكرارا لبعض العلاقات التصورية من مثل السبب والمسوغ والغاية والاتاحة والقرب الزمني (٢٢٠،٣١،٥٢٦). وفي سطح النص تنعكس هذه الظاهرة في هيئة كثافة لحالات الاتباع. ويعد المخطط اشيع انماط المعرفة الكلية المطبقة هنا (قارن. ٥:١٦؛٩:٢٥ل). واما النصوص الجدلية، فتستغل في دعم القبول او التقييم لبعض الافكار او المعتقدات بصفتها صحيحة/ خاطئة او ايجابية/ سلبية، وهنا نجد تكررا لبعض العلاقات التصورية من مثل المسوغ، والدلالة الرمزية، والارادة، والقيمة، والتقابل، وفي سطح النص كثيرا ما نجد هنا وسائل تضام من اجل التوكيد والالحاح من مثل التكرر والموازاة واعادة الصياغة على النحو الذي رأيناه في (٤:١٦ل). وفي هذه الحالة تعد خطة الاقناع بالمعتقدات اشيع انماط المعرفة الكلية المطبقة (قارن.

١٦:٥؛ ١١:٦؛ ١١-١٦؛ ٧:١٨:١).

٩:٧ تعالج المقترحات السابقة الاستعمالات والسمات النمطية لانواع النصوص، وقصارى امرها تقديم وسيلة استكشافية عامة في الاكثر. غير اننا نجد في كثير من النصوص مزيجا من الوظائف الثلاث: الوصفية والقصصية والجدلية، ففي (١٦:٤) يجد المرء اكثر من وظيفة متحققة وان كانت الوظيفة الجدلية هي اظهر هذه الوظائف جميعا. إن ادراج نص ما ضمن هذا النوع او ذاك يعتمد اعتمادا واضحا على وظيفة النص في الاتصال وليس على شكل اخراجه في ظاهر النص فحسب .

٩:٨ تشتمل النصوص الادبية، فضلا عن ذلك، على تشكيلات متنوعة من الوصف والقصص والجدل، ولذا يستلزم الامر وجود محكات تمييزية اخرى، ولعل اشمل تعريف للنص الادبى هو: النص الذي يرتبط عالمه بعلاقة بدلية مع الصورة المقبولة "للعالم الواقعى" (قارن. ٧:١٨:١). والقصد من هذه البدلية هو تزويد المرء بالدافعية من اجل التبصرات في تنظيم "العالم الواقعي" ليس بصفته شيئا معطى موضوعيا، بل بصفته شيئا ناشئا عن التفاوض والتفاعل والمعرفة الاجتماعية، وفي كثير من الحالات تشتمل عوالم النص الادبية على اختلافات تزيد من حدة وعينا بالمفارقات القائمة في النموذج المقبول اجتماعيا للعالم الواقعي (قارن. ٤: ١٩؛ ٧: ٤٠؛ ١٠: ١٦). بل ان النزعات الادبية من مثل الواقعية والطبيعية والفن الوثائقى وفيها يعتنى بجعل عالم النص موازيا للعالم الواقعي تستفيد من هذا القصد بتزويدنا بالدافعية لاستخلاص التبصرات. وهنا ما يزال عالم النص غير واقعي. وهو في الاغلب، نموذج رؤية بديلة للواقع. وانما يعد النص ادبيا بقدر ما يسود هذا القصد فيه قصد النقل التقريري للحقائق (٩:١٠).

٩:٩ بناء على ما سبق، تكون النصوص الشعرية تلك الفئة الفرعية من النصوص الادبية، التي يجري فيها توسيع البدلية بحيث تشتمل على اعادة تنظيم الاستراتيجيات من اجل اسقاط الخطط والمحتوى على سطح النص. اي أن تضام النص الشعري يتم جزئيا بالاعتماد على المقابلة مع تضام انواع النصوص الاخرى وجزئيا ايضا بحسب الاعراف ذات الصلة

بالنوع الخاص للنص (قارن. ٧: ٢٠ل). وكنا في الفصل السابع قد اخذنا انفسنا باظهار كيف ان تحقيق توالي التوقعات او تعرضها للخيبة والفشل امران يتحكم بهما التنظيم المفصل لسطح النص. ولذا نجد القصد من الوظيفة الشعرية هو تزويد الدافعية من اجل التبصرات في تنظيم التعبير بصفته امرا قابلا للتفاعل والتفاوض. وليس من الغرابة في شيء، ان كثيرا من النصوص الادبية التي لا تظهر في قائمة القصائد، نجدها تنتفع بالوظيفة الشعرية في توكيد طبيعة المقال عن العالم الواقعي، القابلة للتفاعل والتفاوض (قارن. ٩: ٨).

٩: ١٠ يمكننا استجلاء النصوص الادبية والشعرية بمقابلتها مع انواع النصوص التي يقصد منها الى زيادة المعرفة عن "العالم الواقعي" المقبول في الوقت الحاضر وتوسيع تلك المعرفة كذلك. وتحقق النصوص العلمية هذه الغاية في محاولتها اجراء استكشاف او توسيع او توضيح لما يختزنه المجتمع من معرفة في مجال خاص من مجالات الحقائق (بالمعنى الوارد في (٧: ١٨: ١١) ويتم ذلك بعرض الادلة المستقاة من المشاهدات او الوثائق او اختبار تلك الادلة. وفي الحق ان النصوص التعليمية لا تتجاوز حدود المخزون المعرفي الحاضر لدى المجتمع، وانما يقتصر امرها على توزيع المعرفة المقررة على جمهور غير متخصص او أخذ في التعلم من مستقبل النص. ويقتضي مثل هذا المقصد عرض خلفية من المعرفة اكبر قدرا واكثر وضوحا وصراحة مما هو مألوف في اطار النصوص العلمية.

٩: ١١ غير ان هذه البداية المتواضعة لدراسة أنماط النصوص هي ايضا بعيدة عن المباشرة والوضوح، فما تزال مجموعات النصوص وسماتها مختلطة الواحدة بالاخرى. ومن الممكن ان نجد تشكيلات وظائف، ذات درجات سيادة مختلفة، تتصف بانها بالغة الدقة والتعقيد. بل ان من الممكن تحويل نص مفرد من نوع الى آخر بالاعتماد على وسيلة خاصة لعرضه، ومن امثلة ذلك، الامر الذي اصبح شائعا في هذه الايام وهو "العثور على" قصائد وذلك بنشر ما ليس بقصائد في مقام ادبي" (٤٢٤). ولا بد من ان يكون رد فعل معالجة المستقبلين للنص مختلفا كل الاختلاف عنه في حال ظهور النص في المقام الاصلي. ان مسالة انواع النصوص، شأنها شان

غيرها من المسائل تتخطى الطرق اللغوية التقليدية (٩:٣)، وتندمج في ظروف اوسع نطاقا وهي استغلال النصوص في التفاعل البشرى، وفي الحق ان "نوع النص" يمثل طائفة من طرق الاستكشاف لانتاج وقائع النصوص والتنبؤ بها ومعالجتها، وهو بذلك يقوم بدور المحدد البارز للجودة والفعالية والملاءمة (بالمعنى الوارد في ١:٢٢). بيد انه ليس في وسع النص تعيين حدود فاصلة مطلقة بين العناصر المنتمية اليه وغيرها من العناصر باكثر مما يقوى على تقديمه مفهوم "النص" (ر.ف. ٢:٨). ان احوال الاتصال هي ببساطة اكثر تنوعا من ان تتيح قيام مثل هذا التقسيم الدقيق الى فئات.

٩:١٢ تشتمل النصوصية على مسألة اخرى وهي"الاستشهاد بالنص" اي الطرق التي يستعملها الناس في الانتفاع بالنصوص المشهورة او في الاحالة اليها(٩:١). وفي وسع منتج النص، مبدئيا، ان يستشهد بأي نص سابق متيسر له، غير ان النصوص المشهورة، هي من الناحية العملية، اكثر مناسبة وملاءمة. ويعود هذا الى سهولة تيسر وصول جمهور المستقبلين اليها. وقد تبعد الشقة الزمنية بين انتاج النص الاصلي وانتاج النص اللاحق بعدا هائلا.

ومن اهم الاشكال التي يتخذها التفاعل بين النصوص، والتي حظيت بالدراسة الموسعة لدى علماء البلاغة والنقد العرب المعارضات الشعرية، والسرقات الشعرية والاقتباس والتضمين، وسنكتفي هنا بمعالجة الموضوع الاول اي المعارضات الشعرية ضمن هذه القضية من قضايا النصوصية.

٩:١٢:١ تعد قصيدة البوصيري (ت ١٢٩٥م) البردة ومطلعها:

[١٤٨] أمن تذكر جيران بذى سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم (٦٢٢:ص ٢٣٨ل)

تعد مثالا بالغ الاهمية للنصوصية في تاريخ الشعر العربي، فقد "كثر تشطيرها وتضمينها وتخميسها وتسبيعها وتعشيرها ومعارضتها(٦١٧).

ومن القصائد التي اعتمدت قصيدة البردة في الوزن والقافية والموضوعات وتسلسل هذه الموضوعات نهج البردة لاحمد شوقى (ت ١٩٣٢م).

[١٤٨]أ ريم على القاع بين البان والعلم

احل سفك دمي في الاشهر الحرم (٦٧١:ج١:ص ١٩٠)

فالقصيدتان من البحر البسيط، ولهما نفس الروى (الميم المكسورة)، والموضوع في كلتا القصيدتين هو مدح الرسول، وتشترك القصيدتان ايضا في تسلسل الموضوعات الجزئية وهي (١) النسيب (٢) التحذير من هوى النفس (٣) مدح الرسول (٤) الكلام عن مولده ومعجزاته (٥) التوسل والمناجاة. ونلاحظ ايضا اشتراكا بينا في الصور والتعبيرات عند كل من البوصيري وشوقي. ومن الامثلة على ذلك :

أ) البوصيري :

وبات ايوان كسرى وهو منصدع

كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم

شوقي :

ريعت لها شرف الايوان فانصدعت

من صدمةالحق لا من صدمة القدم

ب) البوصيري :

وانت تخترق السبع الطباق بهم

في موكب كنت فيه صاحب العلم

شوقي:

جبتِ السماواتِ او ما فوقهن بهم

على منورة درية اللجم

قصيدة احمد شوقي :

[١٤٩] قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا (٦٧١:ج١:ص ١٨٠)

وقصيدة ابراهيم طوقان (ت ١٩٤١)م)

[١٤٩]أ شوقي يقول وما درى بمصيبتي
قم للمعلم وفه التبجيلا
ويكاد (يفلقني) الامير بقوله
كاد المعلم ان يكون رسولا
لو جرب التعليم شوقي ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
اقصر فديتك هل يكون مبجلا
من كان للنشء الصغار خليلا (٦٧٤:ص ١٤٤)

١:٣ وتشتمل النصوصية كذلك على معارضات من نوع اخر الا وهو استعمال شاعر للشكل الشعري اي الوزن والقافية لقصيدة شاعر اخر دون ان يتطابق موضوعا قصيدتهما ومن ذلك قصيدة عنترة (ت / ٦١١م) والتي مطلعها:

[١٥٠] اذا كشف الزمان لك القناعا
ومد اليك صرف الدهر باعا
فلا تخش المنية واقتحمها
ودافع ما استطعت لها دفاعا (٦٦٩:ص ١٠٢)

ومعارضة علي خليل حمد التي مطلعها:

[١٥٠]أ إذا جلب لك الزمان لك الصداعا

وان شاهدت جسمك قد تداعى

عليك بحبة من اسبرين

ترى المكروب قد ولى وضاعا (٦٤٣)

٩:١٢:٤ يجد المرء شكلا اخر من اشكال النصوصية، في الشعر العربي، في الاقتباس المنهجي الذي يتمثل في التشطير والتخميس (ر.ف ٩/١٢/١).

ومن انواع التشطير المهمة التشطير في اعجاز البيوت . كما في المثال التالي من نفح الطيب

[١٥١] لعينيك قل ان زرت افضل مرسل

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا

بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٧١٣:ج٥:ص ٥٢)

فهذه القصيدة لابن جزي (ت ١٢٥٦) تستند الى معلقة امرىء القيس (ت ٥٤٠ م؟) التي مطلعها:

[١٥١]أ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٦١٦ :ص ٨)

ومن انواع التشطير الشائعة ما يكون الشاعر قصيدته بوساطته بان يكون صدر البيت في قصيدته من قصيدة أخرى، وعجزه منه، ثم يكون صدر البيت التالي من نظم الشاعر، وعجزه عجز البيت الذي اختاره من القصيدة الأخرى وهكذا ومن أمثلتة تشطير عبد الغني النابلسي للبيت:

[١٥٢] رأيت خيال الظل اكبر عبرة
لمن هو في علم الحقيقة راقي

وذلك بقوله:

[١٥٢]أ رأيت خيال الظل اكبر عبرة
يلوح بها معنى الكلام لاحداقي

وفي كل موجود على الحق اية
لمن هو في علم الحقيقة راقي (٧٢٤:ص ١٤١)

١٢:٩ يجد المرء النصوصية سائدة، باقل قدر من التوسط، في المحادثة. ومن قبل كنا قد استكشفنا بعض الطرق التي يقوم تنظيم المحادثة فيها على القصدية(١٦:٦ل) والموقفية (١٢:٨ل). غير ان ايا من هذين العاملين لا يقوى على تقديم وصف كامل لهذه الظاهرة، فمن الضرورى ان يكون النص ذا صلة بغيره من النصوص في المقال ذاته، والا يقتصر الامر على مقاصد المشاركين ومقام الموقف فحسب . ويجب ان يجري كذلك اختيار الموضوعات الاساسية وتطويرها وتحويلها. وقد تستعمل النصوص لرصد غيرها من النصوص والادوار والمعتقدات التي تتضمنها تلك النصوص (٤٢٥ ،٤٢٦). ويكون الرصد محتمل الوقوع، بوجه خاص ، حين يبدو النص مخالفا لبعض الاعراف كالتي ذكرناها في "مبادىء سلوك" المحادثة المذكورة في (٩:٦ل).

١٤:٩ تبرز موضوعة اساسية ما في المحادثة نتيجة لكثافة المفاهيم والعلاقات التي تشتمل عليها عوالم النص المكونة للمحادثة. ومن ثم، يمكن ان يقتصر النص المفرد على موضوعات اساسية ذات طابع احتمالي فحسب، وذلك الى حين وقوع المزيد من التطوير(٤٧٦) واغلب الظن ان تقرير المشاركين ما هو جدير بالقول حول موضوعه اساسية ما، يتضمن اخذهم اعلامية الاسهامات الاحتمالية بعين الاعتبار. اما الجوانب الاكثر ملاءمة للتطوير في موضوعة اساسية فهي تلك الجوانب التي تشتمل على المشكلات والمتغيرات، اي الاشياء التي لم يفرغ من تقريرها لكونها

عرضة للصعوبات او التغيرات . ويمكننا التحدث على غرار غرايس في مبادئه السلوكية فنقول: "تابع في الموضوعه الاساسية المطروحة، تلك الجوانب التي تعتبرها اشكالية او متغيره". ويمكننا التمثيل لبعض تطبيقات مبدأ السلوك المذكور بالاعتماد على "الاحاديث القصيرة" التي يقتصر المشارك فيها على القيام برد فعل على حادث او موقف سبق التعبير عنه في هيئة موضوعة اساسية (٤٧٦). وكثيرا ما يطرح المرء مسألة لاحقة، تكون صلتها بعالم النص السابق علاقة قائمة بين مفاهيم من النوع الذي ذكرناه في (٥:٢٦) وفي المحادثات القصيرة التالية المأخوذة من بعض القصص والروايات التمثيلية المعاصرة نبين نوع المفهوم بوضعه بين قوسين:

(٧٢٦:ص ٧٩)

[١٥٤] - الم يعد للتفكير في ماضيه المجهول؟

- لا وقت عنده لذلك، غير انه قال لزوجته مرة انه ربما لو عادت اليه ذاكرته لوجد نفسه ابنا لمليونير! ولكنها سخرت منه قائلة انه يحلم بالكنز مثل ابيها.

- متى في تقديرك يرجع للتفكير في اصله.[زمن ل] (٧٠٧:ص ٢٣٢)

[١٥٥] - لم تر اجمل منها قط.

- كيف اصطدتها يا علي الحوات؟ [معرفة ل]. (٧٢٦:ص ٣٩)

[١٥٦] - كنت في مكان ما واستحال علي الاتصال بأحد

- اين كنت؟ [مكان ل] (٧٠٧:ص ١٩٤)

[١٥٧] ـ لم يدخل واحد من الرعية القصر قبلك يا علي الحوات.

ـ ولم ذلك؟ [سبب ل] (٧٢٦:ص ٤١)

لقد طلب تحديد قيم بعض المتغيرات في [١٥٣]،[١٥٤]، فمن المعلوم ان مدلول الشكل البديل هو احد المتغيرات في التضام (قارن.٤: ٢٩). ومن الضروري استرجاعه اذا اصبح غير متيسر التناول في ذاكرة التخزين النشط والزمن ايضا هو احد المتغيرات في التقارن، وذلك لأن قليلا من الحوادث والمواقف يقع في لحظات محددة. اما في [١٥٥]،[١٥٦]،[١٥٧] ، فقد اثيرت بعض المشكلات، اذ ان كيفية اصطياد السمكة التي تغرق كل ما عداها جمالا أمر جدير بالمعرفة [١٥٥]. وكذلك يكون الموضع الذي يستحيل الاتصال بأحد منه مكانا جديرا بالتساؤل [١٥٦] واخيرا نجد ان استحالة دخول احد من الرعية في القصر امر يستدعي طرح الاسئلة عن المسببات له[١٥٧].

٩:١٥ كثيرا ما تؤدي النصوص الى اثارة اوثق صلة بالغرض منها بالمحتوى في عالم النص . واذا بدا ان المشاركين ينتهكون الاعراف الاجتماعية او اصول المحادثة او اذا بدت مقاصدهم ومعتقداتهم متعارضة او غير ذات دافعية وهما حالتان تثيران المشكلات فان المشارك الأخر قد يلجا الى الرصد انذاك. وتحدث الاثارة ايضا حين يرغب المشارك الراصد في تصحيح الموقف واسترجاع التناسب معه (قارن ٨:١). و سنقدم فيما يلي امثلة لبعض الحالات النموذجية من هذا النوع.

٩:١٦ يقع الرصد عند عرض النصوص اذا تعرضت الاعراف الاجتماعية للاهمال كما في المثال التالي من ميراث العار:

[١٥٨] صبحية: حماك الله من الدين.انت فقط مغتصب حقوق، ومزور عقود.

الاخ: لا ترفعي صوتك بالوقاحة هكذا، ونحن في المضيفة على الطريق. (٦٨٦:ص ٣٥)

وكذلك في المثال التالي من العقد الفريد:

ويحدث الرصد كذلك اذا بدا ان المشارك لا يولي قدرا كافيا من الاهتمام للعرض كما في المثال التالي من جريمة المسرح:

[١٥٩] محمود : (بعد فترة من الصمت) بالمناسبة..وقبل ان اذهب ـ هل قابلت الممثلة الجديدة؟

امينه : (ساهمة لا ترد).

محمود : امينه .. هل تسمعينني؟! (٦٤٤:ص ١٠١)

ويحدث الرصد كذلك اذا بدت دافعية العرض غير مسوغة في الموقف كما في المثال التالي من جثة على الرصيف:

[١٦٠] المتسول : هل غادرت بيتك منذ زمن طويل يا حضرة الشرطي؟

الشرطي : اي سؤال ؟

المتسول : لا شك ان البيت دافيء جدا هذه اللحظة (يوحوح الشرطي)(٧٣٠:ص ٨٦)

واخيرا يمكن ان يتوجه الرصد الى اسلوب العرض وليس الى محتوى النص ، كما في المثال التالي من تيمورلنك الاعرج:

[١٦١] جاسر : هذا كذب في كذب، ان المؤمن بحق وطنه لا يكون محموما وان المطالب بحريته وحرية قومه لا يكون مجنونا.

القائد : دع عنك هذه الاساليب الخطابية. (٦٥٥:ص ٦٠)

وكذلك في المثال التالي من ميراث العار:

[١٦١]أ: الاخ : الفجر يكون بعد الظلام عند طبعية الاوضاع، وسلامة النيات، ولكن ظلامك لن يكون بعده الا الفجور، والتمادى في الفجور، والتفنن في الفجور.

دهشان (ضاحكا): لله درك..لقد صرت تتفنن في تزيين كلامك كالسياسيين البلغاء. (٦٨٦:ص ٨٨)

[١٦١]ب: وقال الاصمعي : قال رجل لابي عمرو بن العلاء: اكرمك الله!

قال : محدثة! (٦٢٩:ج٢:٢١٨)

وكذلك في المثال التالي من ذيل الامالي :

[١٦١]ج: قال رجل للحسن: ما تقول في رجل ترك ابيه واخيه؟

فقال الحسن: ترك اباه واخاه.

فقال الرجل: فما لاباه واخاه؟

فقال الحسن: فما لابيه واخيه؟

فقال الرجل: اراك كلما تابعتك خالفتنى. (٦٩٠:ذيل ص ١٤١)

١٧:٩ـ ومن الممكن ان تصبح حالة المشارك موضوعا للرصد بحسب البينات المستقاه من نصه او نصوصه، كما في المثال التالي من ميراث العار:

[١٦٢] الاخ : كفي يا عم دهشان ..اتق الله يا رجل..اعتقنى لوجه الله .. ابوس يديك ورجليك ان ترحمنى (في غيظ وكراهية) فيرحمك المنتقم الجبار.. ثلاث سنوات وانت دائب على حلبى وعصرى، وحرق دمي، وهد حيلي، وتعكير خاطري، وتشتيت فكري، وتنغيص عيشتي، وتسويد دنياي، الله يحش رقبتك.

دهشان: (مبتسما ومتظاهرا بالعطف والتأثر والرثاء) شفاك الله، وخفف عليك. (٦٨٦:ص ٨٦)

وكذلك في المثال التالي من الكتاب نفسه:

[١٦٢]أ صبحية: اخواتك المحتاجات الى التراب الذي تمشي عليه ..

الاخ : في الواقع انت عفريتة .. في اي مدرسة تعلمت؟ (٦٨٦:ص ١٤)

وربما رصدت حالة المشارك باعتبارها غير كافية للمقال؟ كما في المثال التالي من الفريد فرج

[١٦٣]أ ابو الفضول: (يجأر) اريد ان اعرف يا سيدي ما الحكاية؟ اجيبوني عاهدت الله ولكن غير قادر على الوفاء بالعهد. ما هي الحكاية؟

امين السر : لا شان لك بالحكاية .. ما شانك ؟ حلاق. (٦٨٨:ص ١٦٠)

وقد يشتمل الرصد ايضا على الاحوال التي تؤدى الى التشجيع او الاعاقة لقدرات الاتصال عند المشاركين كما في المثال التالي من سنية قراعه:

[١٦٤] اوليمبياس : "تدخل من باب جانبي" ايهاالملك!! "ينظر اليها في الم" برت امك بوعدها... حفظت لك الملك !! فامض في طريقك.. يا ابن زوس !!

الاسكندر : "هاتف في عصبية" اسكتي يا اماه !! فانت لا تدركين معنى ما تقولين!! (٦٩٤:ص ٥٥)

١٨:٩ وقد يقع الرصد لمقاصد المشاركين اذا بدا النص غير ذي هدف او خطة كما في المثال التالي من البخلاء.

[١٦٥] قال الحضين بن المنذر : وددت لو ان لي مثل احد ذهبا لا انتفع منه بشيء.

قيل : فما ينفعك من ذلك؟

قال : لكثرة من يخدمني عليه. (٦٢٨:ص ٤٢)

واذ بدا ان المقصد الظاهر للنص يهدف الى التضليل فان في وسع الرصد الاشارة الى رفض الانصياع، كما في المثال التالي من قصة اختين :

[١٦٦] دولت : فعلا لم يحضروا لنا كثيرا من قبل .. ولكنهم كما قلت لك اصدقاء للمرحوم والدي .

الهام : فقط؟

دولت : ماذا تعنين؟

الهام : اعنى انني سمعت زغاريد وانا على عتبة الباب.. وانت تعرفين انني لست مفرطة الغباء. (٧١٧:ص ٩)

وكذلك في المثال التالي من سامي الكيالي:

[١٦٦]أ - اتقصدين عزيزه هانم؟

- لا تتجاهل ؟

- نوال ؟ (١٩٤:٧٠١)

والمثال التالي من محمود دياب :

[١٦٦]ب عايده : مع من كنت تتحدث ؟ من هي؟

نبيل (مرتبكا): انها صديقة.. مجرد صديقة.. اعني زميلة لي ..

عايده (في لهجة جادة): اهي ناديه؟ لا تكذب .. (٦٤٧:ص ٣١٤)

وقد يستعمل المشارك اللبس عن عمد منه مما يستدعي الرصد من الاخرين كما في المثال التالي من سليم اللوزي:

[١٦٧] - هل نزلتما في غرفة واحدة؟

- تقريبا .

- ماذا تقصدين؟

- نزلنا غرفتين لهما باب مشترك . (٧٠٢:ص ٢٤٩)

وكذلك يمكن ان يستعمل الرصد من اجل اثبات المقاصد التي تقوم عليها النصوص السابقة او من اجل التنصل من تلك المقاصد. كما في المثال التالي من عبد العاطي جلال (من المشهد الذي يتخلى فيه صاحب الجريدة عن محاولته عزل سكرتير التحرير القديم وتعيين السكرتير الجديد بدلا منه).

[١٦٨] صاحب الجريدة: في داهية..انتهينا..هو السبب في كل هذا.. رجل ضيق الافق (مهمهة وسخرية)

رئيس التحرير : هكذا تغير رأيك فيه بسرعة!؟

صاحب الجريدة: لا تؤاخذني..انا في حالة غير طبيعية (٦٣٢:ص ٨٥)

٩:١٩ ومن الممكن ان يحدث الرصد لمعتقدات المشاركين اومعرفتهم القبلية اذا كان النص المعروض مسبقا يزعم ان ما لا يزال موضعا للنزاع انما هو حقيقة من الحقائق، كما في المثال التالي من سعد الدين الخادم.

[١٦٩] زينب : ها انت ذا تتهرب من الاجابة..وذلك يؤكد انك تخاف لقاءه.

يوسف : اخاف لقاءه ؟ لقد مضى هذا الزمن.. انني لا اخاف احدا الان. (٦٤٤:ص ٤٥)

وقد يشجب المرء بعض المعتقدات بصراحة ويعتبرها غير صحيحة، كما في المثال التالي من تيمور الاعرج

[١٧٠] تيمورلنك : ولكن ارضكم قطعة من ارضنا وبلادكم جزء من بلادنا

ابن خلدون: هذا خيال ووهم يا مولاي، ولا يسنده سند من واقع ولا تؤيده حجة من تاريخ. (٦٥٥:ص ٨٢)

وربما شجب المشارك طلبا موجها اليه باقرار معتقدات شخص اخر وذلك لتعارضها مع معتقداته، كما في المثال التالي من توفيق الحكيم :

[١٧١] الخطيب : يا محمود بك حكم عقلك؟ اهذا كلام يقبله العقل؟

الاب : عقلك لا يقبله.. ولكن عقلي يقبله. (٦٤٠:ص ٢٣٠)

وكذلك في المثال التالي من توفيق الحكيم ايضا؛

[١٧١]أ محمود : انني رجل كهل.. خبر الاشياء، وزهد في الدنيا، وان للسن قانونه.

اقبال : لست اعترف بقانون لمثل هذه الاشياء. (٦٤٠:ص ٨١٧)

غير ان في وسع المرء ايضا شجب المعتقدات المعزوة بدون اي التزام منه "بالحقائق"، كما في المثال التالي من فوزي عبدالقادر الميلادي، حيث تظهر امال متأثرة بمحاولة زينب امراة حسني ايقاع خطيبها (آمال) في شراكها:

[١٧٢] حسني: ساشرح لك الموقف بايجاز.. وبصراحة.. انا شخص محظوظ لان زوجتي تحبني حبا عميقا.

آمال : زوجتك تحبك حبا عميقا.

حسني: نعم وانابادلها هذا الحب..لقد تزوجتها نتيجة حب عنيف..وقد ازداد هذاالحب قوة على مر الايام. (٧١٦:ص ٦٩)

وكذلك في المثال التالي من توفيق الحكيم:

[١٧٢] خيرية : اني ما اردت قط ان يهتم بي ذلك الاهتمام

الام : اهذا شعورك حقا؟ (٦٣٩:ص ١٤٦)

ومن الممكن ان ينسب فقدان الاعتقاد عند المرء الى عدم قابلية المواقف او الحوادث للتصديق، كما في المثال التالي من عبد العزيز السيد:

[١٧٢] احمد: .. قرأت في احدى المجلات عن (يبتلع ريقه) عن دكتور تجميل اعاد الى وجه محروق نضارته السابقة.
صفيه: هراء، كيف يستطيع ذلك ؟ ... لماذا تصدق هذه السخافات ؟
احمد: (مترددا) لم لا احاول؟ (٦٦٧:ص ٨١)

وكذلك في المثال التالي من توفيق الحكيم :

[١٧٣]أ فكري : تاجر عطور ؟
المراة : لا .. تاجر عيون ..
فكري : عيون ؟ اعترف ان هذا لا يمكن ان يخطر لي على بال .. تاجر عيون؟.. عيون بشرية؟! (٦٣٩:٥٤٨)

[١٧٣]ب السجين الاول : كل شخص يجد القهوة واللبن في الانابيب!!!
الشقراء : نعم .. ما وجه الغرابة في ذلك.
السجين الاول : لا .. لا شيء !.. (٦٣٨:ص ١٣٩)

وكذلك الحال في المثال التالي من نوادر جحا الكبرى:

[١٧٣]ج طلب اليه جاره ان يعيره حبلا فدخل الى داره ثم عاد فقال له: ان الحبل مشغول لان اهل البيت نشروا عليه دقيقا، فقال الرجل : وهل ينشر الدقيق على الحبل، فأجابه جحا : سبحان الله اذا كنت لا اريد اعارة الحبل اقول نشر عليه الدقيق . (٧٢٠)

وبالمثل يمكن ان يشير المرء الى عدم قابلية التصديق باعتباره سببا لرفض نصوص المشاركين الاخرين بوصفها اسهامات غير ملائمة في المقال كما في المثال التالي من سنية قراعة:

[١٧٤] التابع : "هامسا" ان الاسكندر يقول ..

نيتوكريت: "تقاطعه" سئمت وارباب هذا الوادي قوله ووعوده "لنفسها" انني لارتجف وانا انصت في خيالي الى اصداء احاديثه الناعمة المعسولة. كدت اصدقه وأومن بانه صاحب مثل عليا، فاذا بي اكتشف انه كغيره من الغاصبين. (٦٩٤:ص ٨٩)

٩: ٢٠ توضح هذه المقتطفات من امثلة الحوار كيفية الحفاظ على النصية في المثال بالرغم من قيام مشكلات واضطرابات. ويبدو ان محتويات النصوص لا تجاري ما يعزى الى المشاركين من ادوار ومقاصد ومعتقدات ومن الممكن ان تنتهك بعض مبادىء المحادثة من مثل مبادىء السلوك عند غرايس. ومن امثلة ذلك تعرض مبدأ النوعية(٦:٩:٣) للمخاطر عندما يتضمن نص المشارك معتقدات لا اساس لها من الصحة كما هو الحال في [١٦٩]،[١٧٠]،[١٧١]،[١٧٤]. وكذلك يتعرض مبدأ العلاقة للمخاطر(٦:٩:٤) نتيجة لاسهام غير هادف كما هو الحال في [١٦٥]. اما مبدأ الهيئة (٦:٩:٥ل) فيستلزم الامر اعادة توكيده من اجل تصحيح اللبس كما في [١٦٧] ويغلب على الظن ان مختلف اهتمامات المجاملة والانتباه [١٥٨]،[١٥٩]،[١٦٢]، وحالة المشارك [١٦٣]، [١٦٤]، وتجنب احدى الموضوعات الاساسية[١٦٦] او مسؤلية الشخص [١٦٨] هي من الامور ذات التأثير على مبدأ التعاون (٦:٩:١).

٩: ٢١ لاحظنا في (٨:٤) قيام بعض وجوه الشبه بين رصد الموقف وحل المشكلات: ذلك ان اتخاذ المشارك حادثا او شيئا غير متوقع موضوعه اساسية لاحد النصوص ، يتيح له ان يحقق تكامله مع الصورة المشتركة المألوفة "للعالم الواقعي" او هو يتيح له، في الاقل، الدفاع عن تلك الصورة ازاء اي شجب ظاهري لها. وفي وسعنا تطبيق هذه القاعدة ايضا على جوانب الرصد المدروسة هنا (٩:١٦ـ٢٠). فوظيفة رصد الادوار والمقاصد والمعتقدات التي تتضمنها النصوص هي ايضا التفاوض بشأن الشروط الاساسية للاتصال، واستدماج العوائق او الانحرافات الاحتمالية. وفي حالة رصد الموقف تنبعث الوقائع غير المرتقبة من المقام الخارجي للمقال، اما في حالة الرصد بين النصوص فان تلك الوقائع تؤلف جزءا من

الاحداث الجارية ضمن المقال. وربما لجأ مستقبل النص الى طلب تعليل من منتجه او التعرف على الدافعية الكامنة وراء الواقعة الحالية وغير المرتقبة، ومن ثم يمكن ان يقع التفاعل بين المنتج والمستقبل في حل المشكلة (١٣:٧). وكثير من امثال هذه المشكلات يعود الى محض تمكن المشاركين في المقال من خدمة اهدافهم على نحو افضل من خلال الابتعاد عن اعراف المحادثة (من مثل مبادىء السلوك عند غرايس). فقد يرغبون في عزو معتقدات لا اساس لها من الصحة الى غيرهم، او يميلون الى التهرب من مسؤولياتهم او غير ذلك من الامور. ومن الممكن ايضا ان تنبعث مشكلات اخرى من جراء الحاجة الى التفاوض حول معايير الاعتقاد والسلوك بين الفينة والاخرى .

٢٢:٩ تدافع ر. رايخمان(٤٤٩) عن ان تقارن المحادثة لا يصبح جليا بالضرورة من خلال المفاهيم التي تشترك فيها النصوص المكونة لها. وتقترح رايخمان اقامة تمييز بين "قضايا الاهتمام" العامة (اي وجهات النظر والنشاطات البشرية النمطية) وبين المواقف والحوادث النوعية الخاصة التي واجهها المشاركون ويرغبون في التحدث بشأنها. وتشتمل الامثلة التي تعرضها على انتقالات بين العام والخاص بصفتها "اشكالا" نمطية لارتباطات فراغ سياقي. وتكون العلاقة توضيحية اذا اتبعت القضية العامة بمثال نوعى خاص من قائمة خبرات المشاركين. اما اذا تلا مناقشة موقف او حادث نوعي خاص الاستشهاد بقضية عامة، تعد موضوعا للمناقشة، فان العلاقة تكون علاقة تعميم انذاك. وقد يجد المرء تجميعات يقدم فيها موقف او حادث واحد توضيحا لعدة قضايا معا اي ما يسمى بعلاقة القضية الفرعية، او تقوم فيها عدة حوادث او مواقف بتوضيح قضية واحدة اي ما يسمى بعلاقة الربط. وتشتمل علاقات رايخمان ايضا على توضيحات للتفاعل القائم بين الموضوعات الاساسية والاهتمامات الراهنة للمشاركين او "الحقائق" التي تعتبر صحيحة في "العالم الواقعي" بوجه عام (بالمعنى الوارد في ١:١٨:٧).

٢٣:٩ وفي ضوء هذه الاعتبارات يمكننا توسيع فكرة "نموذج عالم النص" التي قدمناها في الفصل الخامس لتصبح فكرة "نموذج عالم المقال" (قارن. نموذج المقال عند(٤٤٩،٧١ ،٤٦٦، ٥٥٧). والكيان الناتج هنا هو

التشكيلة المتكاملة للمفاهيم والعلاقات التي تقوم عليها جميع نصوص المقال . وفي جميع الاحوال، لا مندوحة عن افساح المجال امام الاختلافات الممكنة بين نماذج عالم المقال لدى مختلف المشاركين. ومن شأن رصد المواقف والنصوص الموضح في (٨:١٤ل؛ ٩:١٦ل) ان يساعدنا على تصغير حدة الصراعات بين هذه النماذج، وخصوصا بالتوجه الى الافتراضات والمعايير التي لم تذكر بصراحة في النص .

٩:٢٤ قد يعترض معترض، وهو محق، بأن معرفة الناس الضمنية امر يتعسر للغاية مشاهدته ودراسته. وفي الحق ان مثل هذه المعرفة لم يبرز في معظم الامثلة التي اوردناها، الا حين كانت تؤدي الى وقوع تعارض أو اضطراب ما. وغني عن البيان ان قدرا هائلا منها ينسرب دون ملاحظة منا، بالرغم من ضرورته لافادة المعنى. بيد اننا نرى، ان بوسع الاختبارات ذات التصميم الجيد، ان تضع نصب اعيننا قدرا مهما من معرفة الحس العام المشتركة بين الناس . ومن امثلة ذلك ان الناس حين يطلب منهم الاستماع الى نص ما او قراءته ثم استرجاع محتواه حينئذ نجدهم يعرضون نمطا منهجيا من الاضافات، والحذوف، والتغيرات ، فيما يدلون به من تقارير . ان صنع التقارير والخلاصات لما قرأه المرء من النصوص ، يمثل مجالا مهما اخر من مجالات النصوصية، ولذا يمكننا الاستفادة منه في انهاء مناقشتنا في هذه المرحلة.

٩:٢٥ [١٧٥] [١-١] شهدت احدى صحارى نيومكسيكو صاروخا من طراز ف٢، وهو صاروخ جسيم يجمع لونه بين السواد والصفرة، ويبلغ طوله ٤٦ قدما. [١-٢] ويزن الصاروخ فارغا خمسة اطنان [١-٣] اما وقوده من كحول واكسجين سائل فيزن ثمانية اطنان .

[٢-١] واعد كل شيء [٢-٢] فتراجع العلماء والجنرالات مسافة ما، وربضوا من وراء التلال الارضية [٢-٣] وسرعان ما ارتفع لسانان من اللهب الاحمر ايذانا بتفجير الصاروخ.

[٣-١] وقد صاحب دوي هائل وألسنة من النيران ارتفاع الصاروخ الذي بدأ رحلته ببطء، ثم تعاظمت سرعته [٣-٢] وهو يجر من ورائه ذيلا من اللهب الاصفر يبلغ طوله ستين قدما [٣-٣] وسرعان ما بدا اللهب في هيئة نجمة صفراء اللون. [٣-٤] وبعد ثوان معدودة اصبح الصاروخ بعيدا متعذر الرؤية [٣-٥] فتتبعه جهاز

الرادار وقد قاربت سرعته ٢٠٠٠ ميل/ ساعة.

[٤-١] وبعد مضي دقائق معدودة من اطلاق الصاروخ، [٤-٢] شاهده ملاح احدى طائرات المراقبة وهو يعود بسرعة ٢٤٠٠ ميل/ ساعة ويغوص في الارض على بعد ٤٠ ميلا من موضع انطلاقه. (٦٠٥:ص ١٩٥)

كثيرا ما كان الافراد والمختبرون يستهلون تقاريرهم بعبارات من مثل: "كانت هذه قصة طيران صاروخ" ولذا يمكن ان ترتبط معالجة الاستقبال بمخطط للطيران (ر.ف. ١٦:٥). وقد يشتمل هذا المخطط على تتال مرتب من الحوادث والحالات المكونة للطيران، وتشتمل الحوادث في الاقل، على: الاقلاع، والصعود، وبلوغ الأوج، والنزول، والهبوط على الارض. ويؤدي كل حادث من حوادث الحركة الى وضع الصاروخ في حالة مكانية جديدة. ويشتمل مخطط الطيران على المكونات المذكورة انفا، وان لم يكن من الضروري ظهور جميع الحوادث في النص بصراحة (بالمعنى الوارد في ٦:١)، فبعضها يمكن التوصل اليه بالاستنتاج. ومهما يكن من امر فان بوسعنا اظهار قيام المخطط بدور "منظم يدفع مادة النص الى الامام" (١٠). ويعد تطبيقه مثالا اخر على التعلق الاجرائي المقترح في (١٩:٣) باعتباره ألية فعالة لتكييف الاستراتيجيات العامة بحسب المهمات الراهنة.

٩:٢٦ لقد تبينت آثار المخطط دون شك في دراستنا لمحاضر الاختبار. فالنص الاصلي يبدأ بوصف بسيط للمشهد يخلو من اية حوادث (قارن. ٩:٦). وقد استذكر الممتحنون الاستهلال في هيئة حادث "الاقلاع" الذي تنبأ به مخططهم للصاروخ، ونادرا ما نقل هؤلاء في تقاريرهم مجرد وجود الصاروخ في ذاته، بل كانوا في عدد اكبر من الحالات يذكرونه قائما على منصة الاطلاق "معدا للتفجير". وكثيرون منهم بدأوا نصوصهم مباشرة بقولهم "انطلق صاروخ في الجو". ومن الواضح الجلي ان المادة التي لم تعد ضرورية في المخطط لم تحظ باهتمام احد من الممتحنين او هي لم تعتبر جديرة بالذكر لديهم. وتبين ايضا استعمال مفاهيم الحركة مع الاستهلال لدى ٧١ شخصا من مجموعة مؤلفة من ٧٢ ممتحنا. ولعل الالحاح الشديد على "الاقلاع" يعود الى طبيعته الاكثر

اشكالية باعتباره الحادث الاكثر نصيبا من احتمالات الفشل مما يؤدي الى تعطيل جميع الحوادث الاخرى في المخطط. وفي المقابل نجد بلوغ الأوج يبدو امرا طبيعيا يرد بين الصعود والنزول، ولم يتذكر هذا الحادث سوى حفنة من الممتحنين، وهو حادث لم يتعرض النص الاصلي لذكره البتة. ولعل كثيرا منهم قد استذكروه ولكنهم لم يعتبروه ضروريا للنقل في التقارير، وهذه في الواقع قضية حساسة تمثل في اختبارات الاسترجاع على اختلاف انواعها.

٩:٢٧ يمكننا الكشف عن نتيجة اخرى للمخطط وذلك باختبارنا ميل الممتحنين الى المزاوجة بين حدود النص وحدود المخطط. فالنص الاصلي ينتهي بحادث "الهبوط" عندما يغوص الصاروخ في جوار نقطة البدء. وقد جارت الاجابات هذه الاستراتيجية مجاراة دقيقة، ففي مجموعة من ٤٢ اجابة ورد ذكر هبوط الصاروخ في الجملة الاخيره ضمن ٢٧ منها. وفي المقابل، يلاحظ ان النص الاصلي يبتدىء بفقرتين من مواد تمهيدية ولا يرد حادث "الاقلاع" في مستهل المخطط. وهنا كان ميل الممتحنين متجها الى اعادة ترتيب النص بحيث يتم ذكر "الاقلاع" في الجملة الافتتاحية. ويرد ذكر المكان والوقود والاعدادات وما اليها فيما بعد. وقد تبين لنا وجود اعادة الترتيب هذه لدى ١٢ من ٤٢ اجابة . وربما يكون المستقبلون قد ركزوا اهتمامهم على المخطط في مرحلة الاستيعاب الاولى، او يكونون قد استرجعوا المخطط ليصبح اساسا لتنظيم محتوى التقارير ، ومن الممكن ايضا ان يكون المخطط ماثلا في اذهانهم في كلتا المرحلتين .

٩:٢٨ بالرغم من وضوح تأثير المخططات، نجد الموقف الذي تبناه دافيد روملهارت (٤٦٨) مسرفا في التشدد حين يقول: "تعد عملية الاستيعاب مطابقة لعملية انتخاب المخططات التصورية والتحقق منها في محاولة تفسير الموقف او النص الذي يراد فهمه".

واغلب الظن ان انتخاب المخططات والتحقق منها يسهمان في الاستيعاب دون ان يكونا مطابقين له. ويجد المرء مصالحة مطردة بين المعرفة التي يعرضها النص وبين انماط المعرفة التنظيمية المختزنة عند الشخص الذي يفهم النص وطبعه ومزاجه. ويقترح روير (٤٦٤) الفصل

بين ثلاث من وجهات النظر النظرية في تذكر المواد التي تماثل محتوى النصوص . فأما اولاها وهي تجريد الاثر فتشتمل على تخزين أثار المادة الاصلية المعروضة في هيئة تجربة حسية، ويقتضي الاسترجاع اعادة احياء تلك الأثار (٢١٢)، وفيما نظن، يقوم من يفهم النص ، في اثناء معالجته له، بتعيين الأثار التي يعدها جديرة بالاهتمام ويضرب صفحا عما عداها(٣٩٥) ولولا ذلك لاصبح التخزين مختلطا لا يحكمه اي نظام. واما الثانية فهي التأليف الذي يتيح استعمال انماط معرفة المرء الحالية من اجل تنظيم الأثار(٥٧) وبذا تقدم نظرية التأليف تفسيرا لكيفية استرجاع مختلف القراء تصوراتهم الخاصة للمحتوى، في حين لا يتجاوز تفسير نظرية التجريد حالات الحذف او الاخطاء. وأما الثالثة وهي اعادة التأليف فتشتمل على استعمال المرء لمخططاته المختزنة (او الاطر والخطط المختزنة وما اليها) في حالتها الراهنة من اجل اعادة تأليف عرض سابق للنص ، ولا يصبح للأثار الواقعية ثم اية هوية منفصلة (٥٢٠) ويبدو ان وجهة نظر روملهارت تقوم باسقاط نظرية اعادة التأليف فى صميم حادث فهم المحتوى المعروض. ويستتبع هذا بالضرورة التنبؤ بان الصراعات بين المخطط والمادة المعروضة من مثل المزاوجة غير الدقيقة بين نص الصاروخ وخطط الطيران (قارن. ٩:٢٥ل) ـ يجب ان تحل دائما لصالح المخططات، وان المواد المتصلة بالمخططات يجب ان تحظى باسترجاع افضل مما لغيرها. بيد ان النتائج التي حصلنا عليها بانفسنا تشير الى ان مثل هذه الاتجاهات اقل ظهورا من هذا التوقع، وأنها ليست معصومة عن الاخطاء البتة. ومن الواضح الجلي قيام تدرج يسهم فيه كل من تجريد الأثر، والتأليف، واعادة التأليف، بقدر ما. ان الأثار من مثل ألوان الصاروخ وسرعاته الدقيقة امور يستحيل اختزالها في المخططات عند اي شخص ، ومع ذلك نجد ان تجريدها واختزانها واسترجاعها قد وقعت في عدة حالات. ومن الواضح كذلك وقوع التأليف حين كان الناس يلحظون موقع "الصحراء" ويتذكرونه ، غير انهم كانوا يضيفون اليه "لمعان الشمس" و "الرمل" من لدنهم. ولذا لا يمكننا القول بان اعادة التأليف تقدم تفسيرا كاملا للظاهرة، الا اذا اتفقنا على اعتبار اي نمط مختزن او قابل للاستعادة، مهما كان شأنه مخططا من المخططات . وهي نزعة نلحظها في بعض الدراسات الحالية لسوء الحظ، مما يجعل هذا المصطلح مصطلحا غير ذي جدوى.

٩:٢٩ كنا قد اقترحنا في (١٤:٢) ان يكون في وسع المرء اعتبار النص نظاما سبرانيا تخصص المعالجة فيه للحفاظ على الاستمرارية. وبذلك تكون معايير النصية متمركزة جميعا حول العلاقات والتوصل بين العناصر في مستوى واحد او في عدة مستويات. وفي هذا المنظور تعطى الاولوية الكبرى في فهم محتوى النص واسترجاعه للحفاظ على كل ما يلحظه المرء ويختزنه ويسترجعه ضمن نمط مستمر.. وكلما بدت الآثار الواقعية للمادة المعروضة غير متصفة بالاستمرارية ازداد لجوء الشخص الذي يحاول فهم النص الى معرفته القبلية(ومنها المخططات والاطر). وفي الاحوال العادية لا يجد مستقبل النص دافعية لديه من اجل خلق اثر كامل او دقيق للمحتوى في نص معلوم، ولابقاء مثل هذا الأثر في معزل عن المعارف الاخر (قارن ١:١١،٥:١٢،٥:٢٤ل) وانما يكون اتجاه الدافعية صوب تحقيق استمرارية المعنى(٥:٢)

٩:٣٠ في ضوء هذه الاعتبارات، يمكننا القول بأن في وسع المرء تصميم اختبارات لتدعيم اي من النظريات التي اجلنا الحديث عنها في (٩:٢٨). فمن الممكن مثلا البرهنة على تجريد الأثر بالاعتماد على نصوص محكمة النسج تتصف بقيام مزاوجة حسنة بين محتواها وبين المعرفة النمطية للعالم. ومن جهة اخرى، تبرهن القصص الغريبة من مثل "حرب الاشباح" لبارتلت (١٢) على اهمية اعادة التأليف وعلى كل حال ، يكون المعيار المقبول حلا وسطا بين الطرفين ، كما يتبين من تأثير الصاروخ المذكور، فمحتواه تقليدي الى حد كبير ولكنه ليس تقليديا بحتا على كل حال .

٩:٣١ كنا قد درسنا عمليتي الانتاج وتوسيع الاستثارة بصفتهما آليتين تقومان بتوسيع أو تحديث او تطوير او اكمال للمحتوى الذي يعبر عنه النص . (قارن. ١:١١؛٥:١٢،٥:٢٤ل). فاما الاستنتاج فانه يستخدم من اجل بعض المشكلات او حالات الانقطاع الخاصة، واما توسيع الاستثارة فينتج بمجرد تنشيط نقطة ما ضمن نمط المعرفة المختزنة. وفي وسعنا مشاهدة هذه العمليات وهي تقوم بدورها في الاجابات المتعلقة بالصاروخ ويبدو ان الاضافات تسهم في ربط حلقات وصل مع الانماط التصورية التي اجملناها في (٥:٢٦) عند تمثيل المعرفة في عوالم النص . ومن الواضح

ان نمط الربط الاكثر استعمالا هو الذي يناظر مادة موضوعة الاساس والاطر او المخططات المرافقة لها. ويؤدي اشتمال مخطط الطيران على وقوع تغييرات متكررة في المكان الى وجوب تكرر ظهور المفهوم في هيئة اضافات او تعديلات وهو الامر الذي وقع بالفعل .

٩:٢٢ تسهم الصور الذهنية ايضا في اثراء المكان وتطويره (٤١٤). ومن الممكن ان تقترن بعض المشاهد التصويرية بمتابعة سرد الحوادث او وصف المواقف (١٧٦، ١٧٥).. لقد استرجعت الصحراء في مثال الصاروخ بصفتها "سهولا رملية" بعيدة او معزولة تارة وخارج المدينة تارة اخرى. وكذلك جرى اطلاق الصاروخ "في جو مشمس" من "منصة اطلاق" واسترجعت التلال في هيئة "جبال" تتطلب المزيد من التغييرات من اجل الحفاظ على التقارن "صاروخ بين يدي جبل في اريزونا" او "صاروخ بين يدي جبل يستخدم للمراقبة" ولا بد من ان يكون الممتحن قد عاد بذهنه الى مخطط الطيران حين كتب : انطلق الصاروخ مبتعدا عن منصة الاطلاق. وعند بلوغ نقطة الأوج عكس اتجاهه وهوى منقضا في طريق عودته الى الارض .

٩:٢٣ واستعمل الزمان كذلك من اجل ربط الحوادث معا في نمط مستمر: "جثم العلماء من وراء التلال عندما اطلق الصاروخ" و "عندما حان الوقت لاطلاق الصاروخ" و "في اثناء صعود الصاروخ" و "كانت الطائرة تحلق في الوقت نفسه". وفي المقابل نادرا ما استعملت التعبيرات الزمنية الواردة في النص الاصلي او استرجعت. ويبدو ان الناس يخلقون علاقاتهم الزمنية الخاصة بهم بحسب الحاجة الى تنظيم تتابع الحوادث في عالم النص .

٩:٢٤ كثيرا ما كانت استنتاجات الادراك الحسي، تعزى الى العلماء، وبقدر اكبر الى القادة، فهم "يشاهدون" الصاروخ او يراقبونه. وكذلك اضيفت روابط اخرى من روابط الادراك الحسي بالحاح واضح: كانوا يراقبون الاقلاع ويولون اهتمامهم لالسنة اللهيب .. وقد تم سرد الجزء الاول من خبر الطيران من منظور ارضي، في حين اصبح سائق طائرة المراقبة نقطة توجه لانتهاء. وادعت كثير من الاجابات ان السائق المذكور قد

"نقل" ما كان يراه (ربط المفاهيم في الاتصال) .

٩: ٣٥ ووجدناهنا ايضا ان مختلف انواع المفاهيم الاخرى قد تعرضت للتعديلات فقد اتبع الممتحنون مفهوم السبب من اجل استنتاج تحطم الصاروخ عند الهبوط، وافترض احدهم ان "السير بسرعة ٢٤٠٠ ميل/ساعة تقريبا سيؤدي الى حدوث فجوة في سطح الارض"، وكذلك تم تخصيص الغاية للطيران باعتباره تجربة او اختبارا لنوع جديد من الصواريخ. ونسب ايضا دور الفاعل الى العلماء الذين افترض انهم قد اشعلوا اللهب بل اطلقوا الصاروخ بانفسهم. واعطى ذيل الصاروخ مادة فهو: دخان اصفر او دخان عادم.

٩: ٣٦ تقوم جميع الاضافات والتغييرات التي اجرينا مسحا لها على معرفة الحس العام فيما يتصل بتنظيم المواقف والحوادث، والمسألة التي تبدو حاسمة لنا الان هي: هل هناك استراتيجيات منهجية تتحكم في التفاعل بين المعرفة التي يقدمها النص وبين معرفة الحس العام بحيث يستطيع المرء تقديم تنبؤات واختبارها بصدد استرجاع مادة معروفة معينة؟ فمن جهة، لا مندوحة عن قيام نزعات منهجية، ولولا ذلك لاصبح الاتصال غير موثوق البتة من مستقبل للنص الى اخر، ومن جهة اخرى، يمكن ان تقوم تدرجات وتنوعات كافية بين مختلف الاستراتيجيات وشتى التوقعات بحيث لا تقوى التنبؤات على تجاوز درجة تقريبية غير دقيقة. ومن امثلة ذلك، ان بوسعنا القول، في معرض الحديث عن نص الصاروخ، ان الاستنتاج المتعلق بمشاهدة العلماء للصاروخ سيرويه حوالى ٣٢ من الممتحنين (تم الحصول على هذه النسبة حتى الان من عدد يتجاوز ٢٠٠ شخص) غير اننا لسنا قادرين حتى الان على معرفة العدد الدقيق للاشخاص الذين قاموا بالاستنتاج دون ان يبلغوا عنه، ولا على معرفة ان كانت النسبة ستزداد او تقل عند تغير هذا العامل او ذاك من العوامل الكثيرة المؤثرة. وفي الوقت الحالي ، يتوجب علينا ايثار التنبؤات الكيفية على التنبؤات الكمية.

٩: ٣٧ سنقترح على القارىء فيما تبقى من هذا الفصل ما يبدو لنا من نزعات منهجية في التفاعل بين المعرفة بالعالم المختزنة وبين المعرفة التي

يعرضها النص والمبنية على نتائج مختلف الاختبارات التي اجريت حتى الان.

٩:٢٧:١ تحظى المعرفة التي يعرضها النص بالتفضيل في الفهم والاسترجاع اذا كانت مزاوجة لانماط المعرفة المختزنة، فبما ان اغلب الصواريخ يتم تشغيلها بالاحتراق، فانه ليس من المستغرب بحال ان يسترجع "اللهب" ٤٨ من ٧٢ ممتحنا، وهي من اعلى النسب التي حصل عليها لأي مفهوم من المفاهيم . وكذلك يعد بروز الصحراء في ٢٦ محضرا امرا معقولا، فمن الضروري والمعتاد ايضا ان تكون الارض التي تجري فيها الاختبارات بعيدة عن مراكز السكن او الاراضي الزراعية الخصبة. ثم ان استعمال "الرادار" الذي استرجعه ٢٦ ممتحنا، امر معلوم تماما في جميع اشكال الطيران .

٩:٢٧:٢ تحظى المعرفة التي يعرضها النص بالتفضيل اذا كانت قابلة للتعلق بالمدخلات الرئيسة في احد الانماط الكلية المطبقة من مثل اطار او مخطط او خطة او مدونة، وتعد هذه النزعة نتيجة خاصة من نتائج النزعة السابقة، ولكنها تدعى ان الاولوية تكون للانماط الكلية قبل الانماط المحلية، ويعود ذلك الى ان من شأن الاولى ان تقدم اسهاما اكثر انتشارا وضبطا في فهم العمليات بالقياس الى الثانية. وقد قمنا بمراجعة تأثيرات مخطط الطيران على المستقبلين لنص الصاروخ في (٩:٢٦ل) وهناك قدر كبير جدا من البحث الذي يشهد بدون لبس على نفع المخططات في فهم القصص، حيث تستند طائفة بالغة التنوع من النصوص الواقعية الى عدد قليل من الانماط المشتركة.

٩:٢٧:٣ يجري ادخال التغييرات على المعرفة التي يعرضها النص من اجل احداث مزاوجة افضل مع انماط المعرفة المختزنة. ولا يكاد نموذج الصاروخ يبدو مشتملا على اية تباينات مربكة. غير ان التلال الارضية [١٧٥] (٢-٢) قد اعتبرت من التباينات، وربما كان ذلك عائدا الى ان الارض توحي بالتربة الداكنة التي لا يعثر عليها المرء في الصحراء، وقد جرى استرجاع هذه التلال في هيئة "تلال رملية".مما يشيع في عالم الصحراء، ولا بد ان يكون الذين استرجعوا "الحواجز" او "استحكامات

الخرسانة" قد كانوا يصرفون اهتمامهم الى الغاية من "التلال" الا وهي حماية إشخاص المسؤولين. ومن التباينات في النص الاصلي الزعم بان ذيل الصاروخ بدا في هيئة نجمة صفراء [١٧٥] (٣-٣). لقد استرجع الممتحنون اللهب في هيئة "وهج" او "انفجار" او "نقطة". بل ان الاندماج في حركة الصاروخ قد ادى ببعضهم الى رؤيته "نجمة صاعدة في السماء" او "شهابا". وكذلك نجد تغيرا مثيرا عند احد الممتحنين ولا بد ان يكون هذا قد اطلع على تقارير صواريخ ف ـ ٢ في الحرب العالمية الثانية في قوله ان الفقرة تتحدث عن اطلاق صاروخ ف ـ ٢ الماني سقط بايدي الحلفاء.

٩:٢٧:٤ تتعرض العناصر المتمايزة في المعرفة التي يقدمها النص للاندماج معا او الاختلاط بعضها ببعض اذا كانت وثيقة الترابط في المعرفة المختزنة. واكثر الامثلة شيوعا على هذه النزعة ما وجدناه من اندماج واختلاط بين "اللهب الاحمر" المستعملة بصفة "اشارة ذات دلالة". و "اللهب الاصفر" الذي اطلقه الصاروخ وقد يكون لتماثلات سطح النص دور في تعزيز هذا الاندماج والاختلاط (الشبه بين كلمتى flare ، flame في الصوت والشكل وانهما ارتفعا كلاهما في النص الاصلي).

٩:٢٧:٥ تضمحل المعرفة التي يقدمها النص، وتصبح غير قابلة للاسترجاع اذا اعتبرت عرضية او متغيرة في اطار المعرفة بالعالم. وقد كانت هذه النزعة واضحة بما لا يقبل الشك في معالجة الممتحنين لمختلف المقادير. فقد كانت صواريخهم تزن بين ٥ ـ ٥٠٠٠٠ طن وتتراوح اطوالها بين ٢٦ ـ ١٠٠٠ قدم. وكذلك تغير مقدار السرعة بين ٢٠٠ قدم/ د (حوالي ٢,١٢ ميل / ساعة و ٢٠٠٠٠٠ ميل/ ساعة. اما المسافة بين نقطة الاقلاع ونقطة الهبوط فكانت بين ٦٠ قدما و ١٦٤ ميلا. وكذلك جرى تحويل السرع الى ارتفاعات والاوزان الى عدد الغالونات. وتحايل بعضهم على القضية بتمامها فاسترجع "كميات من الوقود" و "سرعة معينة" وهلم جرا.. اما الوان الصاروخ فكانت احسن حظا، ولعل وضعها ببروز في مستهل النص قد اسهم في الحفاظ عليها بالقياس الى مختلف التفضيلات. ويطلق على هذه الظاهرة اسم "الاولية" في اختبارات التعلم.

٦:٣٧:٩ إن الاضافات والتعديلات والتغييرات التي تجري من خلال توسيع الاستثارة او الاستنتاج تغدو غير قابلة للتمييز عن المعرفة التي يقدمها النص . واذ لم تتوافر لدى مستقبلي النص ، كما ادعينا في (٩:٢٩) اية دافعية للحفاظ على اثر منعزل لعالم نص او لنص بعينه، فان الامر سينتهي بالناس الى العجز عن التفرقة بين ما سمعوه او قرؤوه وبين اسهاماتهم الخاصة. ولعل مرور الزمن يعمل على تعزيز هذه النزعة. وعندما جعلنا الممتحنين ينتظرون خمس دقائق فحسب قبل القيام بالاجابات، عندئذ كانت الاضافات والتغيرات اشد بروزا بالقياس الى المجموعة الضابطة التي ابتدأت الاجابة فور تقديم النص وقد وجد هاري كاي (١٠٢) ان الناس يتشبثون بمالهم من تصورات ولو اتيحت لهم الفرصة لدراسة النص الاصلي. وكلما زاد طول الفترة الفاصلة، زاد تشبث الناس بتصوراتهم الخاصة بدلا من محاولة تحسين الدقة لديهم . ولعل انقضاء الوقت يعمل على تعزيز الثقة التي يمنحها الناس لما ادخلوه من تغييرات .

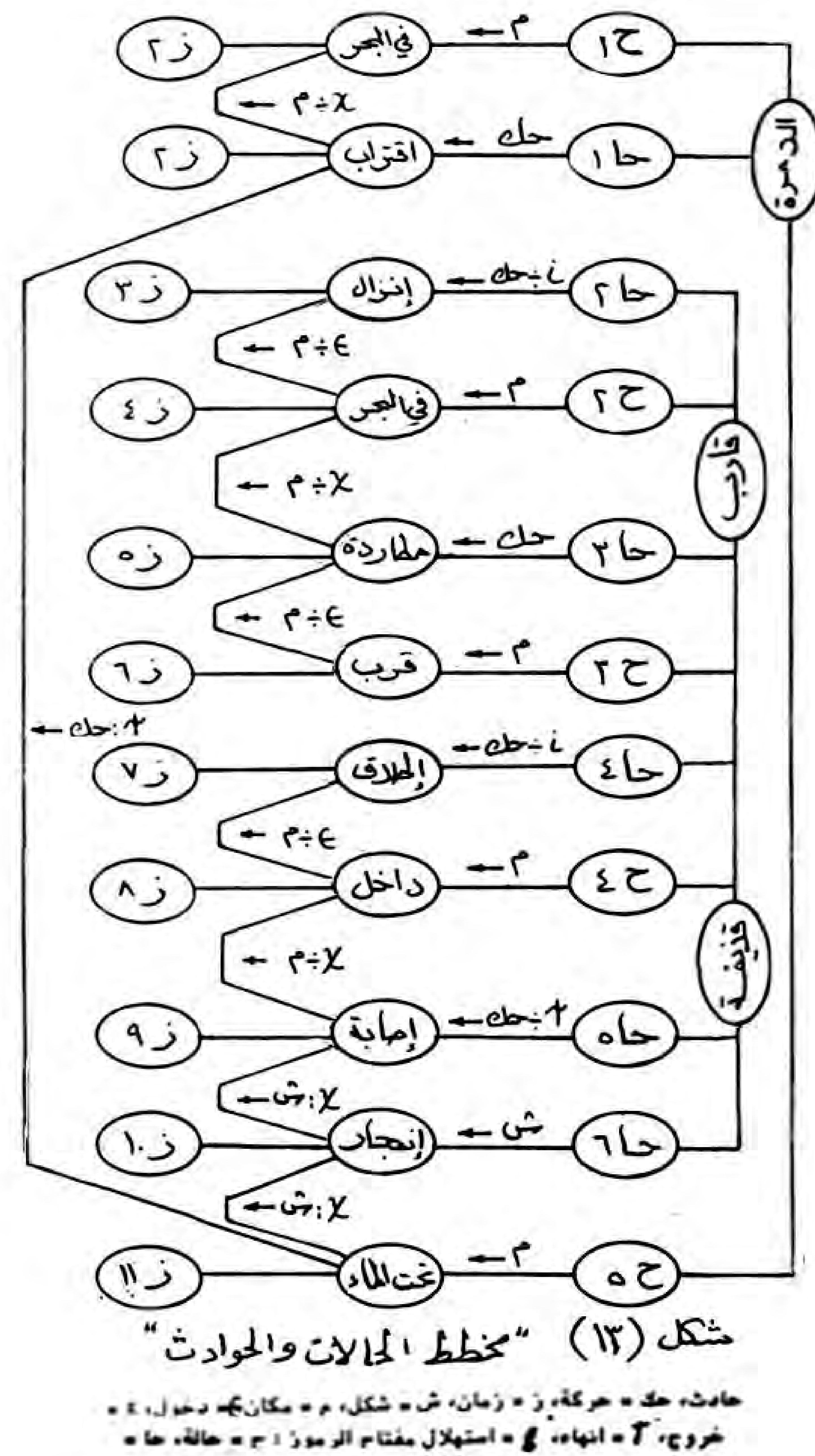
٣٨:٩ لقد تم العثور على هذه النزعات الست لدى جماعات مستقبلين من مختلف الاعمار. وكذلك اجريت طائفة من الاختبارات على جماعة من المتكلمين بالالمانية من ابنائها باسترجاع ترجمة الى اللغة الالمانية، وتم الحصول هنا ايضا على النتائج نفسها، ومنها ان العلماء كانوا "يشاهدون"، ومنها ادخال "الاقلاع" بصفته حادثا استهلاليا في المخطط مما يبرهن على ان المعطيات ليست خاصة باللغة الانجليزية. وبالطبع تختلف الخلفية المعرفية عند الالمان بعض الشيء ، اذ قلما قام هؤلاء ، خلافا للامريكان، بادماج نيومكسيكو في "اريزونا" او "نيفادا" (كما توقعنا في ٤:٣٧:٩)، غير انهم استبدلوا بالتلال الارضية التلال الرملية، وما من شك في انهم كانوا افضل معرفة بمفهوم "الصحراء" منهم بجغرافية الجنوب الغربي من الولايات المتحدة. وكذلك كانت معرفتهم بالكيمياء، افضل من معرفة الامريكان الذين تحدثوا عن "النتروجين" (مادة غير قابلة للاشتعال) بصفته وقودا. اما "الهيدروجين السائل" الذي ورد خطأ في الطبعة الالمانية فقد استرجع كما هو او جرى تصحيحه بحيث اصبح "الاكسجين السائل"، وكان الالمان يميلون الى تذكر وجود "القادة" او "الجنرالات" عند الاطلاق بقدر اكبر من نظرائهم الامريكان (الذين

ركزوا حديثهم على العلماء) ولعل ذلك يعود الى الذكريات الاكثر وضوحا عن صواريخ الحرب. ومع هذا كله، كانت النزعات متماثلة عند الطائفتين الالمانية والامريكية بالرغم من التنوعات في مخزونات المعرفة من الحس العام.

٩:٣٩ ليس من شأن نزعات المعالجة الست، فيما نعلم، القدرة على تقديم تنبؤات دقيقة عن حالة معينة او مستقبل معين للنص . وفي الحق، ان بوسعها التفاعل بسهولة ضمن اشكال معقدة وغير متوقعة مسبقا. ومن الامثلة على هذا، ان بامكان نمط معلوم من المعرفة التي يقدمها النص تحقيق مزاوجة بالغة الجودة مع نمط ما من المعرفة المختزنة بحيث ان المنزلة المفضلة للمزاوجة الجيدة(٩:٣٧:١) يمكن ان يحيدها المحو المطلق لبعض العناصر غير المتزاوجة (٩:٣٧:٣) او المتغيرة (٩:٣٧: ٥). ومن الممكن ايضا الا تكون النتيجة الكلية اكثر دقة في الاسترجاع مما تقدمه مزاوجة متواضعة، بل قد تؤدى خبرة معينة لشخص ما الى معالجة غير متوقعة البتة لعناصر عالم النص، ومن ذلك، مثلا، ما تذكره قارىء امريكي بشأن صاروخ الماني استولى عليه الحلفاء.

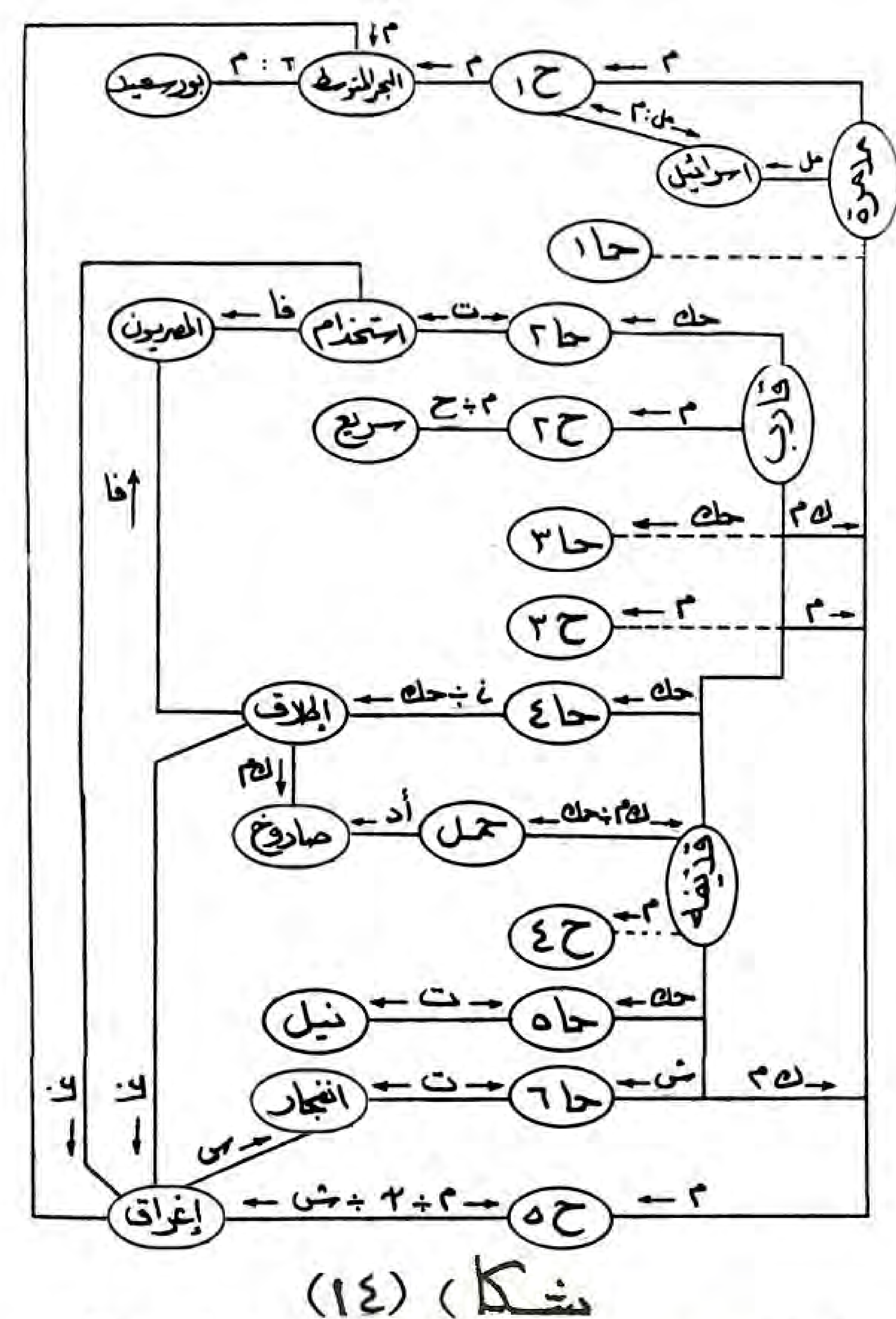
٩:٤٠ وفضلا عن ذلك تنطوى حقيقة ان اجابات الاسترجاع تؤلف نصوصا بذاتها تنطوي على نتائج ذات شأن(٣٠٨). وقد تقوم درجة من التباين بين النص الاصلي واجابة ما لمجرد محاولة الممتحن الحفاظ على النصية في ساعة صنع التقرير. وتؤدي المطالب الراهنة للتضام والتقارن الى استدعاء اضافات وتغييرات وحذوف في المادة. وفي مقامات الحياة الواقعية، تحظى الموقفية بتاثير مهم يتوقف على الظروف التي ينبغى ان يسترجع الناس الاشياء فيها، بل قد تقوم نزعة للحفاظ على الاعلامية من خلال التزيين او المبالغة في تقدير المحتوى بالقياس الى الاصل. وما من شك في ان بعض هذه المعالجات يبدو قائما في "القصص المجهولة" التي يرويها الناس في الارياف .

٩:٤١ تشير هذه الاعتبارات الى ضرورة أخذ النصوصية بالحسبان باعتبارها عاملا من العوامل في البحث التجريبي او الامبريقى في النصوص او في نقل المعرفة بوساطة النصوص . وفي الحق ان للاتصال اهمية لا تنكر



شكل (١٣) "مخطط الحالات والحوادث"

حادث، حك = حركة، ز = زمان، ش = شكل، م = مكان، ٤ = دخول، ٤ =
خروج، ٣ = انهاء، ﻻ = استهلال مفتاح الرموز : ح = حالة، حا =



شكل (١٤)

: اد = اداة، ت = تكافؤ، ح = حالة، حا = حركة، س = سبب، ش = شكل، غا = غاية، فا =
فاعل، كم = كيان متأثر، م = مكان، مل = ملك، قرب، انهاء، = استهلال مفتاح الرموز

لكثير جدا من الغايات في مختلف انواع الظروف ، بيد ان ذلك يتم بوسائل اقتصادية تثير الدهشة. وبقدر قليل مثير للدهشة ايضا من حالات سوء الفهم والخلل. وفي حين يتوجب علينا الا نحاول تحديد وظيفة عناصر اللغة لجميع السياقات التي يمكننا تصورها، يتوجب علينا ايضا الا نعتبر كل نص ممكن نصا فريدا من نوعه بحيث يستحيل استخلاص وجوه انتظام بأي حال من الاحوال. ان المهمة الاساسية لعلم النصوص هي اكتشاف اوجه الانتظام التي يعاد بموجبها اقرار الوظائف التقليدية او تكيفها وفقا للاستعمال الفعلي ذاته.ومن الممكن ان تعتمد فكرة النصوصية باسرها على استكشاف ما للنصوصية من تأثير باعتبارها تحكما اجرائيا مفروضا على نشاطات الاتصال بوجه عام.

٩:٢:٤ يمثل الشكل ١٢ مخططا لاغراق المدمرة (قارن. ٥:١٦). ويشتمل هذا المخطط على تتابع منظم من الحالات والحوادث للعناصر الاساسية الثلاثة وهي تمثل مراكز تحكم في المخطط ونعني بها المدمرة (مركز التحكم العام) والقارب والقنيفة.

وتشتمل شبكة المخطط على بعض حالات الاستنتاج من مثل الاقتراب والمطاردة.

ويمثل الشكل (١٤) تصويرا بيانيا لكيفية الربط بين العقد التي في نموذج عالم النص (ر. شكل ١١) مع عقد المخطط (في شكل ١٢).

في البحث والتدريس

١:١٠ كثيرا ما كانت النظريات والنماذج اللغوية تشيد فيما مضى وفقا لاعتبارات داخلية صرفة مرتبطة بوصف البنى اللغوية. أما قضية إسهام هذه النظريات والنماذج في اسداء النفع للأنظمة الأخرى المتصلة باللغة، أو في مناهج البحث المؤدية الى تحسين المهارات القائمة على اللغة في المجتمع الواسع فهي قضية لم تحظ الا بقدر ضئيل من الاهتمام. ومن جهة أخرى، نجد ان علم لغة النص بصفته قطاعا من علم نصوص متكامل، يولي اهتماما بالغا لمعالجة هذه القضية فبالرغم من كل شيء، يحتاج علم لغةالنص الى تعاون أنظمة المعرفة المقاربة لالقاء الضوء على موضوعات البحث الأساسية فيه. واذا كانت الاجراءات والاستراتيجيات الفاعلة في اثناء انتاج النصوص واستقبالها تخضع حقا لمعايير الجودة والفعالية والملاءمة(ر.ف. ١:٢٢) فلا بد عندئذ من ان يمتلك علم لغة النص من الطاقة ما يجعله قادرا على الاسهام في تعليم اللغة(٢١٧) وسنحاول في هذا الفصل ان نقدم اجمالا لبعض الطرق التي يمكن للمدخل الذي عرضناه حتى الان ان يسدي بوساطتها نفعا للبحوث بين مختلف انظمة المعرفة وكذلك للتعليم المرتبط باللغة.

٢:١٠ ان استيفاء الاستنتاجات، التي يمكننا استكشافها، امر يحتاج الى كتاب قائم بذاته، غير اننا، سنكتفي بمراجعة بعض الاهتمامات من المجالات التي تؤلف النصوص فيها موضوع البحث، او تكون وسيلة تصرف في هذه المجالات وهي: علم المعرفة، وعلم الاجتماع، والانثروبولوجيا، وعلم النفس الاستشاري، والقراءة، والكتابة، والدراسات الأدبية ودراسات الترجمة، وعلم اللغة المقارن، وتعليم اللغات الأجنبية، وعلم الاشارة، وعلم الحاسب الألكتروني .

٣:١٠ يعد علم المعرفة ميدانا حديثا نسبيا، وهو يجمع بين موضوعات علم النفس المعرفي (قارن. ٣:٢٤) وعلم الحاسب الألكتروني(انظر ١:٢٤، ١٠:٢٦ل) (١٠٤،٤٦). وليست النصوص سوى واحد من مراكز اهتمام هذا الميدان . وقد حصل تقدم ملحوظ أيضا في دراسة تنظيم معرفتنا

للعالم في مجالي التوصل والذاكرة البشريين وكذلك في الاستغلال الاجرائي للمعنى (أنظر الفصل الخامس). واذا كنا لا نقوى حتى الان على مشاهدة آليات التعلم والمعرفة واسترجاع المادة ذات المعنى في داخل الدماغ، فان في وسعنا الافتراض مطمئنين بان النشاطات القابلة للمشاهدة للاتصال من خلال النصوص انما يحددها جزئيا تنظيم الذاكرة وطبيعة السلوك ذي المعنى.

١٠:٤ من الجلي الواضح ان الاتصال من خلال النصوص يعد مجالا حاسم الأهمية في بناء نظريات المعرفة بوجه عام. فللنصوص دور اساسي في نقل الحوادث الذهنية حين تتصف هذه الحوادث بسهولة توصل الاهتمام الواعي اليها. ومن بين انظمة السلوك البشري الرمزي، يعد الاتصال من خلال النصوص، النظام الأوفر حظا من الدقة والتفصيل في التمايز، ويعود ذلك الى أنه يتيح لنا الاحتفاظ بالفروق والاتفاق بشأنها في حين ان هذه الفروق عصية على التحديد وعرضة للخلاف ايضا في أشكال السلوك الأخرى. وفضلا عن ذلك، يشتمل الاتصال من خلال النصوص على جميع المهارات الأساسية الضرورية للسلوك البشري العقلاني بوجه عام وهي: أ)مقدرة حل المشكلات ب) مقدرة التخطيط ج) مقدرة صنع الفرضيات واختبارها وتعديلها د) مقدرة مزاوجة الأنماط هـ) سهولة المعالجة للوقائع المحتملة او المتوقعة و) عمق المعالجة للوقائع غير المحتملة او غير المتوقعة ز) مقدرة تقليص التعقيد لمواجهة قيود المعالجة ط) مقدرة الحفاظ على استمرارية الخبرة ي) مقدرة الاسقاط او الاستنتاج لمختلف هذه الميول والنشاطات لدى المشاركين الاخرين فى التفاعل .

١٠:٥ لا يعود الذكاء، فيما نعتقد، الى محض السرعة والدقة في تخزين معرفة نوعية خاصة واسترجاعها، وهو مفهوم خاطىء يجده المرء لسوء الحظ في كل من علمي النفس والتربية، وانما يعود الى القدرة على تطبيق طائفة صغيرة من الاجراءات والمهارات الفعالة على أية مهمة تعرض للمرء او تكييفها بحسب تلك المهمة(٤١٦،١٦). انه يمثل استطاعة المرء العمل بطاقة مرتفعة (أنظر منيسكى وبابرت (٢٨٧)) وذلك بتعرفه على مهمة ما وأدائه لها باعتبارها مثالا خاصا لنوع عام من

العمليات كالتي عددناها في (٤:١٠). ولا بد لعمليات الاختيار واتخاذ القرارات اللازمة في الاتصال من خلال النصوص من ان تقوم بدورها في هذا المستوى من العمق، بحيث يتمكن المحتوى من ان ينتقل والمواقف من ان تعالج دون الاعتماد على نصوص سبق تحديدها. ويستطيع المرء استرجاع الغرض من مقال ما بعد نسيانه لظاهر النص المستعمل(٤٩٤) وكذلك تتم معالجة النحو والمعنى والمعلومات والتخطيط، في مستوى الاهتمام الواعي، بحسب دراسات الانماط ذات الطاقة المرتفعة، للعلاقات والوقائع، وليس بحسب بنى وكلمات خاصة(١٤:٣) وفي الحق ان يوسع البحوث في مجال الاتصال من خلال النصوص ان تقود الى نماذج معالجة ذات نتائج فعالة في تطور الذكاء بوجه عام.

٦:١٠ ومن أجل تلبية هذه الأولويات المتغيرة، يمكننا بناء منظور جديد يتوجه الى معالجة القضايا التي عالجها علم اللغة التقليدي فمن الممكن ان يعاد توجيه عزل الملامح التمييزية، الذي كان يحظى بممارسة واسعة في علم اللغة الوصفي (قارن، ١٩:٢) بحيث ينصب على الملامح التي يرجع المرء اليها فعلا في أثناء ممارسته للعملية اللغوية. ومن الممكن أيضا اعادة توجيه التحليل البنيوي للجمل الملتبسة، وهو تمرين شائع في علم القواعد التحويلي، بحيث يتركز اهتمامه في استراتيجيات المعالجة البشرية المؤدية الى استبعاد اللبس من الاستعمالات الواقعية او الى حل ذلك اللبس. وكذلك شان فكرة "الافتراضات المسبقة" وهي موضوع مناقشات جمة بين الفلاسفة(٤٢٦) فمن الممكن ان تحل محلها نظرية عامة، عن كيفية استغلال المعرفة بالعالم في الاتصال، ومن هذا القبيل ايضا اشتغال علماء المنطق بموضوع "وجود" أشياء مفردة و "شروط صدق" الجمل، ففي وسعنا ان نستبدل بها بحث عتبات الادراك التي يميل الناس عند بلوغها الى التعرف على الأشياء او اعتقاد صحة العبارات (قارن، ٤٠:٥). ولعل القضايا التي استعصت على المعالجة الحاسمة من الجانب التأملي او الجانب الشكلاني ان تغدو قابلة للبت من الناحية التجريبية.

٧:١٠ اذا كان الاتصال من خلال النصوص، كما ذكرنا في (٤:١٠) يشتمل على جميع المهارات الأساسية الموجودة في السلوك البشري العقلاني

بوجه عام، فان النفع الذي يحتويه علم النصوص ينبغي ان يكون بالغ التنوع والسعة؛ افليس كثير من انظمة المعرفة، لا علم اللغة وحده، يتصدى لمناقشة مختلف جوانب حل المشكلات، والتخطيط، واختبار الفروض، والانتباه ؟ اوليست النصوص اشيع وسائط البحث والاستكشاف في العلم ؟ ان منزلة النظريات والنماذج في أغلب العلوم ليست باحسن حالا من منزلة النمط المقبول في المقال، بل ليس في وسع العلماء أنفسهم الانتساب الى المجتمع العلمي ان لم يكونوا قد اكتسبوا ما لهذا المجتمع من أعراف في المقال والمحاورة. ان الارشاد، والوصف، والتفسير والاختبار، والمقابلات، والاستجوابات، وتقارير البحث، وهي جميعا استعمالات شائعة للنصوص، من الأمور التي لا يستغنى عنها العلم، شأنها في ذلك شأن أكثر الأدوات التكنولوجية دقة واحكاما .

١٠:٨ في كثير من أنظمة المعرفة، تدخل النصوص نفسها ضمن موضوعات البحث، فعلماء الاجتماع يهتمون بالأفكار من مثل "التفاعل الرمزي" كما يشرحها ج.هـ ميد وفكرة التفاعل الاستراتيجي كما يفسرها غوفمان وكذلك تبدو المهارات اللغوية واضحة البروز في علم اجتماع التدريس ودراسة الفروق الطبقية الاجتماعية، وفي الانثروبولوجيا نجد العلماء يدرسون القصص الشعبية، والشعائر، والمخاصمات، وغيرها من الأعراف الثقافية المتمركزة حول استعمال بعض انواع النصوص. ثم ان الاطباء النفسانيين وعلماء النفس الارشاديين يعتمدون على المقال العلاجي في اكتشاف الأمراض النفسية ومعالجتها.

١٠:٩ أحرزت ابحاث القراءة تقدما ملحوظا في السنوات الأخيرة، ومن الجدير بالذكر ان في وسع علم النصوص الاسهام في تعريف قابلية القراءة بانها مدى ملاءمة المادة المعروضة للتقبل عند جماعات معينة. ومن قبل، كانت الاختبارات القديمة تعتمد اعتمادا كبيرا على مكونات ظاهر النص من مثل طول الكلمات وتكرارها وتعقد الجمل(٢٢٨،٣١١)، وهي طرق بسيطة تتسم بالمباشرة في التطبيق، ولكنها ليست حاسمة الأهمية في دقة القياس. وكما يشير روثكوبف(٤٦٣) كانت السمة المعجمية التي حظيت بالاهتمام هي الألفة، أما الوضوح والعيانية فقد عانيا من الاهمال التام، وأهمل التنظيم والعرض تماما، وتم تجاهل عوامل

المحتوى. وفي الحق ان الاجراءات الاولى لم تكن تعنى بالنصية فيما عدا بعض العوامل البارزة في التضام.

١٠:١٠ان تقدير التقارن حق قدره يفرض على اجراءات قابلية القراءة ان تاخذ بعين الاعتبار كيفية تفاعل المعرفة التي يعرضها النص مع المعرفة بالعالم (قارن. ٩:٢٧ل). ومن أمثلة ذلك ما تبين من ان قابلية القراءة ستمنى بالضعف عند نزع المادة اللازمة للمزاوجة من عناصر مخطط القمة(٥٣٨). ومن الواضح الجلي ان الأطفال الصغار أنفسهم يستعملون أسلوب المخططات. وكذلك تتأثر قابلية القراءة بالتنظيم الهرمي للمادة وفقا لأهميتها وعمومها(٧٨ ٢٧٩،٣) ولقد أمكن التدليل على ان الفقرات التي يعتبرها الحكام اهم الفقرات هي أوفرها حظا من الحفظ عند مختلف جماعات القراء.

١١:١٠ ومن جهة أخرى، ليس بالامكان أن تتخذ قابلية القراءة الوضع الأمثل بمحض الكد من أجل تحقيق أفضل مزاوجة ممكنة بين المعرفة التى يعرضها النص والمعرفة القبلية بالعالم. ان من شأن النص الناتج ان ينطوي على اعلامية ضعيفة جذريا، ومن ثم يصبح خلوا من إثارة الاهتمام. وهو عيب شائع في معظم مواد القراءة المستعملة في التعليم في الوقت الحاضر. وفي الحق ان القراء سينفقون راضين مسرورين جهودا اضافية في معالجة النص إذا أدت الوقائع المفاجئة الى مولد تبصرات مجزية لديهم. ومن قبل كنا ناقشنا (قارن. ٧:٢١ل) كيف ان نص الغوريلا قد صمم بحسب هذا المبدأ واذن فيجب الا تعرف قابلية القراءة على أنها انفاق أدنى حد من الجهد (على عكس ميرش (٢٦٨)) وانما هي التناسب الصحيح بين الجهد المطلوب والتبصرات الناتجة عنه.

١٢:١٠ يماثل هذا الموقف حال البحث في الكتابة وتدريسها، فقد كانت الطرق القديمة تركز اهتمامها على آليات ظاهر النص كالترقيم والتوافق بين الفعل والفاعل واختلال النحو. وكثيرا ما كان الخلو من الأخطاء في آليات ظاهر النص يعد معادلا للكتابة الجيدة. وفيما بعد، شرع الباحثون(٨٩) يدرسون الترتيب الشكلي للمقال الموسع، وتمكنوا من اكتشاف أنماط نموذجية متنوعة. غير أن المسوغات لفعاليات الأنماط

المختلفة، وطرق التفاعل بين أجزائها وأنفع الأساليب لتحديد تتاليات معينة في خطوات التأليف ـ كل ذلك تمت معالجته بقدر كبير من البطء او التردد، هذا ان كان قد حظي باي قدر من المعالجة(٢٢٨). ومن شأن البحث الاجرائي في عملية اتخاذ القرارات ان يسدي نفعا في التعويض عن هذا الخلل، وينبغي ايضا القيام بعرض واستكشاف للطرق التي يتمكن الكاتب بوساطتها من بناء نموذج معقول لتمثيل جمهور القراء المقصودين بالكتابة، فخلافا للغة المنطوقة، لا تستطيع الكتابة الانتفاع بالتغذية الراجعة المباشرة، ولذا يستلزم الأمر ان تكون الكتابة اوفر حظا في التخطيط والتقييم النقدي(٤٦٥) وينبغي ان يعوض المرء فيها العوامل المساعدة كنوعية الصوت، والتنغيم، وتعبيرات الوجه، بوسائل نصيه محضة لخلق التركيز او لإثارة الاهتمام.

١٠: ١٣دأبت الدراسات الأدبية على تطبيق طرق البحث اللغوي عدة سنوات (ر.ف. ٢: ١١) وهي طرق تناظر الاتجاهات المعاصرة لها في علم اللغة ذاته. ويمكننا العثور على وصف للبنى اللغوية في الدراسات الأولى من مثل دراسات الشكلانيين الروس (مثل أيخنباوم وياكوبسون وغيرهما) والبنيويين من مدرسة براغ (مثل هافرانك وماثيسيوس وغيرهما). وقد كان الوصف يتركز في العناصر والتشكيلات التي تفرد لغة الشعر والأدب من لغة الحياة اليومية، وبذا تؤدي الى ابعادها عن المعالجة "الألية". ان نزع الألية هذا يمكن تحقيقه من خلال "الانحرافات" من مثل التعبيرات الجديدة النادرة(٢٩٤) او النحو المحرف. كما يمكن تحقيقه من خلال فرض تكافؤات تفصيلية ليس بوسع لغة الحياة اليومية ابرازها. وفي كلتا الحالتين كانت البنى المعنية توصف من وجهة نظر ذات طابع استاتيكي في جوهره.

١٠: ١٤ في ابان ازدهار علم القواعد التحويلي، طرحت بعض الاقتراحات لبناء "علم شعر توليدي" اي بناء فرع خاص من علم القواعد غايته "توليد" بنى أدبية من خلال قوانين معدلة. غير انه تبين تدريجيا ان من المستحيل بناء مثل هذا العلم من أجل اية طائفة كبيرة من النصوص، فمن شأن التنوع في الأدب والشعر ان يؤدي الى توليد كثرة هائلة من القوانين الخاصة، وفي اسوأ الحالات يستلزم الأمر عددا من هذه

القوانين من أجل مثال وحيد فحسب. وكذلك تقوم القوانين بتوليد كثير من البنى غير المرغوبة التي لا يعثر عليها المرء في اية نماذج. وفي الحق ان الكثرة الهائلة المتولدة عن علم القواعد سوف تتيح في خاتمة المطاف توليد اية بنية يتصورها الذهن وهذا يعنى عدم تفسير اي شيء البته.

١٠:١٥ لم يتمكن اي من المدخلين الوصفي والتحويلي من ان يقدم اية محاولة منسقة لمعالجة بدلية عوالم النص، وهي خصيصة مميزة للأدب والشعر (ر.ف. ٩:٨ل). وادى هذا الى اهمال الوظائف الاجتماعية والمعرفية في المقال الأدبى او الى معالجتها معالجة هامشية ليس غير: كان النص الشعري يؤخذ على انه نص يدور حول ذاته، مستقطبا اهم المستقبلين بكليته الى شكل اخراج الرسالة المقصودة ومن ثم اعفائهم من أية تبعات عملية مترتبة على التفاعل الاتصالى.

١٠:١٦ ليس من شأن الانحرافات سواء أكانت لذاتها ام من أجل العبث باللغة ان تكون كافية لتفسير ما للنصوص الأدبية والشعرية من منزلة كبيرة في السياق العام للمقال الاجتماعي وفي تاريخ الأدب ما يشير الى ان القيمة التي تضفى على نص أدبى عبر السنين ليست نتاجا مباشرا لحظ ذلك النص من الانحراف ولولا ذلك، لكنا نفضل جرترودشتاين على ارنست همنغواي. والحق ان التقييم يعكس الاثراء الكامن في طبيعة التبصرات التي ينطوي عليها خفض منزلة الوقائع المفاجئة من خلال العثور على دافعياتها الاتصالية (ر.ف. ٧:١٢ل) وكذلك شأن رفع منزلة الوقائع المنتظرة من خلال ملاحظة ما لها من أهمية خاصة. ان المفارقات والانقطاعات في النصوص الأدبية تبلغ اقصى غايات فعاليتها اذا تمت مزاوجتها مع نظائرها في النموذج المستقر اجتماعيا للعالم الواقعي (قارن. ٤:١٩، ٧:٤٠، ٨:٩). ومن أمثلة ذلك ان ما تتمتع به كتب "اليس في بلاد العجائب" للويس كارول انما ينجم عن اسلوب الامتاع الذي تمارسه دلالة الوقائع غير العقلانية في عالم النص على الاعراف الاعتباطية والسخيفة في أغلب الأحيان عند المجتمع الفكتوري واساليب معاملته للأطفال.

١٠:١٧ دللت الصفوف التجريبية التي ادارها ر. ديبوغراند في جامعة فلوريدا على ان هذه الرؤية هي رؤية نافعة تماما في التعليم الأدبي لجمهور عريض من المستقبلين غير المتخصصين. وسرعان ما يصبح الطلاب ذوي مهارة في اكتشاف الدوافع لجميع أنواع الوقائع غير العادية في الشعر، وهي وقائع قد تكون غير قائمة في اطار التحكم الواعي عند منتج النص. وكثيرا ما يعوزنا التوصل الموثوق الى المقاصد الفعلية لمنتج النص الا من خلال الاعتماد على البينات التي يحملها النص ذاته. وفي الحق ان أفضل المقاصد يمكن ان تكون غير ذات صلة، اذا عجز معاصرو النص عن استغلاله بدون الاعتماد على المعرفة الشخصية التفصيلية من مصادر اخرى. وانه ليبدو لنا قيام ارتباط ما بين الأحكام الحدسية عن القيم، والنصوص الأدبية، ومدى اثارة الدوافع للاهتمام من جهة وبين التبصرات التي تحدثنا عن كيفية اكتشافها آنفا من جهة أخرى

١٠:١٨ لا نزاع في ان هذا المدخل اوسع نطاقا من المدخل التقليدي لعلم اللغة، ففي وسع الدراسات الأدبية ان تنتفع كثيرا من علم نصوص متعدد الأنظمة، وقد زودنا س. ج. شميدت(٤٨٦،٤٨٥) باطار نظري للدراسات الأدبية في السياق الأوسع للفعل والتفاعل الاجتماعيين. والحق ان بوسع البحث في النصوص الأدبية ان يتسع ليشتمل على البحث في استعمال النصوص الأدبية(٥٧٠). وهكذا يصبح النقد الأدبي موضوعا للبحث مثلما هو وسيلة له. بل ان ردود الفعل النقدية، حتى عند عجز النقاد عن الاتفاق بشان دوافع هذه الواقعة او تلك في نص ما، تظل تقوم بدور التوثيق لوجود تلك الوقائع واثارتها للاهتمام. والنقد في جوهره نشاط يحقق خفض المنزلة (اي العثور على دوافع من أجل مكاملة الوقائع الضعيفة الاحتمال) ورفع المنزلة (اي العثور على دوافع اكثر تخصصا للوقائع اليومية العادية). وكلما كبرت المكافأة التي يقدمها النص ازداد انتشار حالات خفض المنزلة ورفعها في الكم وفي تلبية الحاجات. وفي نصوص شكسبير مثلا، يجد المرء دوافع بارزه متعددة الجوانب لانتخاب خيارات اللغة وترتيبها. ولا تكون حالات خفض المنزلة عند ناقد ما "صحيحة" او "خاطئة" بل تكون أوفر حظا من الخطأ او أقل حظا منه في مجالات الاحتمال والاقناع والاثراء .

١٩:١٠ ويستطيع علم النصوص ان يسهم ايضا في دراسات الترجمة. فالترجمة تشتمل قبل كل شيء على تحقيق اللغة، ولذا فقد ادى اشتغال اللغويين التقليديين بالأنظمة الافتراضية القائمة بذاتها الى اعاقة حركة تطور نظرية الترجمة. وقد اصبح هذا الأمر صارخ الوضوح عندما اتخذت الأنظمة الافتراضية اساسا وحيدا لترجمة الالة: لقد تبين ان الحاسب الالكتروني المعتمد على علم القواعد وعلم المعجم وحدهما (وهما نظامان افتراضيان) عاجز عن العمل الموثوق وذلك لعجزه عن تقييم السياقات. اما الحاسب الألكتروني المزود بمعرفة قبلية عن العالم فافضل حالا، اذ انه يستطيع البت بشان المفاهيم والعلاقات التي تحظى بالتفضيل في ربطها معا ضمن عالم النص. وسيكون نموذج التفضيل المشتمل على جميع عمليات اللغة افضل بدوره من ذلك النموذج ايضا، كان يكون مشتملا على تفضيلات بشان اسقاط عوالم النص على ظاهر النصوص وعلى تجسيد المقاصد والخطط من خلال افعال المقال، وعلى ربط النصوص بمواقف الوقوع وما الى ذلك من أمور. اما التكاليف الكبيرة التي تستلزمها برمجة جميع التفضيلات في الحاسب الألكتروني فستجد تعويضا عنها في المدى البعيد في الترجمة المرضية والأوفر حظا من الذكاء.

٢٠:١٠ بقيت الترجمة البشرية غرضا لخلاف طويل الأمد للمقابلة بين المدخل "الحر" والمدخل "الحرفي" في الترجمة. ويعكس هذا الخلاف أراء غير دقيقة مفادها قيام تكافؤات لعناصر اللغة بمعزل عن مقام وقوعها، وان مثل هذه التكافؤات تتصل بالاستعمال الواقعي للغة. اما المترجم "الحرفي" فيقوم بتحليل النص الى عناصر مفردة (أو مجموعات صغيرة من العناصر) ثم يستبدل بكل منها عنصرا (او مجموعة عناصر) مناظرا في اللغة المترجم اليها. وأما المترجم "الحر" فيقدر وظيفة النص بتمامه في المثال ثم يبحث عن العناصر التي تحقق تلك الوظيفة في موقف ما من اللغة المترجم اليها. وليس نجاح اي من المدخلين او فشله من الأمور المحققة، فالترجمة المفرطة في حرفيتها قد تكون مضطربة بل غير قابلة للفهم أحيانا، في حين ان الترجمة المسرفة في تحررها قد تؤدي الى تفتت النص الاصلي وغيابه التام.

١٠: ٢١ ان تكافؤ الترجمة مع الأصل لا يعدو ان يكون تكافؤا بين خبرات المشاركين. ويعود المصدر الأكبر لفقدان ذلك التكافؤ الى ادماج المترجم خبراته في النص نفسه، دون ان يترك للمستقبلين شيئا يذكر يقومون به. وللتغلب على هذا الاتجاه، ينبغى ان يعمل المترجم جاهدا على نقل النوع الواحد من الخبرة بالنوع الواحد من مادة اللغة، وان يكون ما يدخله من توسيع او تخفيف او تعديل على مكونات النص رهنا بتصغير الاختلاف في التجربة ليس غير. اما حلول عناصر النص في اللغة المترجم اليها ضمن مواقع من أنظمتها الافتراضية على النحو الذي حلت به عناصر النص الأصلي في المواقع المناظرة فيعتبر أمرا ثانويا حقا، وكثيرا ما يؤدي ذلك الى وقوع صراعات غير ضرورية وغير قابلة للحل.

١٠: ٢٢ تتجلى هذه الاعتبارات بوضوح مؤثر في الترجمات الأدبية. وكما أشرنا قبلا، تنتفع النصوص الأدبية والشعرية بالتنظيمات البديلة للعالم او للمقال عن العالم في استخلاص نشاطات معالجة خاصة لدى المستقبلين. واذا تدخل مترجم الشعر او الأدب في هذه التنظيمات فان تكافؤ الخبرة يغدو أمرا مستحيلا. وما أكثر ما يدمج المترجمون في النص نشاطات معالجتهم الخاصة له ومنها حل المشكلات، واختزال تعدد المعاني، وازالة اية مفارقات او انقطاعات وما الى ذلك من أمور. وسرعان ما يجد مستقبلو الترجمة أنفسهم آنذاك وقد صودرت مهماتهم الذهنية. وانما ينبغى للمترجم، بدلا من ذلك، ان يقوم بتحليل النص، وتحديد ردود الفعل المحتملة عند المستقبلين، وذلك للحفاظ على ما يمكنهم الاحتفاظ به من ذلك المدى. ومن الواضح الجلي ان هذه المهمة ستفيد من علم النصوص الذي تعالج فيه عناصر اللغة وبناءها من خلال منظور المعالجات والعمليات.

١٠: ٢٣ ينبغى ان يتم توسيع علم اللغة المقارن، الذي يولي اهتمامه لدراسة الفروق بين اللغات، بحيث يغدو مواجهة بين استراتيجيات النصية. اما الاقتصار على المقابلة بين الأنظمة الافتراضية،الذي نجد أحد اشكاله المتطرفة عند جون كاتفورد(٧٧) مثلا، فانه يعجز عن تبيان كيف يمكن الانتفاع بمختلف اللغات في التعبير عن أغراض متماثلة او متطابقة في التفاعل البشري. وفي الحق ان الاشتغال بالفروق بين

الأنظمة الافتراضية ولا سيما علم القواعد/النحو وعلم المعجم كما يشير جورج مونن (٢٩٢) سيؤدي بالمرء الى افتراض استحالة قيام الترجمة في النظرية والتطبيق على حد سواء. ومن جهة أخرى نجد في علم الاساليب المقارن "عند فينه وداربلنت(١٥٥) تبيانا لوجوه الشبه والاختلاف بين الأنماط الثقافية للاستعمال الواقعي. وبالرغم من ان المعايير التي يضعانها هي معايير انطباعية، في كثير من الأحيان فانهما يستوعبان بعض الحالات القياسية المهمة التي يمكن ان يتناولها البحث الاجتماعي والسيكولوجي بشيء من التفصيل التجريبي.

٢٤:١ يتعرض تعليم اللغات الأجنبية للمخاطر في الوقت الحاضر، وما أكثر ما يعد الناس عجز معظم المتعلمين عن اكتساب لغة جديدة، بقدر كاف، وضعا طبيعيا. وفى أمريكا ما يزال المدخل السلوكي المسرف، والمعروف بالطريقة "المباشرة" او الطريقة "اللسانية السمعية" وفيها يعتبر استعمال اللغة آلية منبه استجابة بسيطة ما يزال هذا المدخل قائما بالرغم من سقوط النظريات السلوكية في التعلم في مجال علم النفس ذاته (قارن. ١٢:٦) وكذلك بالرغم من هبوط سمعته في بريطانيا واوروبا حيث تفضل عليه الطرق اللغوية الموجهة صوب الاتصال(٥٦٩،٥٧٦). ومن الواضح ان قدرة الاتصال من خلال اللغة تعد مكافئة لقدرة تكوين الأنماط النحوية والنماذج القواعدية بالاعتماد على قوائم مفردات مجمعة بطريقة غير منهجية، دون ان تتاح للمتعلمين فرصة المواجهة الكاملة لاستراتيجيات التحقق، وهي استراتيجيات لا يكون لعلم القواعد / علم النحو وعلم المعجم اي شأن عملي يذكر بدونها، ونعني بذلك كيفية ربط النصوص بالمواقف او بالخطط والأهداف. بل ان المتعلمين يحملون على التصرف وكأن اتقان علم القواعد هو الأولوية العليا عند التفوه باي شيء (هذا هو المعيار المألوف للتقييم والاختبار على الأقل) مما يجعل اولئك المتعلمين عاجزين عن التفوه باي شيء. ويستطيع علم النصوص الاسهام في اعداد اولويات جديدة وفي اختيار قوانين واجراءات ومجالات كافية للاتصال من خلال النصوص في نطاق محدود(٥٧٢).

٢٥:١٠ ما يزال "علم الاشارة" الناشيء (اي دراسة الاشارات) وهو أحد الأنظمة العليا للمعرفة مفتقرا الى نظرية موحدة عامة. فهناك تنوع كبير في أصناف الاشارات من كلمات مكتوبة، وصور خطية، وعلامات موسيقية، وصور زيتية، واشارات يدوية، وهلم جرا. ان وحدة الاشارات (ومن ثم علم الاشارة نفسه) تكمن في الطبيعة المنهجية لوقوعها في اطار النشاطات البشرية. وبالمعنى الواسع، يمكننا اعتبار اية تشكيلة ذات معنى من الاشارات نصا من النصوص، حائزا على صفة النصية بالضرورة. وترد كل اشارة مفردة في نظام واقعي يقوم بتنظيم وظيفة الاشارة ومعناها ويحددهما أيضا. ومن الممكن توسيع علم النصوص اللغوية وتعميمه بحيث يعالج جميع أنواع نصوص الاشارات. فالأفلام والأعمال الفنية، ولوحات الاعلان، والحفلات الموسيقية، والاجتماعات السياسية، والألعاب كل هذه الحوادث وكثير غيرها، يتألف من عناصر متضامه متقارنة لها صلتها باتجاهات المشاركين وأهدافهم في الموقف. ونفترض هنا قيام شرط مسبق لاكتساب الاشارات وتخزينها واستعمالها وهذا الشرط هو ضرورة اسهامها في نصية مقامات وقوعها المناظرة لها.

٢٦:١٠ يمر علم الحاسب الالكتروني الان بمرحلة من التطور السريع. ونجد عند تيري فينوغراد(٥٨٢) مناقشة لموضوع الطلب المتزايد لبرمجة من مستوى اعلى وفيها لا ينصب الاهتمام على العمليات الرقمية المفصلة بل على "معالجة المكونات والأنظمة المعقدة". وما دامت قدرة الحاسب الألكتروني مقتصرة على تنفيذ تتابعات محددة المعالم من الخطوات على معطيات لها شكل اخراج محدد بدقة من قبل، فان المبرمجين سيواصلون القيام بتعديلات او استبدالات للبرامج الغالية الثمن القادرة على اجراء مهمات نوعية خاصة فحسب. أما الحاسب الألكتروني الذكي فمن الممكن برمجته بحيث يتصدى لمدى واسع من المهمات دون فرض قيود بالغة الصرامة على شكل اخراج المعطيات (٥٠٦،٥٥٢،٣٤٢) (قارن. ٥:١٠) ومن امثلة ذلك ضرورة تمكن الحاسب الالكتروني من العمل انطلاقا من وصف "غير رسمي" لمجال المهمات(٢٠٩). ويستلزم هذا النوع من البرامج "رؤى للعالم" (٥٨٢) اى معرفة لكيفية تنظيم المواقف والحوادث في العالم الواقعي، من أجل فهم مهماته، ومن أجل العمل بدون اللجوء الى التفتيش والارشاد المستمرين.

١٠:٢٧ إن للبحث في تطوير أنظمة الحاسب الألكتروني الذكي تأثيرات مهمة في علم النصوص . ومن قبل كنا قد انتفعنا في هذا الكتاب بكثير من الأفكار والمقترحات عن "الذكاء" الصناعي في الحاسبات الألكترونية. وكانت الغاية من هذه الاسهامات هي تحسين التفاعل بين الناس والآلة وخصوصا حين تكمل قدرة كل منهما قدرة الاخر. ففي حين تتصف الحاسبات الالكترونية بسرعة الحسابات وارتفاع تكلفة التخزين نجد لدى البشر سعة تخزين هائلة وبطء ما في القدرات الحسابية (٣٥٨) وفي حين تستطيع الحاسبات الألكترونية استرجاع اي قدر مرغوب فيه من المواد بدون خسارة او وقوع أخطاء في فترات زمنية طويلة، يعجز أكثر الناس عن تحقيق ذلك. وفي المقابل، يستطيع الناس التعرف على ارتباطات وأنواع دقيقة من القياسات المنطقية، ما تزال بمنأى عن متناول الحاسبات الألكترونية(١٠٦). واذا كانت التحسينات المطلقة في سعة الذاكرة البشرية وفي سرعة اداء الحسابات ما تزال حلما غير متحقق، فان قدرات الحاسب الألكتروني قد حظيت بتوسع هائل حقا في السنوات العشر الماضية: أجل، ليس في وسعنا اكتساب صفات الآلة، فيما يظهر، غيران في وسع الآلات ان تصبح اكثر اتصافا بصفاتنا نحن البشر.

١٠:٢٨ ومن جهة اخرى، يمكننا اتخاذ الذكاء الصناعي ايضا مصدرا لنماذج المعالجة البشرية للمعلومات. ففي علم المعرفة، وهو حقل معرفي جديد(قارن. ١٠:٣ل) كثيرا ما تختبر النظريات المتعلقة بنشاطات الذهن البشري ببناء نماذج لها في الحاسب الألكتروني. والباحثون متفقون على ان النماذج الفاعلة الان هي أبسط من المعالجة البشرية للمعلومات بقدر كبير (قارن. ٢:٢٥) غير ان هذه النماذج قد بلغت منذ أمد ما حدا من التعقيد يتجاوز كثيرا نطاق النظريات التقليدية في علم اللغة وعلم النفس. والحاسب الألكتروني وحده هو الذي يتيح لنا ان نختبر بطريقة مباشرة ان كانت نظرية رياضية او نظرية اجرائية في المعرفة او الاتصال ممكنة الوقوع في أثناء الزمن الواقعي. والحق ان بوسعنا ومن واجبنا ايضا ان نحدد التفصيلات الدقيقة التي يمكن ان تبقى مكنونة في ضمير الاختيارات البشرية. خلاصة القول: ان بوسع الحاسبات الألكترونيةان تنقلنا من مجال فهم المعطيات الى مجال اوسع هو فهم الفهم ذاته.

١٠: ٢٩ يتوجب علينا، في هذا الجو المتفائل، ان ننهي ما أجريناه من مسح للغويات النص ، ونأمل ان نكون قد أجملنا القضايا الأساسية فيها اجمالا نافعا غير مسرف في الفنية . وبالرغم من ان بعض هذه القضايا ما تزال بعيدة عن الحل، الا ان الباحثين يكتسبون، تدريجا، تبصرات ذات شان في طبيعة المسائل الجديرة بالبحث. ان طبيعة النصوص بصفتها موضوعات بحث، تستدعى بوضوح اعادة تقييم لعلم مناهج اللغويات التقليدية. وسوف يؤدي تعريفنا النصوص على انها وقائع اتصال فعلية، الى ان نأخذ بالحسبان جميع عوامل الضبط والمعالجة في المقامات الواقعية. وعسى الا يؤدي توسيع مجال عملنا الى زيادة في حدة تعقيد البحث والتطبيقات كما هو متوقع. ان حقيقة استطاعة الناس وأداءهم الفعلي للاتصال الناجح في مدى هائل من المقامات يشير الى ضرورة وجود طائفة محدودة من الاستراتيجيات المنتظمة والفعالة، العاملة بالفعل، ومنها ما اقترحناه في(١٠: ٤). وقد تكون محاولات البحث اللغوي لعزل بعض الأنظمةالمفردة (كعلم أصوات اللغة، وعلم الصرف، والنحو، وغيرها) ولإبقاء اللغة بمعزل عن كل ما عداها قد أدت بذلك البحث الى المكوث في مستوى سطحي ازدادت معه حدة التعقيد في الدراسة بدلا من تقلصها. اما في مستوى اكثر فعالية فيمكننا استشراف صورة ذات حظ أوفر من البساطة والوحدة للغات الانسانية.

الفصل الحادي عشر

تحليل نص من القران الكريم

١١:١:أ مقدمة:

كنا قد عالجنا في الفصول السابقة نصوصا ماخوذة من مقالات مختلفة من اللغة العربية في شكليها القديم والحديث على حد سواء، وقد حظي نص المدمرة ايلات لأحمد زكي باكثر من جانب من جوانب المعالجة في النصية .

الا ان النص المذكور لم يحظ بالمعالجة المتكاملة من جميع جوانب النصية في موقع واحد، وعليه فاننا نرى من المفيد تطبيق النظرية بجميع جوانبها على نص عربي واحد، وحيث ان النص المذكور اعلاه هو من نصوص اللغة العربية الحديثة فقد اثرنا اختيار النص الاخر من طراز مختلف، وهو الاية الكريمة، رقم ٤٤، من سورة هود وهي:

" وقيل يا أرض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقضي الامر، واستوت على الجودي، وقيل بعدا للقوم الظالمين".

وربما كان من الأفضل معالجة النص الكامل لقصة الطوفان "في سورة هود (الايات ٢٥-٤٨)، غير اننا اقتصرنا على معالجة هذا الجزء من النص لصعوبة احتواء المعالجة الشاملة للنص بتمامه في هذا الحيز من الكتاب .

١١:١:ب الدراسات السابقة للنص:

يكاد يكون هذا النص هو النص العربي الوحيد الذي حظي بدراسات كبار علماء البلاغة في مختلف العصور ومنهم:

١) عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في كتابه دلائل الاعجاز
٢) السكاكي (ت ٦٢٦هـ) في كتابه مفتاح علوم البلاغة
٣) القزويني (ت ٧٣٩هـ) في كتابه الايضاح
٤) العلوي (ت ٧٤٩هـ) في كتابه الطراز
٥) الالوسي (ت (١٢٧٠هـ) في كتابه روح المعاني

بل ان بعض المهتمين بهذا النص قد أفردوه بمصنفات خاصة .

وقد اتبعنا هذا الفصل بملحقين من دراسات علماء البلاغة لهذا النص احدهما لعبد القاهر الجرجاني والأخر للعلوي، وبملحق ثالث لتفسير

معربات الاية من مختلف كتب التفاسير).

١١:١:ج منزلة النص عند القدماء

اتفق العلماء على تقسيم الاعجاز في القران الى مراتب، بالرغم من أنه معجز بجميع اياته، واتفقوا على ان هذه الايه قد بلغت من مراتب الاعجاز اقاصيها وقد روى الأقدمون حوادث شتى تشير الى ذلك منها(٦٥٠:ج١:ص٢١١) ولما ارادت قريش معارضة القران عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضان والخلوة الى ان بلغوا مجهودهم. فلما سمعوا قول الله عز وجل (وقيل يا ارض ابلعي ماءك، ويا سماء أقلعي، وغيض الماء وقضي الامر، واستوت على الجودي، وقيل بعدا للقوم الظالمين) يئسوا مما طمعوا فيه، وعلموا انه ليس بكلام مخلوق.

وروي ايضا(٦٥١:ج١٢:ص٩٠):"ان ابن المقفع وكان -كما في القاموس - فصيحا بليغا، بل قيل انه افصح أهل وقته، رام ان يعارض القران فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا ، فاجتاز يوما بصبي يقرؤها(الايه المذكورة) في مكتب فرجع ومحا ما عمل وقال: أشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر"

وذكر الالوسي ان الشيخ علاء الدين جمع في هذه الايه ما ظهر له من مزاياها فبلغ ذلك ١٥٠ مزية (٦٥١: ج١٢:ص١٠١).

١١: ٢ سوف نقسم الايه من اجل تسهيل الدراسة الى ستة أقسام كما يلي: وقيل يا ارض ابلعي ماءك (١) ويا سماء اقلعي (٢) وغيض الماء (٣) وقضي الامر(٤) واستوت على الجودي(٥) وقيل بعدا للقوم الظالمين (٦) .

وقبل البدء بمعالجة هذا النص من خلال معايير النصية السبعة، نذكر هنا بان النصوص بوجه عام تختلف فيما بينها من حيث التنظيم الخاص بكل منها، ونلاحظ، في هذا النص، ان قواعد التنظيم الذاتي للنص (ر.ف.٣:١٤)وهي الجودة والفعالية والملاءمة (ر.ف.٣:٩)متحققة جميعا

محك الجودة: تتوافر جودة النص نظرا لما يتمتع به من يسر في المعالجة، ففي النص تقنيات عدة تعمل على تحقيق ذلك منها:

١) الموازاة بين الجمل مثل: يا ارض ابلعي، ويا سماء اقلعي، ومثل: وغيض الماء وقضى الامر (ر.ف. ٤:٣)

٢) التكرار:

ففي النص تكرار لأنماط نحوية من مثل الموازاة انفا ولانماط صرفية تتمثل في صيغة المبنى للمجهول مثل قيل (١)، وقيل "(٦)"، وكذلك تكرار لفظة "ماء" في (٢) و (١) وفي النص ايضا تكرار صوتي (جناس) في كلمتي ابلعي واقلعي (ر.ف ٤:٣، ٤:١٢-١٧).

٣) قصر المنطوقات:ان النص مؤلف من منطوقات قصيرة مما يتيح تخزينا نشطا قصير المدى في ذاكرة المستقبل (ر.ف. ٣:٢٦).

٤) التعريف والتنكير: تتصف ماء "في"ماءك" في(١) بالتعريف لاضافتها الى "الكاف" وكذلك يفترض التعريف الوارد فى كلمة "الماء" فى (٢) امكان تزويد المحتوى بسهولة من خلال فراغات المعرفة المثاره قبلا فى(١) .

أما التنكير المقصود في النداء:"يا أرض " و "يا سماء" والذي تشير اليه علامة الضم، فيقوم بوظيفتين أساسيتين اولاهما: تقليص زمن اصدار الأمر الى المكلفين، بدلا من اطالته بقول " يا ايتها الارض " و " يا ايتها السماء" مثلا، قبل اصدار الامر وهو "ابلعي و أقلعي".وثانيتهما: التصغير من منزلة المخاطبين.

ويعود تعريف الأمر في (٤) لاشارته الى اسم سابق هو "أمرنا" و "أمر الله" فى الايات السابقة (٤٠،٤٣)، اما تعريف القوم في (٦) فيعتمد على تخصيصها بالتعريف التالي لها وهو "الظالمين" (٤).

٥) الأشكال البديلة: تعود الضمائر في"ابلعي ماءك" و"اقلعيّ الى أسماء بالغة القرب منها، ولذا نجدها تسهم في يسر المعالجة أما علامة التانيث وهي التاء في استوت فتساعد على التعرف على المسند اليه ويقصد به الفلك -السفينه- برغم ورود الفعل بعد فاصل كبير عن المسند اليه مما يسبب اشكالية مؤقته في تفهم النص، غير ان المستقبل يحل هذه الاشكالية بخفض المنزلة الخلفي (ر.ف. ٧:١٢ل).

وينطوي النص ايضا على اضمار في الفعل "اقلعي" وتحل إشكالية

الاضمار هنا بالاعتماد على توسيع الاستثاره(ر.ف.٥:١٢) والاستنتاج (ر.ف.١:١١،٥:٢٢ل) في ضوء المعطيات السابقة في "يا ارض ابلعي ماءك" وقصة الطوفان في النص السابق ، وكذلك من خلال معرفتنا القبلية بالعالم فالسماء ستقلع عن انزال المطر كما يحدث فى واقع التجربة البشرية المعروفة .

ان التقنيات السابقة، وغيرها من وسائل التضام، تساعد جميعا في تفريغ ذهن المستقبل من مهام المعالجة النحوية، وتوجيه نشاطه الذهني صوب ادراك العلاقات والمفاهيم .

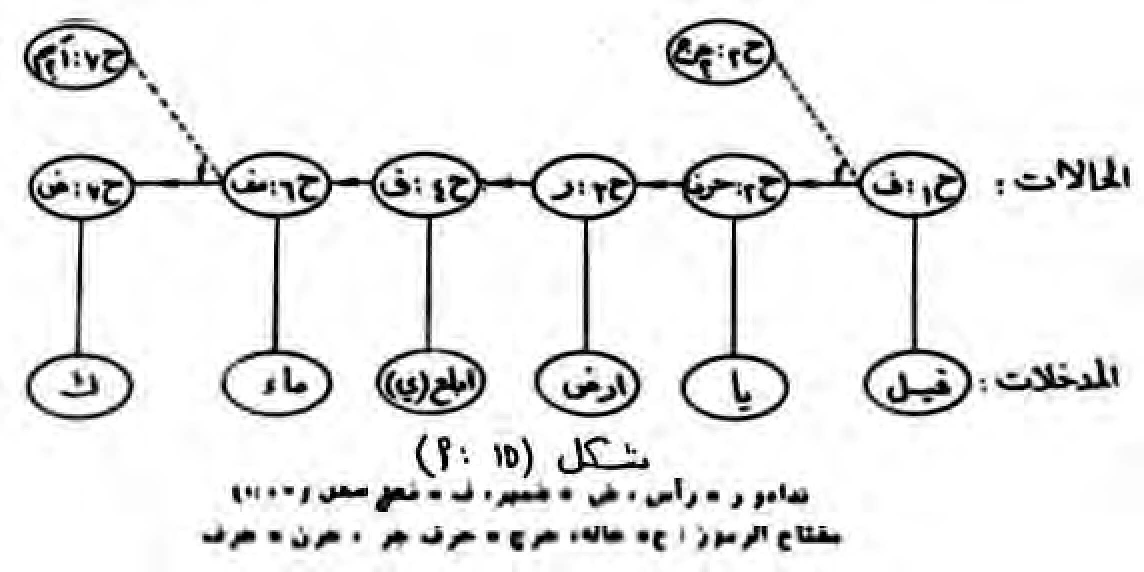
محك الفعالية : أما فعالية النص ، او شدة التاثير في المستقبل، فتمثل في عمق المعالجة من خلال المنطوقات ذات الاشكالية المرتفعة من مثل فجوات (ر.ف. ٥:٢٢،م:٧) المبني للمجهول في قيل (١)، وقيل (٦) وقضي(٤)، وارتفاع المنزلة الاعلامية في الامر(٤)، وفي البحث عن الفاعل في استوت(٥). ويتم خفض المنزلة الاعلامية في الحالتين الاخيرتين من خلال النصوصية (ر.ف.١١:٧).

محك الملاءمة: أما المحك الثالث في قواعد التنظيم وهو الملاءمة فسنرى انه متحقق ايضا لأن النص متضام (ر.ف.١١:٣) ومتقارن (ر.ف ١١:٤) ومتوجه ضمن خطة (ر.ف. ١١:٦) الى هدف محدد على النحو الذي تتصف به النصوص القرانية .

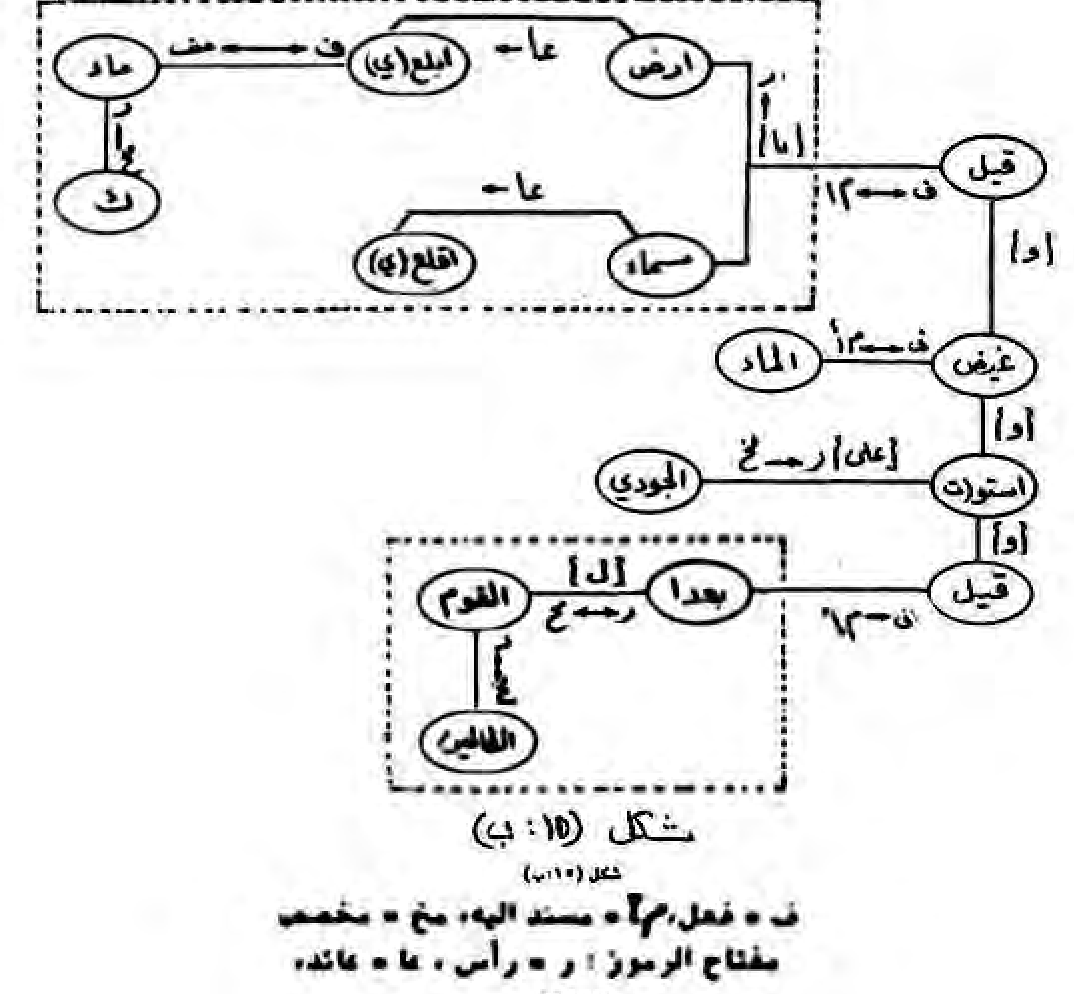
١١:٣ التضام: ذكرنا في البند السابق عددا من التقنيات (انظر محك الجودة في ١١:٢) التي يتحقق بها تضام النص وسنكتفي هنا بدراسة الشبكة الانتقالية القواعدية (ر.ف. ٤:٥-١٠) في مرحلتيها التكوينية والنهائية.

ويقدم الشكل (١٥:أ) تمثيلا لمعالجة القسم(١) من النص في مرحلة المعالجة الاولية وهو "قيل يا ارض ابلعي ماءك".

ان المعالج عند استقباله لكلمة "قيل" يتوقع، كافضلية، حرف جر (جزءا من عبارة جر) من اجل تعيين الشخص الذي يوجه اليه الحديث اي المخاطب (لنوح مثلا)، غير ان هذا التوقع لا يتحقق عمليا، وانما يجد المستقبل نفسه ازاء اداة النداء "يا"، وهنا يتوقع، "رأسا" لعبارة اسمية كافضلية بالقياس الى توقعات اخرى مثل "ايها" او "ايتها"، ويجد ذلك



شكل (١٥ : ٤)

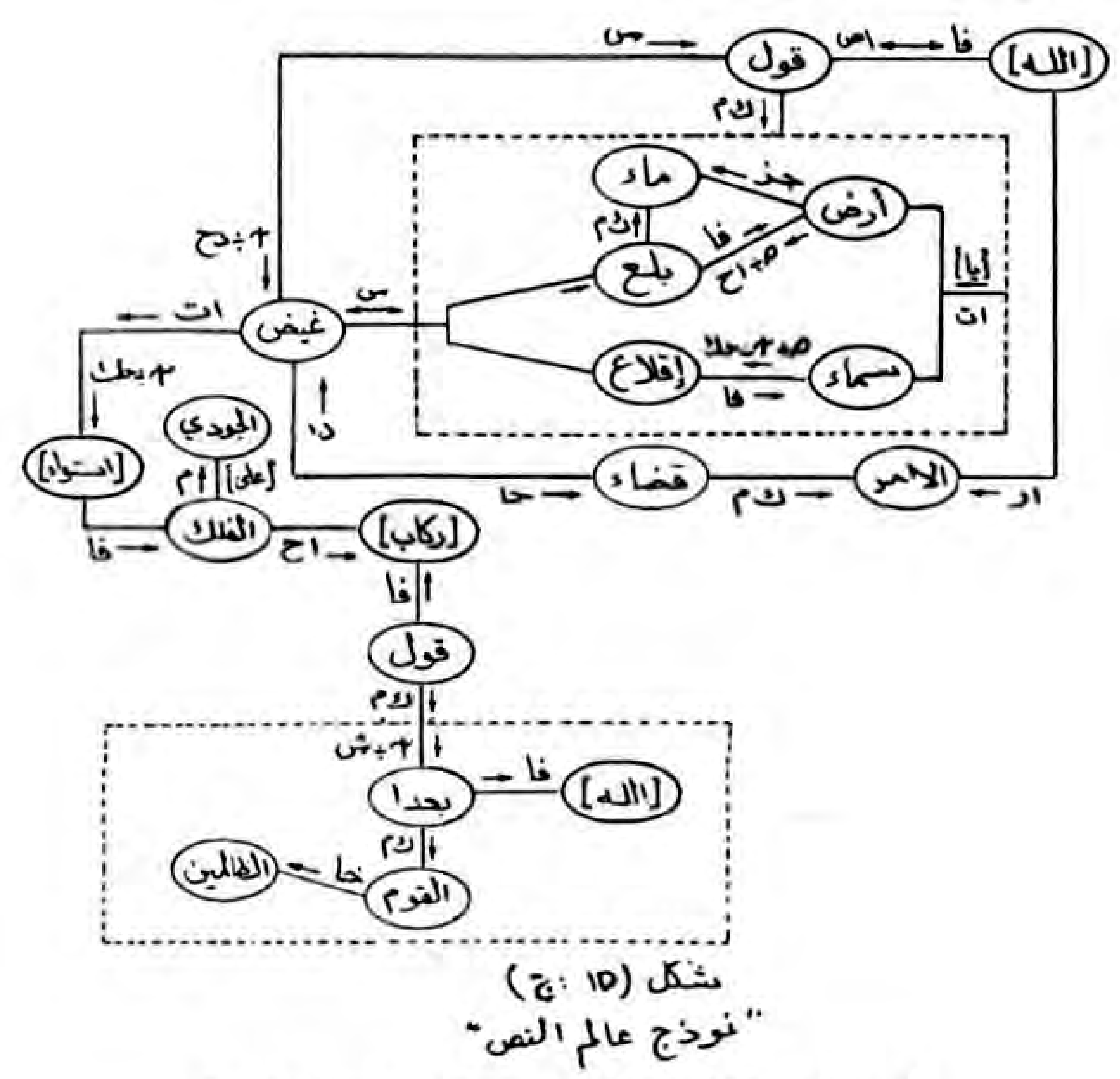


شكل (١٥ : ب)

شكل (١٥ب)

ف = فعل، م٢ = مسند اليه، مخ = مخصص

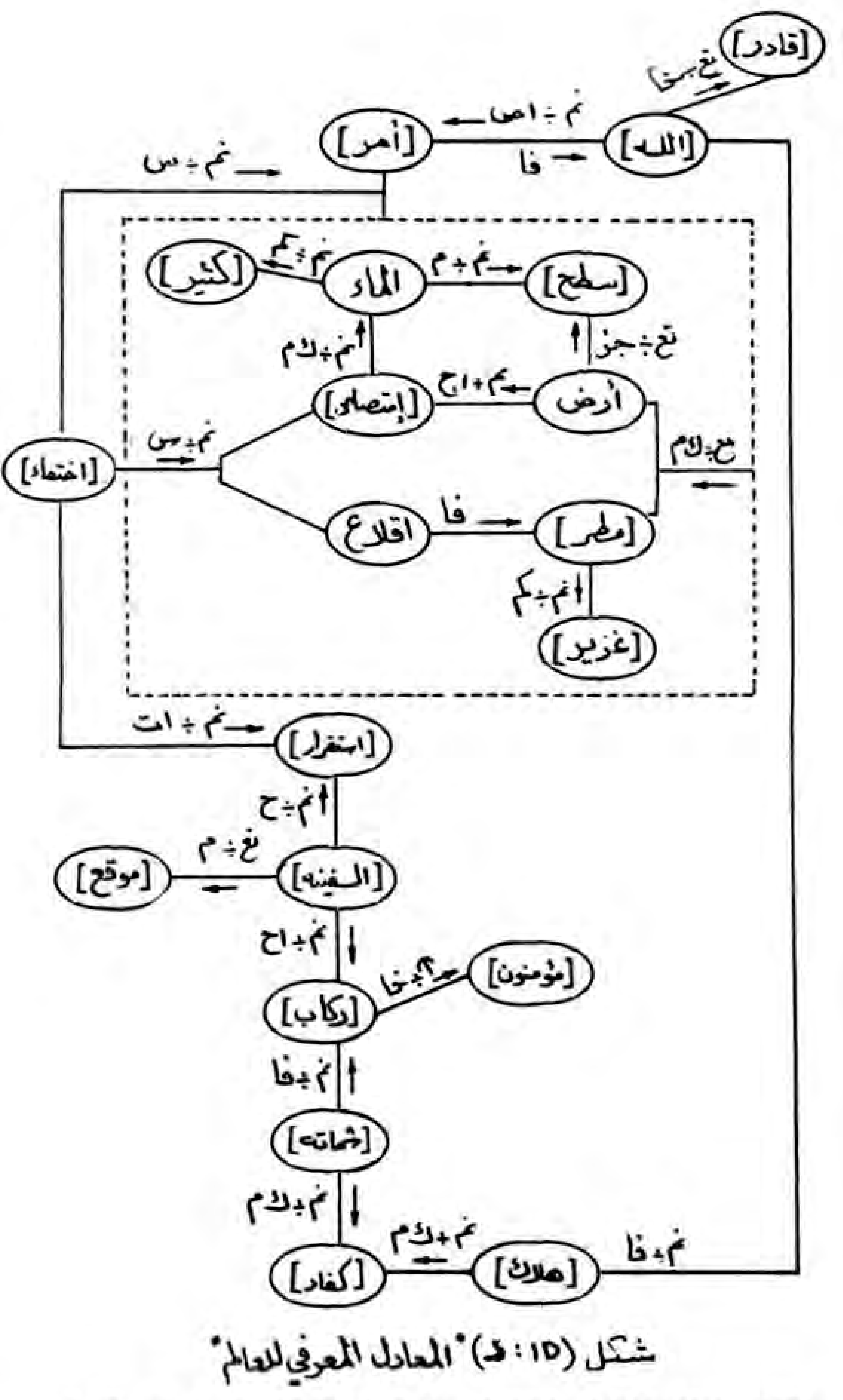
مفتاح الرموز : ر = رأس ، عا = عائد،



شكل (١٥ : ج)

"نموذج عالم النص"

أت = اتاحة، اح = احتواء، ار = ارادة، اص = اتصال، جز = جزء، حا = حادث، حك =
در = دلالة رمزية، س = سبب، ش = شكل، فا = فاعل، م = مفتاح الرموز (
كيان مشارك)، م = مكان، = اسقاط، حركة، خا = خاصية، اح = ادراك حسي،



شكل (١٥ : د) *المحادل المعرفي للعالم*

مفتاح الرموز : ات = اتاحة، اح = احتواء، اص = اتصال، تع = تعيينية، جز = جزء، ح = حالة، خا = خاصة و س = سبب، فا = فاعل، كم = كمية، كم = كيان متاثر، م = مكان، نم = نمطية

الراس بالفعل "ارض" المضمومة المنكرة، فيتوقع استقبال فعل امر، يجده في "ابلعي"، ثم يتوقع رأسا اخر يجده في الاسم "ماء"، وعندئذ يتوقع اسما تاليا يضاف اليه الراس"ماء"ولكنه يجد الضمير"ك"بدلا منه.

ويتضح مما سبق ان نسبة التوقعات غير المتحققة ليست كبيرة مما يشير الى تحقق يسر المعالجة النحوية في النص. ويعكس هذا اليسر في تحقق التوقعات في الشبكة القواعدية، شان العوامل الخمسة المذكورة في محك الجودة (١١:٢) مما يعكس حقيقة توافر معيار التضام في هذا النص.

ويمثل الشكل (١٥:ب) الشبكة الانتقالية القواعدية للنص بتمامه وهي لا تتخذ طابعا خطيا، بل تمثل العقد فيها مدخلات الحالات القواعدية، وتمثل خطوط الربط التبعيات القواعدية، وتعبر الشبكة عن اسهل طرق التوصل الى تنظيم بنية سطح النص ، بحيث يمكن استرجاعه في شكله الخطي انطلاقا من الشبكة الممثلة في (١٥:ب) مثلما امكن رسم الشبكة نفسها انطلاقا من ظاهر النص عند استقبالنا له.

١١:٤ التقارن: سبق ان عرفنا نموذج عالم النص بانه المعادل المعرفى لما يثيره النص حال استعماله من معرفة في ذهن المستقبل، وذكرنا ان المعادل المعرفى يتالف من مفاهيم وعلاقات تربط بين تلك المفاهيم فيما اطلقنا عليه مصطلح "الفراغ المعرفى" (ر.ف.٣:٢٢).

وفي الشكل (١٥:ج) الذى يمثل شبكة المفاهيم/العلاقات يلمح المرء تشابها مع شبكة العلاقات النحوية (شكل١٥:ب) الا اننا استبدلنا بالافعال مصادرها غير المرتبطة بالزمان، كما استبدلنا بالتبعيات القواعدية في خطوط الربط علاقات بين المفاهيم، وادى ذلك الى حذف الضمائر مثل"الكاف" في ماءك ... ويشتمل الشكل (١٥:ج) على عقد اضافية بالقياس الى العقد التي في شكل (١٥:ب)، وقد نجم ذلك عن الاستنتاج واستثارة النص للمعرفة المختزنة في أذهان مستقبليه، ومنها [الله] عند "قول" في بداية النص (ر.ف. ١١:٨) وكذلك عند "بعدا" في نهاية النص ، ومنها [الفلك] و [ركاب].

يبدو المعادل المعرفي للعالم في النص الذى نحن بصدده ممثلا في الشكل (١٥:د) وهو يشتمل على بعض العناصر المذكورة في الشكل

(١٥:ج) وعناصر اضافية نجمت عن الاستثارة الموسعة من مثل [قادر] و [سطح] وغيرهما، وهو يشتمل ايضا على عناصر مبدلة من بعض العناصر المذكورة في شكل (١٥:ج) ومنها [امر] بدلا من "قول" و [اختفاء] بدلا من "غيض" وذلك بحسب تصورنا لمعرفة مستقبل النص المعاصر.

ومن جهة اخرى، يوضح الشكل طبيعة العلاقات القائمة بين المفاهيم، وذلك بحسب معرفة مستقبل النص بالعالم وهذه العلاقات نوعان (ر.ف.٥:٢٨): علاقات نمطية وهي الاكثر انتشارا (اشير اليها بالرمز نم) وعلاقات تعيينية (اشير اليها بالرمز تع).

ويلاحظ ان جميع العقد في شبكة المفاهيم متصلة بعقدة "امر" (او "قول" في الشبكة النحوية) مما يدل على ان هذه العقدة تمثل مركز التحكم في النص.

١١:٥ القصدية والتقبلية: ان الهدف الاساسي للنص هو ابلاغ رسالة الى جمهور المستقبلين (من قريش وغيرها)، وهو يتخذ شكلا قصصيا مبنيا في ظاهره على رصد موقف (ر.ف. ١:٨) اما الهدف النهائي له فهو تهديد الكافرين.

وفضلا عما يتصف به النص من تضام وتقارن نجد ان مبادىء غرايس (ر.ف. ٩:٦) متحققة فيه، فالعبارات التي يشتمل عليها بالغة القصر والوضوح مع توافر الاعلامية ووثاقة الصلة بالهدف المقصود.

ان استعمال صيغة المبنى للمجهول في" قيل" يمثل جزءا من الخطة حيث يقوم المستقبل نفسه بالمشاركة في تعبئة فجوة (الفاعل). وكذلك يمثل تصور تقبلية الكائنات العملاقة له من ارض وسماء جزءا من الخطة القائمة على تهديد قريش ويتضح ذلك في قصر الاوامر الموجهة اليها وتتابعها على نحو منطقي متسلسل وسريع يفيد تحققها الواحد تلو الاخر.

ويلحظ المرء في هذا النص استعمال الماء استعمالا خاصا ضمن الخطة، فالماء البالغ الاهمية للقرشيين الذين يعيشون في الصحراء يمكن ان يكون وسيلة لهلاكهم اذا امتنعوا عن الاستجابة لدعوة الرسول اليهم.

وتعود تقبلية النص لدى المستقبلين الى توافر معياري التضام، والتقارن فيه، بالرغم من وجود بعض الحالات الاشكالية من مثل البناء للمجهول في "قيل" حيث لا يصعب على مستقبل النص تعيين الفاعل

وذلك باعتبار نوع النص (القران الكريم) واشتمال الايات السابقة للنص على اوامر الهية بعضها مبني للمجهول مثل "واوحي" (هود،٣٦) وان المخاطبين (الأرض والسماء) جمادان لا يتصور ان يقدر احد غير الله على توجيه الاوامر اليهما.

وكذلك يسهل على مستقبل النص تعبئة الفراغ الذهني المتكون من الكلمة العامة "الامر" بالاعتماد على النص السابق لهذا النص وذلك باستبعاد المستقبل ان يكون ازاء تكرار بدون طائل لتعبير "وغيض الماء"، وهو يربط، بدلا من ذلك، بين عقدة "الامر" هذه وبين عقدة "امرنا" في النص السابق.

وكذلك يحتاج المستقبل للرجوع الى النص السابق من اجل حل اشكالية التضام المتمثلة بوجود فجوة في "استوت" ونعنى بها غياب المسند اليه، ويملأ المستقبل هذه الفجوة بالرجوع الى "الفلك" والضمائر المتعلقة بها.

١١:٦ الموقفية: يمكننا مناقشة هذا النص من خلال موقفين مختلفين اولهما تعينه حوادث النص نفسه، ونقصد به حادثة الطوفان، وثانيهما يعتمد على اعتبار النص حدثا كلاميا (ر.ف ٦:٧-٨)، اي ان النص عبارة عن حدث موجه الى هدف معين هو البلوغ بالقرشيين الى قناعة محددة وهي الايمان .

وفي الحالة الاولى يتميز الموقف بفقدان الرصد وهيمنة ادارة الموقف تماما، وعدم استعمال مفاوضات لتحقيق الاهداف.

ويعود هذا في المقام الاول الى طبيعة الموقف الذي يسوده هدف التهديد، ولذا كانت الارض والسماء مجرد اداتين طيعتين لتحقيق الهدف في النص، في حين نجد ان الارض والسماء انفسهما تقومان بدور مشاركين في المقال في نصوص اخرى حيث تتبع استراتيجيات مقالية مختلفة تتسم بالتفاوض كما في الاية : "انا عرضنا الامانه على السماوات والارض فابين ..."(الاحزاب، ٧٢) (ر.ف.٦:١٦ل).

اما في الحالة الثانية فيتميز الموقف بانه يصور مرحلة من مراحل المفاوضة مع القرشيين وهي مرحلة التهديد، التي تولف في واقع الامر جزءا من ادارة الموقف الهادف الى اقناعهم بالايمان برسالة النبي، غير ان هذه الادارة تتستر في هيئة رصد موقف هو وصف حادثة الطوفان التي هلك فيها الكفار من قوم نوح.

وللموقفية تاثير على طبيعة اخراج النص ، في تضامه وتقارنه معا، فبعد الاضطراب الذي لحق بكل شيء في الارض من جراء الطوفان، اقتضى الامر ان يكون الخطاب في هيئة جمل قصيرة، متلاحقة، وسريعة، لتحقيق الحسم في الاحداث، وهو ما نجده متحققا بالفعل في النص الذي نحن بصدده(٥).

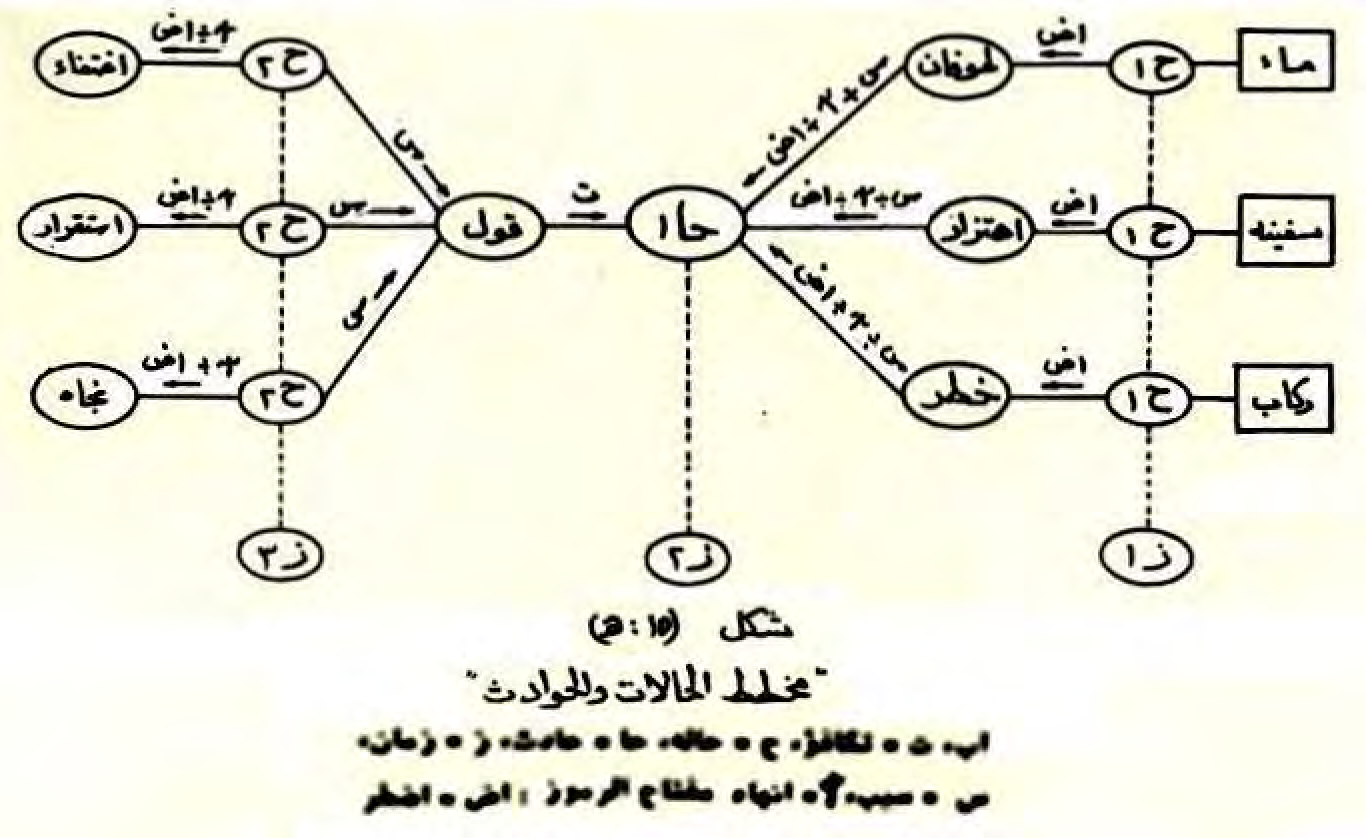
١١:٧ النصوصية: تبين من المعالجة السابقة للنص اهمية النص السابق له من اجل تحديد بعض المفاهيم والعلاقات الواردة فيه، وهذه هي احدى حالات النصوصية.

وسنبدأ معالجتنا للنصوصية هنا بمناقشة نوع النص (ر.ف.٩:٢) فمن الواضح ان مجرد مواجهة مستقبل النص له يجعله يتعرف عليه، توا، بانه نص قراني، ويعود ذلك الى الخصائص التي يشترك بها مع كثير من نصوص القران ومن ذلك: الموازاة بين العبارات والسجع المتمثل هنا في اختتام النص بالفاصلة وهي هنا النون الساكنه المسبوقة بحرف المد (الياء)؛ والايقاع الذي يتميز به القران (وهذه قضية تستحق المزيد من الدرس)، والتكرر، والتكرر الجزئي. وكذلك يشترك هذا النص مع نصوص قرانية اخرى في التعبيرات المستعملة فمثلا (انظر المعجم المفهرس) (٦) ترد "قيل" ٤٩ مرة في ايات القران و "قضي الامر" ٢ مرات ، و "القوم الظالمين" حوالى ٢٠ مرة، و "استوى" بالمعنى الوارد في الاية ١٦ مرة، وارض وسماء عددا كبيرا من المرات .

وتتجلى النصوصية ايضا في ورود نصوص مماثلة للنص في موضوعته الاساسية اي حادثة الطوفان، منها ما نقابله في القران الكريم كما في سورة القمر، وسورة نوح، وغيرهما؛ وفضلا عن الموضوعة الاساسية نجد اشتراكا في التعبيرات المتناظرة في النصوص كما في سورة القمر (الايات ١٢، ١١، ١٢):

يا ارض ابلعي ماءك	وفجرنا الارض عيونا
ويا سماء اقلعي	فتحنا ابواب السماء بماء منهمر
وغيض الماء وقضي الامر	فالتقى الماء على امر قد قدر

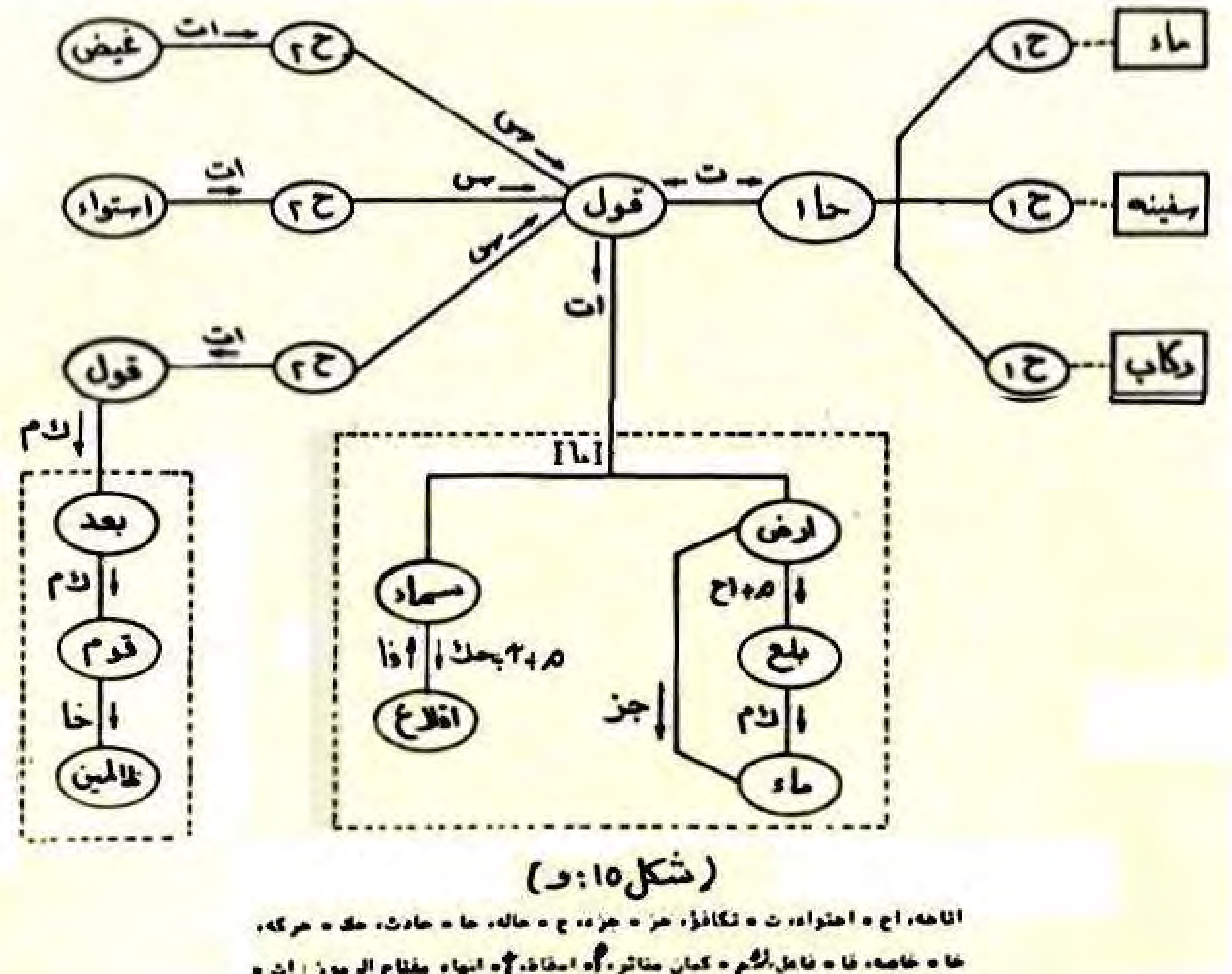
وتستثير الموضوعة الاساسية في ذهن المستقبل معرفة مختزنة من اصول قديمة وادبيات حديثة، ومن النصوص القديمة تبرز قصة الطوفان في التوراة وفى ملحمة جلجميش وكتابات افلاطون .



شكل (١٥ : ص)

"مخطط الحالات والحوادث"

اب، ت = تلفظ، ح = حالة، حا = حادثة، ز = زمان،
س = سبب، ٢ = اتجاه مفتاح الرموز : اض = اضطر



(شکل ۱۵:و)

اتاحه، اج = احتواء، ت = تکاثف، جز = جزء، ج = حالة، حا = حادث، حك = حرکه، خا = خاصه، فا = فاعل لازم = کمان متاثر، اسقاط، انهاء مفتاح الرموز : ات =

خا = خاصه، فا = فاعل لازم = کمان متاثر، اسقاط، انهاء

ويشترك هذا النص باعتباره نصا قصصيا مع غيره من النصوص القصصية فى تكونه من تتابع لحوادث وحالات، اي مخطط، يمكن ان يعتبر الشكل (١٥:هـ) تمثيلا له من خلال رؤيتنا للنص ، كما يمثل الشكل (١٥:و) كيفية ربط عقد نموذج عالم النص بالمخطط السابق.

يظهر الشكل (١٥:هـ) النص في هيئة مخطط من حالات وحوادث، مرتبة بحسب المعرفة القبلية لمستقبل النص بالعالم، على النحو الذي يستثيره ظاهر النص ؛ فالعناصر الثلاثة التي تتالف منها الحالة الاولى ح١ ليست جميعها مذكورة بصراحة في ظاهر النص، وانما تسهم الاستثاره الموسعة في ظهورها في المخطط، ويلي الحالة المركبة ح١ الحادث (القول) وهو الحادث الوحيد في الشكل؛ ويؤدي هذا الحادث التي تغيير ح١ وحلول ح٢ محلها (فحالة الطوفان للماء حل محلها حالة اختفائه، وحالة امتزاز السفينة حل محلها استقرارها، وكذلك حالة الخطر للركاب حل محلها حالة النجاة وقد تم ذلك اثر وقوع الحاث الوحيد المذكور وهو القول.

مفاهيم وعلاقات واردة في نموذج عالم النص فمثلا تعزز عقدة "الغيض " حالة "الاختفاء" في الشكل، وكذلك تعزز حالة "القول" عقدة "النجاة" كما نلاحظ ان حادث القول يعززه منطوقه على النحو الذي ورد به في النص الاصلي.

١١:٨ الاعلامية: ان النظرة السريعة الى هذا النص على الصفحة، تعكس فيضا كبيرا من الدلالات؛ ذلك ان كتابته تستثير في ذهن المستقبل الشكل الخاص للايات القرانية، كما يتيح قصر الجمل الواردة في النص والتشابه في بنيتها قراءة مقترنه بتخزين نشط في الذاكرة لفترة زمنية معقولة.

يبتدىء النص بحرف العطف "الواو" الذي يقوم هنا بوظيفة الربط بين هذا النص ونص سابق ينتهى باغراق الكافرين، ويتوقع المستقبل للنص وجود فعل باعتباره افضلية بين مختلف التوقعات نظرا لطبيعة التراكيب الواردة في نهاية النص السابق (الاية ٤٣)، وينتقل المستقبل الى المنطوق التالي في النص فيجد هذا الفعل ولكنه يتخذ شكلا لغويا ذا

تكرار نسبي ضئيل في اللغة العربية وهو المبني للمجهول اي الفعل "قيل" الذي يحدث فجوة في استمرارية النص من جراء فقدان عقدة الفاعل في شبكة المفاهيم والعلاقات، وبذلك تكون لدينا اعلامية من الدرجة الثالثة (ر.ف. ٢٧:٧) ومن المعلوم ان مستقبل النص ، بوجه عام، يفضل الاعلامية من الدرجة الثانية، ولذا نجده يحاول خفض منزلة الاعلامية في "قيل" فيتابع قراءة النص -خفض المزلة الامامي- ولكنه يواجه حالة جديدة من الاعلامية المرتفعة ايضا وهي مخاطبة الارض في عبارة "يا ارض " ومن اجل حل المشكلة المستجدة يقوم بخفض منزلة خلفي، وذلك باسترجاع ما يمتلكه في ذاكرة التخزين النشط من معلومات بحسب النصوص السابقة فيجد "الله" و "نوح" و "ابن نوح" ويجد ايضا "حتى اذا جاء امرنا وفار التنور" التي تعني ان الله قد امر الارض بالفوران، ويشير هذا الى ان صاحب القول فى النص يمكن مطابقته مع صاحب الامر او القول نفسه في النص السابق اي "الله" وبهذا يتم حل المشكلتين معا ونقصد بهما مشكلة التعرف على القائل في الفعل "قيل" ومشكلة التعرف على القائم بمخاطبة الارض في التعبير "يا ارض ". وتساعد النصوصية ايضا على حل هذه المشكلة اذ ان اسلوب الالتفات(٧) من الاساليب البلاغية الشائعة الاستعمال في القران.

ومن الجدير بالذكر ان علماء البلاغة العرب قد حلوا هذه المشكلة من خلال منظور معرفة مستقبل النص بالعالم وذلك ان توجيه الخطاب من قوة ما الى الارض بمناداتها منكرة في صيغة "يا ارض " يدل على ان هذه القوة اعلى شانا من الارض ، وما دامت القوة مفكرة كما يدل الفعل "قيل " فان هذه القوة القاهرة المفكرة يجب ان تكون هي "الله تعالى" وليس سواه.

ولو كان النص قد عرض على النحو التالي: وقال الله: يا ارض ... لما كانت الاعلامية مرتفعة كما حدث هنا، ذلك ان لهذا الخيار احتمالا كبيرا فى الوقوع ضمن هذا السياق. فالفاعل "الله" هو الذي كان يسير حركة الارض في النص السابق، غير ان الاعلامية تحققت باتخاذ التعبير في ظاهر النص صيغة بديلة هي صيغة المبنى للمجهول ذات الاحتمال الضئيل في الوقوع مما رفع من درجة الاعلامية. وفي(٢) نجد اعلامية من الدرجة الثانية لتكرار المخاطبة والامر كما ورد فى (١)؛ وفي (٣) تحافظ صيغة المبني للمجهول على مستوى الدرجة الثانية من الاعلامية

اما في (٤) فان مستقبل النص يجد نفسه ازاء اعلامية من الدرجة الثالثة، وفضلا عن اتخاذ (٤) صيغة المبني للمجهول نجدها تشتمل على كلمة ذات اشكالية في المفهوم وهي "الامر" التي تحتاج الى قدر كبير من معالجة مستقبل النص ، وباسترجاع المستقبل لما يملكه في ذاكرة التخزين النشط يجد لديه "امرين اثنين" احدهما في النص السابق اي "جاء امرنا" والاخر هو "الامر" المستفاد من الفعلين : ابلعي، واقلعي، وبما ان عبارة وغيض الماء تشير الى تنفيذ "الامر"" الثاني فان المستقبل يستبعد تكرار "الامر" ويعتبر ان ""الامر" يدل على الحادث باكمله اي الطوفان الذي تلا عبارة "جاء امرنا". ويعزز هذا الاتجاه ان صيغتي "امرنا" و"الامر" مشتقتان من جذر لغوي واحد "امر" كما ان هذا الاتجاه يتاكد من خلال النصوصية ايضا اذ ان عبارة "قضي الامر" تستعمل في ايات القران الكريم للدلالة على معنى عام.

وفي (٥) يفاجا المستقبل بان النهاية التي اطمان الى بلوغها في (٤) لم تتحقق، فهو يواجه منطوقا مبتدئا بحرف "الواو" يشير الى استمرار حوادث النص فيواصل المستقبل قراءة النص ليجد الفعل "استوت" الذي يصعد الاعلامية؛ وتزداد هذه الاعلامية ارتفاعا بوجود فجوة مصاحبة للفعل استوت تتمثل في غياب الفاعل. وهنا يجد المستقبل نفسه مضطرا للرجوع الى النص السابق ايضا -خفض منزلة خلفي- لتعبئة هذه الفجوة ويعتمد على تكرر الشكل البديل اي الضمائر (هي ، ها ...) في النص السابق كما في "مرساها" حيث يدعم المضمون الدلالي المشترك "لمرساها" و"استوت" انهما تشيران الى نفس الكيان المادي المتحرك وهو الفلك (السفينه).

وفي (٦) نجد صيغة المبني للمجهول وهي "قيل" ايضا، ويتجه ذهن المستقبل الى حل اشكاليتها بالاعتماد على فاعل "قيل" في (١) اي الله ولكنه يواجه في الوقت نفسه خيارا اخر بسبب وجودالسفينه ومن فيها في ذاكرة التخزين النشط عنده فيميل الى اعتبار الفاعل اي فاعل القول ركاب السفينة، وتحل المشكلة هنا بخفض المنزلة الامامي حيث يواجه المستقبل كلمة "بعدا" التي تستعمل للدعاء، وبما ان من غير المالوف ان يصدر الدعاء عن الذات الالهية، وبما ان في ذاكرة التخزين النشط للمستقبل كيانات بشرية يمكن ان يصدر عنها الدعاء، فان المستقبل يرجع اعتبار الفاعل في "قيل" راجعا الى ركاب السفينة، ويعزز هذا

المراجع العربية

٦٠٦ ابراهيم،صنع الله(١٩٨٠). نجمة اغسطس (ط٣).بيروت: دار الفارابي.
٦٠٧ ابن الاثير، ضياءالدين(١٩٥٩).المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانه. القاهره: مكتبة نهضة مصر.
٦٠٨ الأخفش الصغير(١٩٨٤).الاختيارين. تحقيق فخر الدين قباوه. مؤسسة الرسالة
٦٠٩ ادريس، يوسف. بصراحة غير مطلقة. بيروت :دار العودة.
٦١٠ أدونيس، على احمد سعيد. الاثار الكاملة. بيروت:"شعر".
٦١١ اسماعيل،اسماعيل فهد(١٩٧٤). ملف الحادثة ٦٧.بيروت: دارالعودة.
٦١٢ الاصفهاني،الراغب(١٩٦١).المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد كيلاني. القاهره.
٦١٣ الف ليلة وليلة. بيروت: دار البيان ودار القاموس الحديث.
٦١٤ الكك، فكتور و علي، أسعد (١٩٧٣). صناعة الكتابة(ط٢). بيروت: دار الفجر .
٦١٥ الألوسي، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي. روح المعاني فى تفسير القران العظيم والسبع المثانى. بيروت: دار احياء التراث العربي.
٦١٦ امرؤ القيس(١٩٨٤). ديوان امرىء القيس (ط٤). تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. مصر: دار المعارف.
٦١٧ أمين، بكرى شيخ(١٩٧٩). مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني (ط٢). بيروت: دار الإفاق الجديدة.
٦١٨ الأنباري، ابو بكر محمد بن القاسم(١٩٦٣). شرح القصائد السبع الطوال. تحقيق عبد السلام محمد هارون. مصر: دار المعارف.
٦١٩ بدوي،احمد زكي (١٩٧٨). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. بيروت : مكتبة لبنان.
٦٢٠ بدوي، مصطفى (١٩٦٩).مختارات من الشعر العربي الحديث. بيروت : دار النهار للنشر
٦٢١ البروسوي، اسماعيل حقي (١٩٢٨). تفسير روح البيان. ١٠ مج
٦٢٢ البوصيري، شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد(١٩٧٣). ديوان البوصيري (ط٢). تحقيق محمد سيد كيلاني. مصر: مصطفى البابي الحلبي.
٦٢٣ البيضاوي.[شرح] قران كريم. جده: اسعد محمد سعيد الجمال.
٦٢٤ تقي الدين، سعيد (١٩٤٨). حفنة ريح. دار العلم للملايين.
٦٢٥ تقي الدين، سعيد. نخب العدو. بيروت: دار الاداب.
٦٢٦ ابو تمام، حبيب بن اوس (١٩٨٠).شرح ديوان ابي تمام(ط١). تحقيق ايليا الحاوي. بيروت: دارالكتاب اللبناني.
٦٢٧ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان فى تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الاعلمي

للمطبوعات.(٤ مج)
٦٢٨ الجاحظ، عمرو بن بحر (١٩٣٩). البخلاء. تحقيق احمد العوامري وعلي الجارم. مطبعة دار الكتب المصرية.
٦٢٩ الجاحظ، عمرو بن بحر.البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الجيل .
٦٣٠ الجاحظ، عمرو بن بحر. الحيوان. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: منشورات محمد الدايه.
٦٣١ الجرجاني، عبد القاهر (١٣٣١هـ). دلائل الاعجاز(ط٢). مصر: محمد رشيد رضا.
٦٣٢ ابن جعفر، قدامه(١٩٨٠).كتاب نقد النثر. بيروت: المكتبة العلمية.
٦٣٣ جلال، عبد العاطي. غرفة على السطح. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.
٦٣٤ الجمل، سليمان. حاشية الجمل على الجلالين. المكتبة الاسلامية.
٦٣٥ حبيبي، أميل (١٩٧٧). الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل (ط٢).القدس : صلاح الدين
٦٣٦ حسان، تمام. اللغة العربية مبناها ومعناها. القاهرة
٦٣٧ حسين، طه (١٩٦٨). آديب (ط٦). دار المعارف بمصر.
٦٣٨ الحكيم، توفيق (١٩٧٣). العالم المجهول. بيروت : دار الكتاب اللبناني.
٦٣٩ الحكيم، توفيق (١٩٥٦). مسرح المجتمع. القاهرة: دار كليةالاداب.
٦٤٠ الحكيم، توفيق(١٩٥٠). المسرح المنوع. القاهرة:دار كلية الاداب.
٦٤١ الحكيم، توفيق. نحو حياة أفضل .
٦٤٢ حلمي، عثمان.الظاهر برقوق. مصر: الدار القومية للطباعة والنشر.
٦٤٣ حمد، علي خليل (١٩٧٨،٧اب). الفجر. عدد ١٤١٢، ص ٨.
٦٤٤ الخادم، سعدالدين(١٩٦٥). خبطة العمر. دار المعارف بمصر
٦٤٥ ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد (١٩٧٢١٩٦٨) وفيات الأعيان. تحقيق احسان عباس .
٦٤٦ خنفر، بشير و حمد، علي خليل (١٩٨٠). دراسات في علم الفلك المعاصر. نابلس : مطبعة النصر.
٦٤٧ دياب، محمود (١٩٧٤). باب الفتوح ورجل طيب. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦٤٨ ابو ديب، كمال. (١٩٧٤). البنية الايقاعية للشعر العربي (ط١). بيروت دار العلم للملايين.
٦٤٩ الرازي، الفخر الرازى. التفسير الكبير (ط٢). طهران: دار الكتب العلمية.
٦٥٠ ابن رشيق، ابو علي الحسن (١٩٧٢). العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده (ط٤). بيروت: دار الجيل.
٦٥١ رضا، محمد رشيد (١٩٥٤). تفسير القران الحكيم (ط٤). مصر: دار

المنار.
٦٥٢ رضوان، فتحي. أخلاق للبيع. دار الهلال.
٦٥٣ رضوان، فتحي (١٩٦٢). اله رغم أنفه. دار المعارف بمصر.
٦٥٤ رضوان، فتحي. دموع ابليس . دار المعارف بمصر.
٦٥٥ الرمادي، جمال الدين. تيمور الأعرج. الدار القومية للطباعة والنشر.
٦٥٦ ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج (١٩٧٦). ديوان ابن الرومي. تحقيق حسين نصار.القاهرة: مطبعة دار الكتب
٦٥٧ الزركلي، خير الدين. الأعلام (ط٣). بيروت .
٦٥٨ زكي، أحمد. في سبيل موسوعة علمية
٦٥٩ الزمخشرى، ابو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل. بيروت: دار الفكر.
٦٦٠ ابن زيدون (١٩٥٧). ديوان ابن زيدون ورسائله. تحقيق علي عبد العظيم. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
٦٦١ السعداوي، نوال(١٩٦٥). مذكرات طبيبة.دار المعارف بمصر.
٦٦٢ السكاكي، محمد بن علي السكاكي. كتاب مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية.
٦٦٣ سلطاني، محمد علي(عم.)١٩٧٩ البلاغة العربية في تاريخها: دمشق: دار المامون للتراث.
٦٦٤ سلمان، رشيد سلمان(١٩٧٥). اسرائيل والتسوية. بيروت: دار ابن خلدون.
٦٦٥ سلوم، تامر(١٩٨٣). نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. اللاذقية: دار الحوار.
٦٦٦ السمان، غادة(١٩٧٨). زمن الحب الإخر. منشورات غادة السمان.
٦٦٧ السيد، عبد العزيز. الأخر. القاهرة: دار الأشراف.
٦٦٨ الشابي، أبوالقاسم(١٩٧٢). ديوان أبي القاسم الشابي. تحقيق عز الدين اسماعيل. بيروت: دار العودة.
٦٦٩ شداد، عنتره بن (١٩٨٠). شرح ديوان عنتره بن شداد (ط١). تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي. بيروت: دار الكتب العلمية.
٦٧٠ الشدياق، أحمد فارس. الساق علي الساق فيما هو الفارياق بيروت: دار مكتبة الحياة.
٦٧١ شوقي، أحمد(١٩٧٠). الشوقيات. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
٦٧٢ صالح، الطيب(١٩٧٨). مريود (ط٢). دار العودة.
٦٧٣ الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن(١٩٦١). جامع البيان في تفسير القران. دار مكتبة الحياة.
٦٧٤ طوقان، ابراهيم. ديوان ابراهيم. القدس : مكتبة المحتسب.
٦٧٥ عباس، احسان(١٩٨٦).تاريخ النقد الادبي عند العرب (ط٥). بيروت: دار الثقافة.

٦٧٦ عبد الباقي، محمد فؤاد (١٩٤٥). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة:مطبعة دار الكتب المصرية.
٦٧٧ ابن عبدربه، أحمد(١٩٨٣).العقد الفريد. تحقيق احمد امين، احمد الزين، ابراهيم الابياري. بيروت: دار الكتاب العربي .
٦٧٨ عبد الصبور، صلاح (١٩٦٤). أحلام الفارس القديم (ط١). بيروت : دار الإداب.
٦٧٩ عبود، مارون. قبل انفجار البركان. لبنان: دار مارون عبود.
٦٨٠ العربي (١٩٦٥، شباط).
٦٨١ العسكري،ابو هلال(١٩٨٦).كتاب الصناعتين:الكتابة والشعر. تحقيق علي محمد البجاوي و محمد ابوالفضل ابراهيم. بيروت: المكتبة العصرية.
٦٨٢ عصمت، رياض (١٩٧٨).لعبةالحب والثورة (ط١). دار المسيره
٦٨٣ العلوي، يحيى بن حمزه العلوي اليمني (١٩٨٠). كتاب الطراز المتضمن لاسرار وعلوم حقائق الاعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية.
٦٠٤ عواد، يوسف (١٩٧٨). الرغيف (ط١٥). مكتبة لبنان.
٦٨٥ غانم، محفوظ عبد العال . فجر الحرية.
٦٨٦ غانم، محفوظ عبد العال(١٩٦٠). ميراث العار (ط١).الهلال.
٧٨٧ ابن الفارض، عمر. ديوان ابن الفارض. شرح حسن البوريني وعبد الغني النابلسي. بيروت: دار التراث.
٦٨٨ فرج، الفريد (١٩٧٥). حلاق بغداد. بيروت: دار الفارابي.
٦٨٩ فرج، الفريد. سليمان الحلبي. الهلال.
٦٩٠ القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم (١٩٢٦). الأمالي. القاهره: دار الكتب المصرية.
٦٩١ القباني، حسين. فن كتابة القصة(ط٢). عمان: مكتبةالمحتسب. ٦٩٢ القراءة للثاني الابتدائي (٢ط). (١٩٧٨). وزارة التربية والتعليم الأردنية.
٦٩٣ القران الكريم.
٦٩٤ قراعه، سنية. الاسكندر الكبير. مكتب الصحافة الدولي. ٦٩٥ القرطاجني، ابو الحسن حازم(١٩٦٦). منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه. تونس : دارالكتب الشرقية.
٦٩٦ القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (١٩٦٦-١٩٦٧). الجامع لأحكام القران. القاهرة: دار الكتب العربية للطباعة والنشر.
٦٩٧ قرمان، غائب طعمه (١٩٧٩). ظلال على النافذة. بيروت : دار الاداب.
٦٩٨ القزويني.الايضاح في علوم البلاغة. دار الكتاب اللبناني.
٦٩٩ قطب، سيد (١٩٧١). في ظلال القران(ط٢). بيروت: دار احياء التراث العربي.
٧٠٠ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. دار احياء الكتب العربية

٧٢٦ وطار، الطاهر. الحوات والقصر. القدس : صلاح الدين.
٧٢٧ وطار، الطاهر. الشهداء يعودون هذا الأسبوع. القدس : صلاح الدين.
٧٢٨ وطار، الطاهر. عرس بغل. عكا: الأسوار.
٧٢٩ ونوس، سعد الله (١٩٧٧). حفلة سمر من أجل ٥ حزيران. القدس : صلاح الدين.
٧٣٠ ونوس، سعد الله (١٩٧٨). ماساة بائع الدبس الفقير. بيروت : دار الإداب.
٧٣١ ابن وهب، ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان (١٩٦٩).البرهان في وجوه البيان. تحقيق حفني محمد شرف. مصر: مكتبة الشباب .
٧٣٢ اليافي، عبد الكريم(١٩٦٣)، دراسات فنية في الأدب العربي. دمشق : مطبعة جامعة دمشق.
٧٣٣ ياقوت الحموي (١٩٣٦). معجم الادباء. تحقيق احمد فريد الرفاعي.القاهره: مكتبه عيسى البابي الحلبي .